

# منهج القرآن الكريم في الوتاية من فتنة الحياة الدنيا

إعداد

الطالبة : ليلي محمد عبد الحميد سلامة

إشراف

الاستاذ الدكتور : فاطمة بنت عمر بن محمد نصيف

بحث تكميلي مقدم إلى

الجامعة الأمريكية المفتوحة

لنيل درجة الماجستير في أصول الدين

١٤٢٦هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## إهداء

إلى شباب الأمة .. وقلبها النابض ..  
إلى كل مسلم صغيراً كان أو كبيراً .. ذكراً أو أنثى ..  
إن أمتنا بحاجة إليكم لتعيدوا لها مجدها، وحضارتها،  
وقوتها.  
فلا تغرنكم الحياة الدنيا بمباهجها ، وزخارفها، ولا يغرنكم  
بالله الغرور ..  
اصمدوا أمام الفتن والمغريات .. فأنتم لها .. وبكم ستعود  
أمة محمد صلى الله عليه وسلم رائدة الأمم .. بإذن الله تعالى.

## شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد :

فقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبُّكُمْ لِيِنَّ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلِيِنَّ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾<sup>١</sup>

أتوجه بالشكر والحمد والثناء لله عز وجل، الذي تفضل عليّ بمنه وكرمه وعونه وهدايته، حتى ظهر هذا البحث بهذه الصورة، التي أدعوه سبحانه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يقبله وينفع به. وقد قال صلى الله عليه وسلم : (( لا يشكر الله من لا يشكر الناس ))<sup>٢</sup>

الاعتراف بالفضل والمعروف لذوي الفضل والمعروف هو الشكر لهم والثناء عليهم، وتقام الشكر هو الدعاء لهم بأن يجزيهم الله عز وجل أحسن ما يجزي به عباده الصالحين، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: (( من أتى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى يعلم أن قد كافأتموه ))<sup>٣</sup>.

فالشكر الجزيل، أقدمه لوالدي الحنونة ، على صبرها ودعائها طيلة فترة الدراسة والكتابة في البحث، والدعاء الصادق بأن يحفظها الله ويرعاها ويرزقني برها، والشكر والدعاء الخالص أيضاً لكل من مد لي يد العون والمساعدة، أو غمرني باهتمامه — من سؤال ودعاء — ولا يسع المجال ذكر الأسماء، ولكني أخص بالشكر والتقدير والامتنان الأستاذة المشرفة الدكتورة الفاضلة والأم الحنونة فاطمة عمر نصيف، ( رئيسة الفرع النسائي بمهنة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة )، على ما قدمته لي من توجيهات وإرشادات قيمة؛ فقد كان لتوجيهاتها الأثر الكبير في تذليل الصعوبات التي واجهتني، إضافة لذلك ما اكتسبته منها مما تتميز به من أخلاق عالية، وصدق في العطاء العلمي، ودقة في نقد المعلومات، وخدماتها المتميزة في توفير المراجع الضرورية، وجميع احتياجات البحث.

<sup>١</sup> سورة إبراهيم آية ٧.

<sup>٢</sup> سنن أبي داود ٢٥٥/٤، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، برقم ٤٨١١، سنن الترمذي ٣٣٩/٤، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، برقم ١٩٥٤، حديث صحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج ١، برقم ٤١٦..

<sup>٣</sup> سنن أبي داود ١٢٨/٢، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله، برقم ١٦٧٢، مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦٨/٢، برقم ٥٣٦٥، حديث صحيح، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج ١، برقم ٢٥٤.

---

---

وأقدم أيضاً بالشكر الجزيل لكل الأساتذة الكرام والأخوات، والزميلات الذين قدموا لي  
النصح، والتوجيه، وأمدوني بالمراجع الضرورية لإتمام البحث.

فجزى الله الجميع خير الجزاء، وأحسن مثوبتهم.

الباحثة

## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله العلي القدير، السميع البصير، الفعال لما يريد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين وإمام المتقين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾<sup>١</sup>

وبعد :

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله الحكيم، الذي دعانا لما فيه صلاح الحياة الدنيا وفلاح الآخرة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾<sup>٢</sup>

وإن من أهم الموضوعات التي تعرض لها القرآن واهتم بها اهتماماً كبيراً موضوع الحياة الدنيا وما فيها من فتن، ولهذا انطلقت إلى التأمل والتدبر في الآيات التي تتحدث عن هذا الأمر " فتنة الحياة الدنيا " في محاولة مني لاستخلاص ومعرفة منهج القرآن الكريم في الوقاية منها ..

خاصة وأنا في عصر انحرف فيه كثير من المسلمين انحرفاً شديداً عن العقيدة الصحيحة في العبادة والعمل والسلوك، وتغيرت بعض المفاهيم لديهم مثل مفهوم لا إله إلا الله حيث تحول إلى كلمة تقال باللسان لا وجود لها في عالم الواقع، وتغير مفهوم الدنيا والآخرة؛ فبدل أن تكون الدنيا مزرعة الآخرة، تم فصلهما عن بعض؛ فمن أراد الآخرة ترك الدنيا وبالتالي أهملت عمارة الدنيا فوقع الناس في الجهل والتخلف الحضاري. ومن أراد الدنيا ترك الآخرة فخلت حياة الناس من الإيمانيات وتحول الدين إلى طقوس خالية من الحقائق.

ومع هذا هناك أمل كبير في بزوغ فجر الإسلام من جديد بظهور جيل الصحوة من الشباب المثقف في كل مكان في الأرض.

لكن في الطريق معوقات كثيرة ألا وهي المغريات والشهوات .. ( فتنة الحياة الدنيا ).

لذا فكرت في أن أكتب رسالة ( الماجستير ) فيما يتعلق " بمنهج القرآن الكريم في الوقاية من فتنة الحياة الدنيا " علني أستطيع تشخيص الداء ومعرفة ما يفتن الناس في الدنيا وتحديده — بقدر الطاقة البشرية — ثم توضيح منهج القرآن الكريم القويم في وضع الحلول لكل المشكلات التي تواجه الصحوة وتعيق مسيرتها ليحذر الناس من فتنة الدنيا .. ويعالجوها بالأدوية والأمصال النافعة في الكتاب والسنة .

<sup>١</sup> سورة الأحزاب آية ٧٠

<sup>٢</sup> سورة الأنفال آية ٢٤

## أسباب اختيار الموضوع :

- ١ - رغبتى في تنبيه المسلمين إلى تلك الفتن للتوقى منها.
- ٢ - إنقاذ الشباب ( عماد الأمة ) من هذه الفتن وأخذهم إلى جادة الطريق .
- ٣ - لم أجد بين الأبحاث من تطرق لهذا الموضوع إلا بحثين هما :
  - أ - موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة لأبي أنس حسين بن محسن أبي ذراع الحازمي
  - ب - الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن لعبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني.ولكنهما بحثا الموضوع بطريقة مختلفة عن الطريقة التي تناولته بها.
- ٤ - إن هذا الموضوع للقرآن الكريم عناية كبيرة به وفيه آيات كثيرة تعرضت له. راجية أن أضيف ببحتي شيئا جديداً يخدم الجانب الشرعي والبحوث العلمية وينتفع به طلبة العلم وطالباته .

## تحديد المشكلة :

وتتلخص مشكلة البحث في الإجابة على السؤالين التاليين :

- ١ - ما هي فتن الحياة الدنيا التي يتعرض لها الإنسان في حياته .
- ٢ - ما هو المنهج القرآني للوقاية من هذه الفتن .

## خطة الرسالة :

دعت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

❖ أما المقدمة فقد اشتملت على الآتي :

- ١ - خطبة الرسالة وأهمية الموضوع.
- ٢ - أسباب اختيار الموضوع.
- ٣ - تحديد المشكلة.
- ٤ - خطة الرسالة.

❖ وأما التمهيد : فقد احتوى على مصطلحات البحث وهي :

- ١ المنهج.
- ٢ القرآن .
- ٣ الوقاية.
- ٤ الفتنة.
- ٥ الفرق بين الفتنة والابتلاء.
- ٦ الحياة الدنيا.

❖ وأما الأبواب فهي كما يلي :

## الباب الأول الحياة الدنيا في القرآن الكريم

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: قيمة الحياة الدنيا وصفتها كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية.

ويشتمل على ثلاث مباحث :

المبحث الأول : قيمة الحياة الدنيا.

المبحث الثاني : صفة الحياة الدنيا في القرآن الكريم.

المبحث الثالث : صفة الحياة الدنيا في السنة النبوية.

الفصل الثاني: الصفات والأعمال الموقعة في فتنة الحياة الدنيا.

## الباب الثاني فتنة الحياة الدنيا

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : أنواع الفتن.

الفصل الثاني : فتنة المال والبنين أدلة من الواقع .

## الباب الثالث الوقاية من فتنة الحياة الدنيا

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : المنهج الوقائي في القرآن الكريم ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : سمات المنهج القرآني وخصائصه.

المبحث الثاني : الصفات والأعمال الواقية من فتنة الحياة الدنيا كما وردت في القرآن الكريم.

الفصل الثاني : منهج القرآن الكريم في الوقاية من الفتن.

❖ وأما الخاتمة : فقد احتوت على ما يلي :

١ - أهم نتائج البحث.

٢ - التوصيات والمقترحات.

❖ الفهارس : وقد تنوعت فهارس البحث، لتزيد من نفعه، وتسهل الاستفادة

منه وهي :

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية .

٣- فهرس الأعلام.

٤- فهرس المصادر والمراجع.

٥- فهرس الموضوعات.

### منهج الرسالة:

استخدمت في بحثي المنهج التالي :

١ - الاعتماد على المراجع القديمة الأصيلة، والحديثة المفيدة .

٢ - ترقيم الآيات وذكر سورها في القرآن الكريم .

٣ - الحرص على رسم الآيات القرآنية بالرسم العثماني وضبطها بالشكل، اتباعاً لرسم المصحف الشريف.

٤ - عزو الأحاديث إلى مصادرها مشيرة إلى الجزء والصفحة والكتاب والباب والرقم إن وجد، وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما لم أشر إلى صحته، بل أكتفي بعزوه إليهما فقط؛ لأن العزو إليهما معلم وموعز بالصحة.

٥ - إذا كان في غير الصحيحين بينت درجته من الصحة أو الضعف بالنقل عن العلماء المختصين.

- 
- 
- ٦ - عزو ما نقلته إلى مصدره حرفياً أو بتصريف .
  - ٧ - وضع تراجم موجزة للأعلام غير المشهورين .
  - ٨ - شرح المفردات التي تحتاج إلى ذلك .
  - ٩ - ربط النصوص والموضوعات والمباحث بواقعا المعاصر قدر المستطاع.
  - ١٠ - الاكتفاء بآيات وأحاديث الفتن المتعلقة بالموضوع حسب الخطة المرسومة التي سرت عليها.

هذا وقد حرصت على إخراج هذه الرسالة بصورة نافعة جامعة، وواقعية قدر المستطاع، وذلك بالوقوف على معظم كليات الموضوع وجزئياته من جميع جوانبها، ولا أدعي الكمال، فإنه من صفات الكبير المتعال عز وجل، والنقص والتقصير من صفات البشر، والعمل البشري عرضة للنقص مهما كان كاتبه، وأعلم يقيناً أن مثلي لا يوفي هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة نظراً لسعته وتشعبه، ولكني بذلت ما في وسعي، واجتهدت وحرصت أن أصل به إلى الوجه المطلوب، فإن أصبت فذاك بتوفيق الله وفضله، وهذا أقصى ما أتمنى.

وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأستغفر الله من ذنبي كله، وحسبي أي بذلت طاقتي ووضعت لبنة في طريق من يريد إتمام البناء. والله أسأل أن يجعله عملاً صالحاً، ولوجهه خالصاً، ولا يجعل لأحد فيه شيئاً.

الباحثة



## التمهيد

وفيه المصطلحات التالية :

أولاً : المنهج.

ثانياً : القرآن لغة واصطلاحاً.

ثالثاً: الوقاية.

رابعاً: الفتنة.

خامساً : الفرق بين الفتنة والابتلاء.

سادساً : الحياة الدنيا.

## مصطلحات البحث

توجد في البحث بعض المصطلحات التي لا بد من تحديد معناها وهي الآتية :

### أولاً : المنهج

المنهج في اللغة : ( طريق نَهَجٌ : بَيَّنَّ واضِح. والجمع مَنَهَجَانٌ ونُهَجٌ ونُهُوجٌ. وطرقٌ مُهَجَةٌ وسبيلٌ مَنَهَجٌ : كَنَهَجٍ. وَمَنَهَجُ الطَّرِيقِ : وضحه. والمنهاج : كالمناهج وفي التثنية : **لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** <sup>١</sup> .

والمنهاج : الطريق الواضح. وفي حديث العباس : لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تركزكم على طريق ناهجة، أي واضحة بينة.

ونَهَجْتُ الطريق : أبنته وأوضحته؛ يقال : اعمل على ما فهجته لك. والنهج : الطريق المستقيم. ونَهَجَ الأمرُ وأَهَجَ، لغتان، إذا وَضَحَ <sup>٢</sup> )

التعريف الإجرائي للمنهج :

هو الطريقة التي استخدمها القرآن الكريم لحماية المسلم من الوقوع في فتن الحياة الدنيا.

### ثانياً: القرآن الكريم

القرآن في اللغة : ( مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى : **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** <sup>٣</sup> فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحُ قُرْآنَهُ <sup>٤</sup> .

ثم نقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسماً للكلام المعجز المتزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك من باب إطلاق المصدر على مفعوله. ولفظ الكريم مأخوذ من قوله تعالى: **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ** <sup>٥</sup>

والقرآن في الاصطلاح : كلام الله المعجز المتزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في

المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته. <sup>٥</sup>

<sup>١</sup> سورة المائدة / آية ٤٨

<sup>٢</sup> ابن منظور، الإمام أبي الفضل جمال الدين محمد، بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ط ١، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ٣٨٣/٢، مادة ( نهج ) بتصرف بسيط.

<sup>٣</sup> سورة القيامة / آية ١٧ - ١٨ .

<sup>٤</sup> سورة الواقعة / آية ٧٧

<sup>٥</sup> الزرقاني، الاستاذ الشيخ محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط (بدون)، دار الكتب العلمين، بيروت - لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م،

## ثالثاً: الوقاية

وقي : ( وقاه الله وقياً ووقايةً وواقيه : صانه.

وفي الحديث : (( اتقوا النار ولو بشق تمرة ))<sup>١</sup>؛ وقيتُ الشيء أقيه إذا صُنِّتُه وسَترته عن الأذى، وهذا اللفظ خير أريد به الأمر أي ليق أحدكم وجهه النار بالطاعة والصدقة . وقوله في حديث معاذ : وتوق كرائم أموالهم أي تجنبها ولا تأخذها في الصدقة لأنها تَكْرُم على أصحابها وتعز فخذ الوسط لا العالي ولا النازل )<sup>٢</sup>

( والوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره يقال : وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاءً قال تعالى : ﴿ فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا ﴾<sup>٣</sup> ، ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾<sup>٤</sup> .

والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف .

التقوى في تعارف الشرع : حفظ النفس عما يُؤْثِم، وذلك بترك المحذور، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾<sup>٥</sup> .

ويقال : اتقى فلان بكذا : إذا جعله وقاية لنفسه، وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾<sup>٦</sup> تنبيه على شدة ما ينالهم، وأن أجدر شيء يتقون به من العذاب يوم القيامة هو وجوههم )<sup>٧</sup>

فيتضح مما سبق أن المعنى المقصود بالوقاية : حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره.

## رابعاً: الفتنة

قال الأزهري : (( جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد.

وفي الصحاح : إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته،

<sup>١</sup> صحيح البخاري ٥١٤/٢، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، برقم ١٣٥١.

<sup>٢</sup> مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب ٤٠١/١٥، مادة (وقي).

<sup>٣</sup> سورة الإنسان آية ١١.

<sup>٤</sup> سورة التحريم آية ٦.

<sup>٥</sup> سورة الأعراف آية ٣٥.

<sup>٦</sup> سورة الزمر آية ٢٤.

<sup>٧</sup> الأصفهاني، العلامة الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط٣، دار القلم، دمشق/الدار الشامية، بيروت، ١٤٢٣هـ -

٢٠٠٢م، ص ٨٨١ بتصرف .

وَالْفِتْنُ : الإحراق ومن هذا قوله تعالى : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾<sup>١</sup> ؛ أي يُحرقون بالنار. ويسمى الصائغ الفتان، وكذلك الشيطان، ومن هذا قيل للحجارة السود التي كأنها أحرقت بالنار : الفَتَيْنُ، وورق فتين أي فضة مُحْرقة.

ويؤيد هذه الأقوال ابن الأعرابي حيث يقول : الفتنه الاختبار، والفتنة المحنة، والفتنة المال، والفتنة الأولاد، والفتنة الكفر، والفتنة اختلاف الناس بالآراء، والفتنة الإحراق بالنار؛ يقال : فلان مفتون بطلب الدنيا قد غلا في طلبها.

ابن سيده : الفتنه الخبرة. وقوله عز وجل : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾<sup>٢</sup> ؛ أي خِبرَةً، ومعناه أنهم أُفْتِنُوا بشجرة الزقوم وكذبوا بكونها ، وذلك أنهم لما سمعوا أنها تخرج في أصل الجحيم قالوا : الشجر يحترق في النار فكيف ينبت الشجر في النار؟ فصارت فتنة لهم. ويقال فتن الرجل بالمرأة وأفتتن، وأهل الحجاز يقولون : فتنته المرأة إذا ولهته وأحبها، وأهل نجد يقولون : أفتنته.

والفتنة : إعجابك بالشيء، فتنه يفتنه فتناً وفتناً ، فهو فاتن وأفتنته. وقال سيويه : فتنه جعل فيه فتنة، وأفتنه أوصل الفتنة إليه. وقال أبو السَّفر : أفتنته افتناناً ، فهو مُفْتَنٌ، وأفنين الرجل وفتين ، فهو مفتون إذا أصابته فتنة فذهب ماله أو عقله.

والفتنة: الضلال والإثم. والفاتن: المضلل عن الحق. والفاتن: الشيطان لأنه يُضِلُّ العباد، صفة غالبية<sup>٣</sup>

وتكون الفتنة بمعنى الصدد عن السبيل والرد.

قال تعالى: ﴿وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾<sup>٤</sup> ومعناه : يصدوك ويردوك. عن ابن إسحاق أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : ((قال كعب بن أسد وابن صلوبا وعبد الله بن سوريا وشاس بن قيس بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد لعننا نفتنه عن دينه ، فأتوه فقالوا : يا محمد إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم وإنما إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قوم خصومة، فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن لك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتزلت الآية الكريمة))<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> سورة الذاريات آية ١٣.

<sup>٢</sup> سورة الصافات آية ٦٣.

<sup>٣</sup> مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب ٣١٩/١٣، مادة (فتن).

<sup>٤</sup> سورة المائدة آية ٤٩

<sup>٥</sup> ابن كثير، الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط، دار الفكر، ٦٨/٢.

وتكون الفتنة بمعنى العبرة ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>١</sup> ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>٢</sup> أي لا تنصرهم علينا، فيكون ذلك فتنة لنا عن الدين. أو لا تهلكننا بأيدي أعدائنا، فيقولوا لو كان هؤلاء على حق لم نسلط عليهم فيفتنوا .  
وقد تعددت المعاني اللغوية ولكن المعنى المراد لنا في البحث هنا هو الفتنة بمعنى المغالاة في طلب الدنيا، والإغراق في شهواتها.

<sup>١</sup> سورة المنتحنة آية ٥

<sup>٢</sup> سورة يونس آية ٨٥

## خامساً : الفرق بين الفتنة والابتلاء

قد يظن البعض أن الفتنة والابتلاء شيء واحد، لذا يحسن بنا أن نفرق بينهما في البداية حتى يتجلى لنا معنى الفتنة التي نحن بصددده في البحث.

أولاً : من حيث التعريف :

سبق أن عرّف الفتنة بأنها الابتلاء والاختبار، نقول : فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته. وعرّف علماء اللغة الابتلاء أيضاً بأنه الاختبار والامتحان، قال في اللسان : (( بلوت الرجل بلواً وبلاءً : اختبره، وبلاه يبلوه بلواً إذا جربه واختبره ))<sup>١</sup>

والابتلاء مصدر، والاسم منه البلاء، وهو يطلق على إخالق الشيء، يقال : ( بلي الثوب بلياً وبلاءً أي خلق، كما يطلق البلاء ويراد به الإنعام، قال تعالى : ﴿وَأَنبَتْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَؤٌ مُّبِيتٌ﴾<sup>٢</sup> (٣٣) .<sup>٣</sup>

ثانياً : مواضع الاتفاق والاختلاف بينهما :

بالعودة إلى الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمة الفتنة وكلمة الابتلاء نجد فرقا واضحا بينهما، ويبين ذلك الدكتور السحيباني في ( النقاط التالية :

١ أن الفتنة أعم من الابتلاء حيث تأتي الفتنة على معانٍ كثيرة، والابتلاء واحد من هذه المعاني.

٢ رغم أن عدداً من الآيات القرآنية جاءت فيها الفتنة بمعنى الابتلاء إلا أن هناك فرقا بينهما من حيث الاستعمال اللغوي وذلك يكمن في كون الفتنة أشد من الابتلاء، ويتضح ذلك من خلال المثالين التاليين :

يقول تعالى في شأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَبْتَاطِلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾<sup>٤</sup> .  
ويقول سبحانه في شأن موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾<sup>٥</sup> المراد بالابتلاء في قوله سبحانه : (( وإذ ابتلى إبراهيم ربه .. )) أن الله تعالى ابتلى إبراهيم بكلمات كلفه بها فظهر عزمه وامتناله لتلك التكليف؛ حيث أتى بها كاملة، فجوزي عليها أعظم الجزاء . وقوله سبحانه :

<sup>١</sup> مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب ١٤/٨٣ ، مادة (بلو).

<sup>٢</sup> سورة الدخان آية ٣٣ .

<sup>٣</sup> مرجع سابق، الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ١٤٥ - ١٤٦ بتصرف.

<sup>٤</sup> سورة البقرة آية ١٢٤ .

<sup>٥</sup> سورة طه آية ٤٠ .

(( وفتناك فتوناً )) المراد بالفتنة هنا كما يذكر المفسرون : تلك المحن والابتلاءات الشديدة التي مر بها موسى عليه الصلاة والسلام ومنها قتله للقبطي.

والذي يتأمل الابتلاء الذي حصل لإبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام يتبين له سر التعبير عن الأول بالابتلاء وعن الثاني بالفتنة؛ فإن الابتلاء بالقتل مثلاً أشد — ولاشك — من الابتلاء بالقيام بالتكاليف الربانية وفي التفريق بين الفتنة والاختبار — وهو معنى الابتلاء — من حيث الاستعمال اللفظي نجد أبا هلال العسكري<sup>١</sup> يقول : الفرق بين الفتنة والاختبار أن الفتنة أشد من الاختبار، ويكون في الخير والشر، ألا تسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾<sup>٢</sup>، وقال تعالى: ﴿لَأَسْقِينَهِمْ مَاءً عَذَقًا ﴿١٦﴾ لَيَفْنِنَهُمْ فِيهِ﴾<sup>٣</sup>. فجعل النعمة فتنة لأنه قصد بها المبالغة في اختبار المنعم عليه بها كالذهب إذا أريد المبالغة في تعريف حاله، والله تعالى لا يختبر العبد لتغيير حاله في الخير والشر، وإنما المراد بذلك شدة التكليف<sup>٤</sup>.

٣ - تأتي أفعال الابتلاء أحياناً مسندة إلى الله تعالى بالاسم الظاهر مثل :

﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾<sup>٥</sup> ، ومثل : ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾<sup>٦</sup>

٦ . وأحياناً يأتي بالإسناد في أفعال الابتلاء إلى الضمير مثل : ﴿ثُمَّ

صَرَفْنَا عَنْكُمْ غَنَمَ لَيْبَتَيْكُمْ﴾<sup>٧</sup> ، ومثل : ﴿وَلِيَلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ

بَلَاءٌ حَسَنًا﴾<sup>٨</sup>

أما الفتنة فإننا لا نجد أن الأفعال منها تأتي مسندة إلى الاسم الظاهر من أسماء الله تعالى مطلقاً

ولعل السبب في ذلك — والله أعلم — كون الفتنة تأتي على معان غير حسنة مثل : ﴿إِنَّ

حَقِّقْنَا أَن يَفْنِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>٩</sup> " ومن الأدب مع الله عز وجل عدم إسنادها إليه )<sup>١٠</sup> .

<sup>١</sup> أبو هلال العسكري : الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال، عالم بالأدب، له شعر. نسبته إلى "عسكر مُكْرَم" من كور الأهواز. انظر : الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط (١٥)، دار العلم للملايين، بيروت — لبنان، ٢٠٠٢م، ١٩٦/٢.

<sup>٢</sup> سورة التغابن آية ١٥.

<sup>٣</sup> سورة الجن آية ١٦ — ١٧.

<sup>٤</sup> الفروق اللغوية ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، وانظر : الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط ١، دار الفكر، ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ١٧٠/٤.

<sup>٥</sup> سورة البقرة آية ١٢٤.

<sup>٦</sup> سورة النحل آية ٩٢.

<sup>٧</sup> سورة آل عمران آية ١٥٢.

<sup>٨</sup> سورة الأنفال آية ١٧.

<sup>٩</sup> سورة النساء آية ١٠١.

<sup>١٠</sup> السجستاني، عبد الحميد بن عبد الرحمن، الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن، ط ١، دار القاسم، الرياض، ١٤١٧هـ — ١٩٩٦م، ص ٢٤ — ص ٢٨ بتصرف .

## سادساً : الحياة الدنيا

عرف علماء اللغة الحياة بعدة تعريفات منها : ( الحياة : نقيض الموت .  
حي حياة، وحي يحيى ، وأحياء الله فحيي وحي أيضاً. والحي من كل شيء نقيض الميت والجمع أحياء. والحي : كل متكلم ناطق، والحي من النبات : ما كان طرياً يهتز.  
والحي بكسر الحاء : جمع الحياء، قال الفراء كسروا أول حي لثلاثا تتبدل الياء واواً، كما قالوا بيض وعين.

والحيا : مَفْعَل من الحياة. ونقول : محياي ومماتي . والجمع المحايي )  
( والدنيا : نقيض الآخرة، انقلبت الواو فيها ياءً لأن فُعلى إذا كانت اسماً من ذوات الواو أبدلت واوها ياءً ، كما أبدلت الواو مكان الياء في فُعلى، فأدخلوها عليها في فُعلى ليتكافأ في التعبير. وفي حديث الحج : الجَمْرَةُ الدُّنْيَا أي القريبة إلى منى.

والدنيا أيضاً : اسم لهذه الحياة لبعدها الآخرة عنها، والسماء الدنيا لقبها من ساكني الأرض.  
والدُّنَا : ما قرب من خير أو شر. ويقال دنا وأدنى ودننى إذا قرب.

ورجل دَنِيٌّ من قوم أدنياء، ويقال للرجل إذا طلب أمراً خسيساً : قد دَنَى يُدَنِّي تَدْنِيَةً .<sup>٢</sup>  
وقد ذكر الأستاذ خالد حسن أن لفظة ( الدنيا ) : ( وردت في القرآن الكريم على نحو مائة وخمسة عشر مرة، وردت مضافة إلى الحياة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَشِيتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِأَلْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾<sup>٣</sup>  
وقوله تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُمْ وَلِئِبَّ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>٤</sup> . وهذا كثير في كتاب الله تعالى.

ووردت مجردة وهذا في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾<sup>٥</sup>  
ووردت مضافة إلى السماء كصفة لها، وهذا في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾<sup>٦</sup> .

<sup>١</sup> مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب ١٤ / ٢١٤، مادة ( حيا ) بتصرف.

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٢٧١ — ٢٧٥ بتصرف.

<sup>٣</sup> سورة إبراهيم آية ٢٧.

<sup>٤</sup> سورة العنكبوت آية ٦٤.

<sup>٥</sup> سورة الزمر آية ١٠.

<sup>٦</sup> سورة الملك آية ٥.



قال الزمخشري — يرحمه الله تعالى — ( السماء الدنيا : القربى ؛ لأنها أقرب السموات إلى الناس ، ومعناه : السماء الدنيا منكم )<sup>١</sup> . وقال أبو حيان الأندلسي<sup>٢</sup> — يرحمه الله تعالى — : السماء الدنيا ، هي التي نشاهدها، والدنو أمر نسبي، وإلا فليست قريبة)<sup>٣</sup> .  
ومن أسماء الدنيا :

١ - الأولى : ( قال تعالى : ﴿ وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾<sup>٤</sup> ، وفي تفسير الآية ( الأولى ) أي الدنيا والآخرة لله تعالى . ويراد بها أيضاً : ما عندي في مرجعك إلي يا محمد خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا .

٢ - العاجلة : قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصَلُّنَهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾<sup>٥</sup> يعني الدنيا، والمراد : الدار العاجلة .<sup>٦</sup>

(

<sup>١</sup> مرجع سابق، الزمخشري، الكشاف ٤/ ١٣٥ .

<sup>٢</sup> أبو حيان : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني الثُقَري، أثير الدين أبو حيان من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في إحدى جهات غرناطة، وتوفي بالقاهرة بعد أن كف بصره. انظر : مرجع سابق، الأعلام للزركلي، ١٥٢/٧ .

<sup>٣</sup> أبو حيان، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، تفسير البحر المحيط، ط٢، دار الفكر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٢٩٩/٨ .

<sup>٤</sup> سورة الضحى آية ٤ .

<sup>٥</sup> سورة الإسراء آية ١٨ .

<sup>٦</sup> حسن ، خالد رمضان، وصف الدنيا في الكتاب والسنة، ط (بدون)، دار الإيمان، الإسكندرية، ص ٨ — ص ١٠ .

## **الباب الأول**

### **الحياة الدنيا في القرآن الكريم**

**الفصل الأول : قيمة الحياة الدنيا وصفتها كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية**

ويشتمل على ثلاث مباحث :

المبحث الأول : قيمة الحياة الدنيا.

المبحث الثاني : صفة الحياة الدنيا في القرآن الكريم.

المبحث الثالث : صفة الحياة الدنيا في السنة النبوية.

**الفصل الثاني : الصفات والأعمال الموقعة في فتنة الحياة الدنيا.**

## **الباب الأول**

### **الحياة الدنيا في القرآن الكريم**

**الفصل الأول : قيمة الحياة الدنيا وصفتها كما وردت في**

**القرآن الكريم والسنة النبوية**

**ويشتمل على ثلاث مباحث :**

**المبحث الأول : قيمة الحياة الدنيا.**

**المبحث الثاني : صفة الحياة الدنيا في القرآن الكريم.**

**المبحث الثالث : صفة الحياة الدنيا في السنة النبوية.**

## المبحث الأول : قيمة الحياة الدنيا

إن قيمة الحياة الدنيا تبدو واضحة من خلال الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي رفعت قيمة الدار الآخرة، وميزتها عن الدنيا، بل جعلت الهدف الأساسي الذي ينبغي الحرص عليه هو الدار الآخرة وهي المقصودة لذاتها، والحياة الدنيا وسيلة إليها، وقد جعل الله تعالى الفوز بالحياة الآخرة مرتباً بسعي الإنسان في الدنيا، فمن انحرف عن هدفه فلا فوز له، بل هو في الآخرة من الخاسرين — أعاذنا الله من الخسران — .

وما الحياة الدنيا التي نعيشها ونستمتع بها باللذات الجسدية من طعام وشراب، والمعنوية من جاه ومنصب، إلا أمر حقير متروك؛ لأنه فان زائل، كما قال تعالى : ﴿ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ ١٧ وقال : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ٦٠ وفي الحديث : (( والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع )) ٣ .

وهو ين شأن الدنيا على هذا النحو لمن آثرها على الآخرة، قال سعيد بن جبير : (( إنما هذا لمن آثرها على الآخرة، فأما من طلب الآخرة بما فإنها متاع بلاغ )) ٤ .

فمن فضل الدنيا على الآخرة، كان كمن اشترى صفقة خاسرة، غشه فيها البائع ودلس عليه، ثم تبين له فسادها ورداءتها.

وينبه الدكتور وهبة الزحيلي إلى أن المراد من قوله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَٰعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ٦٠ هو أن : ( هذه الحياة نفسها لا يمكن ذمها؛ لأنها بإرادة الله وحكمته، وخلقها وإيجاده، ولأنه لا يمكن التوصل إلى السعادة الأخروية إلا فيها، وإنما المقصود أن لذات الحياة الدنيا وطبيعتها لا دوام لها ، ولا يبقى منها عند انقراض الحياة إلا الحسرة والندامة، كاللهو واللعب يلتذ به، ثم بعد انتهائه لا يبقى منه إلا الندامة.

١ سورة الأعلى آية ١٦ — ١٧ .

٢ سورة القصص آية ٦٠ .

٣ صحيح مسلم ٤/٢١٩٣ . اللجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، برقم ٢٨٥٨ .

٤ مرجع سابق، الزمخشري، الكشاف ١/٤٨٦ .

٥ سورة الأنعام آية ٣٢ .

وأما قوله تعالى : ( وللدار الآخرة خير ) بصدد مقارنتها بالحياة الدنيا إلى أن خيرات الآخرة أفضل من خيرات الدنيا، وأن خيرات الدنيا خسيصة وخيرات الآخرة شريفة. ونتيجة المقارنة بين الدنيا والآخرة يتبين منها أن سعادات الدنيا وخيراتها مشوبة بعيوب كثيرة ونقصانات عديدة، وأن سعادات الآخرة مبرأة عنها، مما يدل قطعاً على أن الآخرة أكمل وأفضل وأبقى وأحرى وأولى ( ١ ) .

أما صاحب الظلال — يرحمه الله — فيرى أن هذه الآية ( تصور لنا القيمة المطلقة الأخيرة في ميزان الله للحياة الدنيا وللدار الآخرة .. هذا تقييم مطلق .. ولكنه في التصور الإسلامي لا ينشئ إهمالاً للحياة الدنيا ولا سلبية فيها ولا انعزلاً عنها .. وليس ما وقع من هذا الإهمال والسلبية والانعزال وبخاصة في حركات ( التصوف ) ( والزهد ) بنابع من التصور الإسلامي أصلاً. إنما هو عدوى من التصورات الكنسية الرهبانية؛ ومن التصورات الفارسية، ومن بعض التصورات الإشرافية الإغريقية المعروفة بعد انتقالها للمجتمع الإسلامي!

والنماذج الكبيرة التي تمثل التصور الإسلامي في أكمل صورة، لم تكن سلبية ولا انعزالية.. فهذا جيل الصحابة كله؛ الذين قهروا الشيطان في نفوسهم، كما قهروه في الأنظمة الجاهلية السائدة من حولهم في الأرض، حيث كانت الحاكمة للعباد في الإمبراطوريات .. هذا الجيل الذي كان يدرك قيمة الحياة الدنيا كما هي في ميزان الله، هو الذي عمل للآخرة بتلك الآثار الإيجابية الضخمة في واقع الحياة، وهو الذي زاول الحياة بحوية ضخمة ، وطاقة فائضة، في كل جانب من جوانبها الحية الكثيرة.

إنما أفادهم هذا التقييم الرباني للحياة الدنيا وللدار الآخرة، أنهم لم يصبحوا عبيداً للدنيا. لقد ركبوها ولم تركبهم، وعبدوها فذللوها لله ولسلطانه ولم تستعبدهم، ولقد قاموا بالخلافة عن الله فيها بكل ما تقتضيه الخلافة عن الله من تعمیر وإصلاح، ولكنهم كانوا يبتغون في هذه الخلافة وجه الله، ويرجون الدار الآخرة فسبقوا أهل الدنيا في الدنيا، ثم سبقوهم كذلك في الآخرة ! والآخرة غيب فالإيمان بها سعة في التصور وارتقاء في العقل والعمل لها خير للمتقين يعرفه الذين يعقلون ﴿ وَلِلدَّارِ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ( ٢ ) ( ٣ ) .

١ الزحيلي، الأستاذ الدكتور وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت — لبنان، ١٤١١هـ — ١٩٩١م،

١٨٠/٧ — ١٨١ بتصرف .

٢ سورة الأنعام آية ٣٢ .

٣ قطب، سيد ، في ظلال القرآن، ط٨، دار الشروق، بيروت — القاهرة، ١٣٩٩هـ — ١٩٩٧م، ١٠٧٢/٢ بتصرف.

ومن هوان الدنيا ما ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (( أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق، داخلاً من بعض العالية، والناس كَنَفْتُهُ ١ فمر بجدي أسك ٢ ميت فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال : أيكم يجب أن هذا له بدرهم ؟ فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء ، وما نصنع به ؟ فقال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حياً، كان عيباً فيه، لأنه أسك، فكيف وهو ميت ؟ فقال : فوالله للدنيا أهون على الله، من هذا عليكم )) ٣ .

الحديث فيه تشبيه وتمثيل النبي صلى الله عليه وسلم للدنيا بهذا الجدي الأسك الميت، والذي عافت الصحابة أخذه وإن كان حياً. وأقسم صلى الله عليه وسلم بالله ليؤكد لهم ما يقول، وهو هوان الدنيا على الله عز وجل وحقارتها عنده، من هوان هذه الميتة على البشر.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً شربة ماء )) ٤ . وهذا مثل لغاية القلة والحقارة .. أي : لو كان لها أدنى قدر ما متع الكافر منها أدنى تمتع. وهذا أوضح دليل وأعدل شاهد على حقارة الدنيا.

١ كنفته : الكنف : الجانب، كنفته : أحاطوا به من جانبيه، انظر : ابن الأثير، الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، اعنى به راند بن صبري بن أبي علفقة، طر (بدون)، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٥م، ص ٨٠٣ .

٢ أسك : أي مُصْطَلَم الأذنين مقطوعهما، انظر المرجع السابق، ص ٤٣٢ .

٣ صحيح مسلم ٤ / ٢٢٧٢ ، كتاب الزهد والرقائق، باب في الزهد في الدنيا وهوانها على الله عز وجل، برقم ٢٩٥٦ .

٤ سنن الترمذي ٤ / ٥٦٠، رقم ٢٣٢٠، كتاب الزهد، باب في هوان الدنيا على الله عز وجل، وقال أبو عيسى هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه، سنن ابن ماجه ٢ / ١٣٧٦، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم ٤١١٠، حديث صحيح، انظر : الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢ / ٢٩٩، رقم ٦٨٦ .

## المبحث الثاني : صفة الحياة الدنيا في القرآن الكريم

ولتكون الحياة الدنيا وما فيها واضحة لنا، فيحسن بنا أن نذكر الآيات القرآنية التي تحدثت بوضوح وجللاء عن أوصاف الحياة الدنيا ، ( فقد وردت أوصاف متعددة منها:

### ١ - أنها متاع الغرور:

متاع ليس له حقيقة، فهو إلى زوال، وفناء سريعين، يغتر بها الإنسان أياماً ثم تزول عنه أو يزول عنها، قال تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ متاع الغرور، قال الحسن : كخضرة النبات، ولعب البنات لا حاصل له.

وقال قتادة : هي متاع متروك توشك أن تضمحل بأهلها، فينبغي للإنسان أن يأخذ من هذا المتاع بطاعة الله سبحانه ما استطاع.

وقد أحسن من قال :

وَدَارُ الْفَنَاءِ وَدَارُ الْغَيْرِ	هِيَ الدَّارُ دَارُ الْأَذَى وَالْقَدَى
لَمْتُ وَلَمْ تَقْضِ مِنْهَا الْوَطْرَ	فَلَوْ نَلْتَهَا بِحَدَافِيرِهَا
وَطُولَ الْخُلُودِ عَلَيْهِ ضَرَّرَ	أَيًّا مَنْ يُؤْمِلُ طُولَ الْخُلُودِ
فَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْكِبَرِ ٢	إِذَا أَنْتَ سَبَتَ وَبَانَ الشَّبَابُ

أما سيد قطب يرحمه الله فيقول : (( إنها متاع، ولكنه ليس متاع الحقيقة، ولا متاع الصحة واليقظة. إنها متاع الغرور... المتاع الذي يخدع الإنسان فيحسبه متاعاً، أو المتاع الذي ينشئ الغرور والخداع ! فأما المتاع الحق .. المتاع الذي يستحق الجهد في تحصيله .. فهو ذلك.. هو الفوز بالجنة بعد الزحزحة عن النار )) ٣ .

وقال تعالى : ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٤﴾ .

١ سورة آل عمران آية ١٨٥ .

٢ طراد، قدم له وشرحه مجيد، ديوان أبي العتاهية، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص ١٦٣ .

٣ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن ١/٥٣٩ .

٤ سورة الرعد آية ٢٦ .

وفي هذه الآية الكريمة ((يذكر تعالى أنه هو الذي يوسع الرزق على من يشاء ،  
ويقتر على من يشاء، لما له في ذلك من الحكمة والعدل)) ١ .

( فبسط الرزق على الكافر لا يدل على كرامته، والتقتير على بعض المؤمنين لا  
يدل على إهانتهم . ( وفرحوا بالحياة الدنيا ) يعني مشركي مكة، فرحوا بالدنيا ولم  
يعرفوا غيرها، وجهلوا ما عند الله . ( وما الحياة الدنيا في الآخرة ) أي في جنبها .  
( إلا متاع ) أي متاع من الأمتعة ) ٢ .

وفيها أيضاً يقول الألوسي : (( والمراد أنها ليست إلا شيئاً نزرأ يُتَمَتَّع به كعجالة  
الراكب وزاد الراعي يزوده أهله الكف من التمر أو الشيء من الدقيق أو نحو  
ذلك . والمعنى أنهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة )) ٣

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَنْقُومِ اتَّبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾  
يَنْقُومِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ٤  
وفيها يقول ابن كثير : (( يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى، وآثر الحياة الدنيا،  
ونسي الجبار الأعلى، فقال لهم : ( يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ) لا كما  
كذب فرعون في قوله : ( وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ) ثم زهدهم في الدنيا التي قد  
آثروها على الأخرى وصدقهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام،  
فقال: (يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع ) أي : قليلة زائلة فانية، عن قريب تذهب  
وتضمحل.

(وإن الآخرة هي دار القرار) أي : الدار التي لا زوال لها، ولا انتقال منها، ولا  
ظعن عنها إلى غيرها بل إما نعيم .. وإما جحيم )) ٥ .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:  
(الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة)) ٦ .

قال المناوي<sup>١</sup> في شرح هذا الحديث : ( الدنيا مع دناءتها إلى فناء، وإنما خلق ما فيها  
لأن يُسْتَمْتَع به مع حقارته أمداً قليلاً ثم ينقضي والمتاع ما ليس له بقاء . وقال

١ مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥١٢/٢ .

٢ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ط٢، إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان، ١٩٦٦م، ٣١٤/٩ بصرف.

٣ العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه : علي عبد الباري  
عطية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ١٤١٥هـ — ١٩٩٤م، ١٤٠/١٣ .

٤ سورة غافر آية ٣٨ — ٣٩

٥ مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٨١/٤ .

٦ صحيح مسلم ١٠٩٠/٢، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، برقم ١٤٦٧ .



الطبيي : المتاع من التمتع بالشيء وهو الانتفاع به وكل ما ينتفع به من عروض الدنيا متاع، والظاهر أن المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبر بأن الاستمتاعا الدنياوية كلها حقيرة ولا يؤبه بها وذلك أنه تعالى لما ذكر أصنافها وملاذها في آية ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ ﴾<sup>١</sup> أتبعه بقوله (( ذلك متاع الحياة الدنيا )) ثم قال بعده : (( والله عنده حسن المآب )) . قال الحرالي<sup>٢</sup> : فيه إيحاء إلى أنها أطيب حلال في الدنيا أي أنه تعالى زين الدنيا بسبعة أشياء وأعمها زينة وأعظمها شهوة النساء لأنها تحفظ زوجها عن الحرام وتعينه على القيام بالأمر الدنياوية والدينية وكل لذة أعانت على لذات الآخرة فهي محبوبة ومرضية لله . قال الطبيي : وقيد بالصالحة إيداناً بأنها شر المتاع لو لم تكن صالحة<sup>٣</sup> .

## ٢ - أنها لعب ولهو وزينة وتفاخر :

هذا ما يغلب على الحياة الدنيا، بل هذه هي الحياة الدنيا، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾<sup>٤</sup> . وقال تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>٥</sup> . وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾<sup>٦</sup> .

<sup>١</sup> المناوي : محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري زين العابدين : من كبار العلماء بالدين والفنون، انزوى للبحث والتصنيف، كان قليل الطعام كثير السهر، له نحو ثمانين مصنفاً، انظر مرجع سابق، الأعلام للزركلي، ٢٠٤/٦ .

<sup>٢</sup> سورة آل عمران آية ١٤ .

<sup>٣</sup> الحرالي : علي بن أحمد بن الحسن الحرالي التنجي، أبو الحسن : مفسر من علماء المغرب، أطال الغريبي في الثناء عليه وقال : ما من علم إلا له فيه تصنيف، أصله من حرالة، وتوفي في حماة بسورة. انظر مرجع سابق : الأعلام للزركلي، ٢٥٦/٤ .

<sup>٤</sup> المناوي، العلامة المحدث محمد، عبد الرؤوف ، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط (بدون)، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ٥٤٨/٣ - ٥٤٩ بتصرف .

<sup>٥</sup> سورة الأنعام آية ٣٢ .

<sup>٦</sup> سورة العنكبوت آية ٦٤ .

<sup>٧</sup> محمد آية ٣٦ .

أي أن الحياة الدنيا : شيء يُلهى به ويُلعب، أي : ليس ما أعطاه الله الأغنياء من الدنيا إلا وهو يضمحل ويزول : كاللعب الذي لا حقيقة له ولا ثبات.

وقال تعالى : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مَصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴿١﴾

قيل اللعب : ما رغب في الدنيا، واللهو : ما ألهى عن الآخرة، أي : شغل عنها، وقيل: اللعب : الاقتناء، واللهو : النساء .

( وزينة ) الزينة : ما يُتزين به، فالكافر يتزين بالدنيا ولا يعمل للآخرة، وكذلك من تزين في غير طاعة الله . ( وتفاحر بينكم ) أي : يفخر بعضهم على بعض بها.

وقيل : بالخلقة والقوة . وقيل : بالأنساب على عادة العرب في المفاخرة بالآباء.

(وتكاثر في الأموال والأولاد ) لأن عادة الجاهلية أن تتكاثر بالأبناء والأموال . وتكاثر المؤمنين بالإيمان والطاعة )<sup>٢</sup>

وينبغي أن يُعلم أنه : ليس من اللهو واللعب ما كان من أمور الآخرة، فإن حقيقة اللعب ما لا ينتفع به ، واللهو ما يتلهى به، وما كان مراداً للآخرة خارج عنهما ، قال أحمد بن أبي الخوارى : (( قلت لأبي صفوان الرعيبي : أي شيء الدنيا التي ذمها الله في القرآن ينبغي للعامل أن يجتنبها ؟ قال : كل ما عملت في الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم، وكلما أصبت منها تريد به الآخرة فليس منها . فحدثت بها مروان ، فقال : الفقه على ما قال أبو صفوان ))<sup>٣</sup> .

١ سورة الحديد آية ٢٠ .

٢ مرجع سابق، خالد حسن رمضان، وصف الدنيا في الكتاب والسنة، ص ١١ - ١٥ بتصرف

٣ الأصبهاني، الخافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط (بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ، ٥/١٠ .

### ٣ - أنها حياة قصيرة كدورة حياة النبات:

يتعلق الإنسان بالحياة الدنيا، وينسى وهو في انبهاره بها وبزينتها، أنها حياة قصيرة، ونجد أن الله تعالى يضرب مثلاً للحياة الدنيا وأنها زهرة جميلة، ولكنها فانية، ونعمة عظيمة، ولكنها زائلة فقال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ٢٠ ﴾<sup>١</sup>، ويوضح هذا المثال ابن كثير في تفسيره فيقول :

( كمثل غيث ) وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس . وقوله تعالى : ( أعجب الكفار نباته ) أي يعجب الزراع ذلك الزرع الذي نبت بالغيث، وكما يعجب الزراع، كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها.

( ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً ) أي : يهيج ذلك الزرع فتراه مصفراً بعد ما كان خضراً نضراً، ثم يكون بعد ذلك حطاماً، أي يصير يبساً متحطماً، هكذا الحياة الدنيا، تكون أولاً شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزاً شوهاء، والإنسان يكون ذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضاً طرياً لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى، قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير، كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ٢١ ﴾<sup>٢</sup> .

ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير، فقال تعالى: (وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أي : وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا : إما هذا وإما هذا؛ إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان.. وقوله (وما الحياة

١ سورة الحديد آية ٢٠.

٢ سورة الروم آية ٥٤.

الدنيا إلا متاع الغرور ) أي : ( هي متاع فان غار لمن ركن إليه، فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أن لا دار سواها ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة )<sup>١</sup> .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنهَذَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>٢</sup> . وقال تعالى : ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا ﴾<sup>٣</sup> .

(ومعنى الآية : يقول تعالى : ( واضرب ) يا محمد للناس (مثل الحياة الدنيا) في سرعة زوالها وفنائها وانقضائها (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) أي ما فيها من الحب فشب وحسن وعلاه الزهر والنور والنضرة ثم بعد هذا كله ( أصبح هشيمًا ) يابسًا ( تذرؤه الرياح ) أي تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال )<sup>٤</sup> .

ويقول ابن القيم في تفسيره لآية يونس : ( شبه سبحانه الحياة الدنيا في أنها تنزير في عين الناظر، فتروقه بزيبنتها وتعجبه، فيميل إليها ويهواها، اغتراراً منه بما حتى إذا ظن أنه مالك لها قادر عليها، سلبها بغتة أحوج ما كان إليها، وحيل بينه وبينها. فشبهها بالأرض التي يتزل الغيث عليها، فتعشب ويحسن نباتها، ويروق منظرها للناظر، فيغتر بها، ويظن أنه قادر عليها، مالك لها، فيأتيها أمر الله فتدرك نباتها الآفة بغتة، فتصبح كأن لم تكن قبل شيئاً، فيخيب ظنه، وتصبح يداه منها صفراً. فهكذا حال الدنيا والوائق بما سواء . وهذا من أبلغ التشبيه والقياس. ولما كانت الدنيا عرضة لهذه الآفات، وجنة الآخرة سليمة منها، قال : ( والله يدعوا إلى دار السلام ) فسامها دار السلام؛ لسلامتها من هذه الآفات التي ذكرها

١ مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣١٤/٤ .

٢ سورة يونس آية ٢٤ .

٣ سورة الكهف آية ٤٥ .

٤ مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٨٦/٣ .

---

---

في الدنيا، فعم بالدعوة إليها، وخص بالهداية لها من يشاء، فذاك عدله.. وهذا  
فضله. (١)٢.

---

١ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، ط(بدون)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، ١/١٥٣ بتصرف.

٢ مرجع سابق خالد حسن رمضان، وصف الدنيا في الكتاب والسنة، ص ١١ — ص ٢١ بتصرف يسير.

## المبحث الثالث : وصف الحياة الدنيا في السنة النبوية

وردت في السنة النبوية المطهرة عدة صفات للحياة الدنيا ( منها ) :

### ١ - أن الله تعالى جعلها قليلاً :

فالحياة الدنيا مهما طال، وتنوعت فيها المتع والشهوات، فهي قليلة، في مدتها، وفي شهواتها، مقارنة بالآخرة الباقية، التي لا تنتهي لذائذها ونعيمها. وتوضيح ذلك في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله تعالى جعل الدنيا كلها قليلاً ، وما بقي منها إلا القليل، كالثَّعْبِ شَرِبَ صفوه، وبقي كدره)) ٢ .

(( يعني أنه مثل الدنيا كمثّل حوض كبير ملئ ماء وجُعِلَ مورداً للأنام والأنعام، فجعل الحوض ينقص على كثرة الوارد حتى لم يبق منه إلا وشل<sup>٣</sup> كدر في أسفله بالت فيه الدواب وخاضت فيه الأنعام. فالعاقل لا يطمئن إلى الدنيا ولا يغتر بها بعد ما اتضح له أنها زائلة مستحيلة، وأنه قد مضى أحسنها، وأنها وإن ساعدت مدة فالمرت لا محالة يدرك صاحبها ويخترمه)) ٤ .

### ٢ - أن ما يأكله الناس جعل مثلاً لها :

شهوات الدنيا في القلب كشهوات الأطعمة التي يتلذذ بتناولها الإنسان في المعدة، وعند الموت يجد لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا انتهت إلى المعدة غايتها.

عن الضحّاك بن سفيان<sup>٥</sup> رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (( إن الله عز وجل ضرب ما يخرج من بني آدم مثلاً للدنيا )) ٦ . وعن أبي رضي الله عنه

<sup>١</sup> الثَّعْبُ والثَّعْبُ : الموضع المظمن في أعلى الجبل يستنقع فيه ماء المطر. وقيل هو غدير في غلظ من الأرض أو على صخرة ويكون قليلاً، انظر مرجع سابق، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ١٢١ ..

<sup>٢</sup> المستدرک علی الصحیحین ٤/٣٥٦، كتاب الرقاق، برقم ٧٩٠٤، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، حديث حسن، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٤/١٦٤، برقم ١٦٢٥ .

<sup>٣</sup> وشل : الوشل : الماء القليل، انظر مرجع سابق، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٩٦٢ .

<sup>٤</sup> مرجع سابق، المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/٢٢١

<sup>٥</sup> الضحّاك بن سفيان بن عوف بن أبي بكر بن كلاب الكلبي ابو سعيد، قال أبو عبيد : صحب النبي صلى الله عليه وسلم وعقد له لواء، وقال الواقدي : كان على صدقات قومه، وكان من الشجعان يعد بمائة فارس، وكان سيفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً على رأسه متوشحاً بسيفه. انظر : ابن حجر، شهاب الدين الفقيه أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي، الإصابة في تمييز الصحابة، ط(بدون)، دار الكتاب العربي، ١٩٨٨/٢ .

<sup>٦</sup> مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/٤٥٢، برقم ١٥٧٨٥، المعجم الكبير ٨/٢٩٩، برقم ٨١٣٨، حديث حسن، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١/٧٣١، رقم ٣٨٢ .

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (( إن مطعمَ ابنِ آدمٍ قد ضُربَ مثلاً للدنيا، وإن قَرَّحَهُ<sup>١</sup> وملَّحَهُ، فانظر إلى ما يصير )) ٢ .

وقال الرّمحشري : (( معناه أن المطعم وإن تكلف الإنسان التفوق في صنعته وتطبيبه وتحسينه فإنه لا محالة عائد إلى حال يستقذر، فكذا الدنيا الخروس على عمارتها ونظم أسبابها راجعة إلى خراب وإدبار .

وقال الديلمي : هذا كناية عن البول والغائط ، يعني ما يخرج منه كان قبل ذلك ألواناً من أطعمة طيبة، وشراباً سائغاً فصارت عاقبته ما ترون.

فالدنيا خضرة حلوة، والنفس تميل إليها، والجاهل بعاقبتها ينافس في زينتها، ظاناً أنها تبقى أو هو يبقى.

وكما أن في الأطعمة كلما كانت ألد طعماً وأكثر دسماً وحلاوة كان رجيحها أفدر، فكذا كل شهوة في النفس ألد وأقوى فالتأذي بها عند الموت أشد))<sup>٣</sup>

### ٣ - أنها حلوة خضرة :

فالدنيا مليئة بالمتع والشهوات، من مطعم ومشرب وملبس ومنكح، وغيره. فهذا موطن الابتلاء فقد يقع الإنسان الغافل ويظن أنه خلق ليتمتع فيها كما شاء، فتغريه بخضرتها وجمالها وينسى حق الله عليه فيها.

وهذا ما نجده في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (( إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ))<sup>٤</sup>  
(( يريد أن للدنيا ظاهراً وباطناً، )) فظاهرها : ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها، وإليه أشار قوله سبحانه : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ

<sup>١</sup> أي تَوَرَّعَهُ، من القَرَّح وهو التابُّ الذي يُطرح في القَدْر كالكُمون والكُزْبرة ونحو ذلك يقال قَرَّحْتُ القَدْرَ إذا تَرَكْتُ فيها الأَبْزِيرَ، انظر مرجع سابق، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٧٣٨.

<sup>٢</sup> مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٣٦/٥، برقم ٢١٢٧٧، المعجم الكبير ١٩٨/١، برقم ٥٣١، حديث حسن، انظر صحيح الجامع ٢١٩١، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٧٣١/١، رقم ٣٨٢.

<sup>٣</sup> مرجع سابق، المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢٢١/٢.

<sup>٤</sup> صحيح مسلم ٢٠٩٨/٤، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، برقم ٢٧٤٢.

الدُّنْيَا ﴿١﴾ وحقيقتها : أنها مجاز - أي معبر - إلى الآخرة، يتزود منها إليها بالطاعة والعمل الصالح ((٢).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((حُلوة الدنيا مُرة الآخرة، ومرة الدنيا حُلوة الآخرة)) (٣).

قال المناوي : ((يعني لا تجتمع الرغبة فيها والرغبة في الله والآخرة بها ، ولا يسكن هاتان الرغبتان في محل واحد إلا طردت إحداهما الأخرى، واستبدت بالمسكن، فإن النفس واحدة والقلب واحد، فإذا اشتغلت بشيء انقطع عن ضدّه.)) (٤).

### ٤ - أنها سجن المؤمن، وجنة الكافر :

إن الدنيا للمؤمن ليست هي الدار التي يمرح فيها ويستريح، وليست هي الدار التي يفعل فيها ما يشتهي ويرغب، بل هو مقيد، كما أن السجين تقيد حريته، فكذا المؤمن تقيد شهواته عن كل حرام، ولا ينطلق إلا في الجنة، وفي المقابل الدنيا جنة للكافر ، فلا دين يحجزه عن الحرام، ولا مراقبة للعزيم العلام، ولهذا جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر )) (٥). ومعناه : (( أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقّة، فإذا مات استراح من هذا، وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان.

وأما الكافر : فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا من قلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد)) (٦).

### ٥ - أنها ملعونة :

فما كان من أمر الدنيا مقطوع الصلة بالله عز وجل، والإيمان به، والعلم النافع الذي يوصل إليه، فهو مبعّد عن الله، متروك لا يؤبه له. ويقرر هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (( إن الدنيا ملعونة،

١ سورة الروم آية ٧

٢ مرجع سابق، المناوي، فيض القدير، ٣/ ٥٤٥.

٣ مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٤٢/٥، حديث أبي مالك الأشعري، برقم ٢٢٩٥٠، المستدرک علی الصحیحین ٤/ ٣٤٥، كتاب الرقاق، برقم ٧٨٦١.

وانظر صحيح الجامع ٣١٥٠. حديث صحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٤/ ٤٣١، برقم ١٨١٧.

٤ مرجع سابق، المناوي، فيض القدير، ٣/ ٣٩٦ - ٣٩٧.

٥ صحيح مسلم ٤/ ٢٢٧٢، كتاب الزهد والرفائق، باب في الزهد في الدنيا وهوانها على الله عز وجل، برقم ٢٩٥٦.

٦ شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ١٨/ ٩٣.



ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله وما والاه، وعالمًا أو متعلمًا )) ١ . يمكن أن يكون المراد بلعنها : ( ملاذ شهواتها وجمع حُطامها، وما زين من حب النساء والبنين وقناطر الذهب والفضة وحب البقاء بما . فيكون قوله : ملعونة : متروكة مبعدة، متروك ما فيها .

واللعن : الترك . (إلا ذكر الله وما والاه) : يعني ملعون ما في الدنيا إلا ذكر الله، وما أحبه الله مما يجري في الدنيا، وما سواه ملعون .  
( وعالمًا أو متعلمًا ) : أي هي وما فيها مبعدة عن الله تعالى إلا العلم النافع الدال على الله؛ فهذا هو المقصود منها ) ٢ .

قال أبو العباس القرطبي : (( لا يفهم من هذا الحديث إباحة لعن الدنيا وسبها مطلقاً وإنما المباح لعنه من الدنيا ما كان مبعداً عن الله وشاغلاً عنه، كما قال بعض السلف : كل ما شغلك عن الله من مال وولد فهو عليك مشؤوم وأما ما كان من الدنيا يقرب من الله ويعين على عبادة الله جل جلاله فهو المحمود بكل لسان والمحبوب لكل إنسان فمثل هذا لا يسب بل يرغب فيه ويجب وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم إلا ذكر الله وما والاه . )) ٣ ( ٤ .

## وخلاصة القول :

قد يفهم البعض مما ذكرته عن قيمة الحياة الدنيا أنها حقيرة ولا تستحق بذل الجهد والعمل فيها، فينفض يده منها، ويترك السعي فيها؛ لذا أحببت أن أنوه أن هذه الصورة المشوهة للدنيا ليست المقصودة حقيقة مما ذكرته وإليكم بيان ذلك :

هناك آيات كريمة دعت إلى نبذ الحياة الدنيا واحتقارها، ولكن في سبيل وصول الإنسان لأهداف عليا، أو الدفاع عن عزة الدين، كما في قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ٥ .

١ سنن الترمذي ٥٦١/٤، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله، برقم ٢٣٢٢، سنن ابن ماجه ١٣٧٧/٢، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم ٤١١٢، وانظر صحيح الجامع ١٦٠٥، حديث حسن، انظر صحيح سنن ابن ماجه للألباني ٢٩٥/٢، برقم ٣٣٢٠.  
٢ مرجع سابق، المناوي، فيض القدير، ٥٤٩/٣ باختصار .  
٣ مرجع سابق، المناوي، فيض القدير، ٣٢٦/٢ حاشية ٣  
٤ مرجع سابق خالد حسن رمضان، وصف الدنيا في الكتاب والسنة، ص ٢٣ — ص ٢٨ بتصرف .  
٥ سورة التوبة آية ٣٨ .

وهناك آيات دعت كذلك إلى نبذ الدنيا؛ ولكن إذا كان نبذها يؤدي بالمؤمنين إلى التسامح وعدم التكالب على متع الحياة الدنيا، والتغلب على الشح، وغيره من مكارم الأخلاق التي قام عليها ديننا الحنيف، كما قال تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴾ ﴿١٤﴾ قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَهْمْنَا فَأَعْزَفْنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴿١﴾

وهناك شريحة من المسلمين تنظر للحياة الدنيا النظرة المشوهة، لذا نجد الاستسلام للأمر الواقع، مهما كان فيها من الذل والانكسار، وترك العمل والحركة، ظانين أن تعاليم القرآن تقتضي ذلك وهي بخلافه.

وفي هذا الموضوع تحدث الأستاذ محمد عزة دروزة وأفاض وأبان فقال: ( هذه الصورة المستقرة في ذهن الجمهور الإسلامي ليست جديدة، وقد نشأت على ضعف السلطان العربي ثم زواله، وعن ما دخل على التعاليم القرآنية من شوائب وشبهات ونزعات؛ بقصد النكاية بالإسلام، وقد أدى ذلك إلى وجود طبقة من المنتسبين للدين راحت تبث الفتور والزهد والانقباض عن الدنيا، وتذم الحركة والنشاط والطموح؛ بل وتحاربه بشتى الوسائل. وتحاول تصوير الحياة الدنيا بصورة قائمة، يجب على المسلم العاقل أن ينفذ يده منها.

إن الذي يعنى النظر في الآيات القرآنية الواردة في صدد وجود الإنسان في الحياة وأعماله وأخلاقه الشخصية والاجتماعية، وعلاقته بالمجتمع والأفراد، تلك العلاقة المتشابكة المتعددة النواحي التي تقتضي منه سعياً وجهداً وتفكيراً وعملاً، لا يلبث أن تمتلئ نفسه بالحقيقة الكبرى، وهي أن تعاليم القرآن تجعل هذه الأعمال والأخلاق والعلاقة — وبالتالي هذه الحياة — موضوعاً جوهرياً من مواضيعها. وتعتبر إصلاح الإنسان في أخلاقه الشخصية والاجتماعية، وإصلاح المجتمع الإنساني وتوجيههما إلى الخير والحق والكمال هدفاً رئيسياً من أهدافها. وتتخذ الحياة الأخروية، وما فيها من ثواب وعقاب، وازعاً للإنسان يزعه عن الشر والإثم، وحافزاً يدفعه إلى الخير والبر والعدل والحق والتعاون والإصلاح، بالإضافة إلى ما فيها من الحقيقة التي يجب الإيمان بها، وما في ذلك من

---


---

حكمة ربانية أن تكون هذه الحياة ليوفى الناس فيها حسابهم عن أعمالهم في الدنيا، خيراً كانت أو شراً (١).

إذا الاستمتاع بما أوجد الله في الأرض من الحلال الطيب أمر ثابت، ولكن الأمر الذي نعينه في هذا البحث هو اشتغال القلب وتعلقه الدائم بها، وجعلها هدفاً له في حياته بحيث ينصرف عن طاعة الله، أو قد يقع فيما حرم الله من جراء لهته للحصول على هذه الشهوات والمتع بأي وسيلة كانت.

---

١ دروزة، محمد عزة، الدستور القرآني والسنة النبوية في شؤون الحياة، ط ٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، ص ٢٢ - ص ٣٤ بتصرف.



## **الباب الأول**

### **الحياة الدنيا في القرآن الكريم**

الفصل الثاني : الصفات والأعمال الموقعة في فتنة  
الحياة الدنيا كما وردت في القرآن الكريم

## الصفات والأعمال الموقعة في فتنة الحياة الدنيا كما وردت في القرآن الكريم

إن طبيعة الإنسان قائمة على حب الدنيا حباً شديداً، وحب الدنيا والتعلق بها أصل كل بلاء وفتنة، لأنه إذا أحبها أصبحت همه، فيحاول التوصل إليها بما استطاع من أعمال، وفي هذا يقول تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾<sup>١</sup> أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>٢</sup>

١، ويقول ابن القيم عن هؤلاء الذين جعلوا الدنيا غايتهم فأحبوها كل الحب: (إن محبتها تعترض بين العبد وبين فعل ما يعود عليه نفعه في الآخرة باشتغاله عنه بمحبوبه، والناس ها هنا مراتب: فمنهم من يشغله محبوبه عن الإيمان وشرائعه، ومنهم من يشغله حبه عن كثير من الواجبات، ومنهم من يشغله عن واجب يعارض تحصيلها — وإن قام بغيره —، ومنهم من يشغله عن القيام بالواجب في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي؛ فيفرط في وقته وفي حقوقه، ومنهم من يشغله عن عبودية قلبه في الواجب، وتفرغه لله عند أدائه؛ فيؤديه ظاهراً لا باطناً، وأين هذا من عشاق الدنيا ومحبيها، هذا من أندرهم وأقل درجات حبه أن يشغل عن سعادة العبد، وهو تفرغ القلب لحب الله، ولسانه لذكره، وجمع قلبه على لسانه، وجمع لسانه وقلبه على ربه، فعشقتها ومحبتها تضر بالآخرة ولا بد، كما أن محبة الآخرة تضر بالدنيا) ٢.

ثم إنهم مع شدة حبهام لها، وانبهارهم بها، يفرحون بما يحصلون فيها، ولكنه فرح بطر وكبر، لا فرح شكر للمنعم سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾<sup>٣</sup> قال النسفي: (والمعنى أن الله وحده هو يبسط الرزق ويقدر دون غيره. (وفرحوا بالحياة الدنيا) بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئاً نزرأ يتمتع به كعجلة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق) ٤.

١ سورة هود آية ١٥ — ١٦.

٢ ابن قيم الجوزية، الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ط ٤، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م، ص ٢٦٢ — ٢٦٣.

٣ سورة الرعد آية ٢٦.

٤ النسفي، الإمام الجليل العلامة أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (طردون)، دار الكتاب العربي، بيروت — لبنان، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م، ٢/٢٤٩.

وهذا لا يعني أن الدنيا مذمومة مطلقاً، ولا أن ما فيها من زينة وطيبات حراماً بذاتها، لكن الأمر الذي نحذر منه أن يشغل القلب والفكر بها، فتصده عن ذكر الله وطاعته، وإلا فهذا أحد أصحاب سلمة بن دينار<sup>١</sup> وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم جاءه يشتكي علة إيمانية يعاني منها، لعله يجد دواء شافياً عند من يثق بعلمه ودينه، فقال : (( إني لأجد شيئاً يحزنني، قال : وما هو يا ابن أخي ؟ قلت : حبي للدنيا . قال : اعلم أن هذا لشيء ما أعاتب نفسي على بعض شيء حبه الله إليّ، لأن الله قد حب هذه الدنيا إلينا. لتكن معاتبتنا أنفسنا في غير هذا : ألا يدعوننا حبها إلى أن نأخذ شيئاً من شيء يكرهه الله، ولا أن نمنع شيئاً من شيء أحبه الله. فإن نحن فعلنا ذلك لم يضرنا حيناً إياها)) ٢.

فحب الدنيا ليس مذموماً لذاته، وإنما المذموم طريقة تعاملنا معها. فإذا كان حب الدنيا متمكناً لدرجة تجعل صاحبها لا يهتم إلا قضاء شهوته فيها، والوصول إلى غاياته دون ضوابط فهو وراء المرأة في السوق، أو الهاتف، أو شرب الخمر، أو الكسب الحرام، واللعب، والزينة، والفخر، والجاه، وكل ما يعتبره لذيقاً، دون قيود فهذا هو المذموم.

وسوف نمر على بعض صفاتهم التي وردت في القرآن الكريم وتبين لنا شدة تعلقهم بالدنيا وانشغالهم، وتركهم الآخرة والاستعداد لها، وهي كالتالي :

### أ- ويندرج تحتها الصفات التالية :

#### أولاً : الجهل :

وأقصد بالجهل هنا عدة جوانب منها :

١ الجهل بدين الله.

٢ الجهل بحقيقة الدنيا، وأنها لا تدوم.

فأما الجانب الأول وهو الجهل بدين الله : فهذا ما أدى بهم إلى التخطيئاً وشمالاً، والاستجابة لما يهيج في نفوسهم من شهوات، غير مراعين لحكم الشرع والدين، وما ذلك إلا لجهلهم ، في حين أن الله تعالى يوجه نداءه للمؤمنين يحذرهم من ذلك قائلاً : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ

وَرَسُولِهِ ؕ وَأَنفُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

<sup>١</sup> هو سلمة بن دينار الإمام القدوة، الواعظ، شيخ المدينة النبوية، أبو حازم المدني، المخرومي، ولد أيام الزبير وابن عمر، وروى عن سهل بن سعد، مات في خلافة أبي جعفر، بعد سنة أربعين ومئة، قال ابن سعد عنه : كان ثقة كثير الحديث. انظر : الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ٦ / ٩٦ - ١٠٣ بتصرف.

٢ المرجع السابق، ٦ / ٩٨ - ٩٩.

٣ سورة الحجرات آية ١.

وقد ذكر أبو بكر الجزائري في الآية كلاماً جميلاً فقال: ((أي لا تقولوا ولا تعملوا إلا تبعاً لما قال الله ورسوله، وشرع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك لأنه من غير الأدب أن يقدم العبد رأيه، وما يراه على ما يراه ويقول سيده، وقد ذكر لنا العلماء قاعدة: { لا يجلب المؤمن القدوم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه } وهذه القاعدة تحث المؤمنين على طلب العلم؛ إذ لو أخذ بها المسلمون لما بقي فيهم ولا بينهم جاهل بحكم الله ورسوله في كل قضايا الحياة. وكان للكتاب والسنة شأن عظيم بينهم؛ لقوله تعالى: ( لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) لا قولاً ولا عملاً ولا رأياً ولا فهماً أو ذوقاً كما يقولون حتى يعلم الحكم بالمنع أو الجواز . فيصبح على بينة من أمره، وكيف والله تعالى يقول: ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>١</sup>، وبهذا لا يبقى بين المؤمنين جاهل ولا جاهلة)) ٢.

ومن الجهل أيضاً محاولة إرضاء الناس ولو بسخط الله عز وجل، وقد ورد تحذير شديد من ذلك الفعل، لأنه حتماً يؤدي إلى سخط الله عز وجل، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من أسخط الله في رضى الناس سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاه في سخطه، ومن أرضى الله في سخط الناس رضى الله عنه وأرضى من أسخطه في رضاه، حتى يزينه ويزين قوله وعمله)) ٣.

وهذا يحدث لبعض الناس، فنجده يعمل المنكر إرضاء للناس، وهناك من يخون الأمانة في عمله إرضاء لصديقه، وهناك من تترك حجابها الذي افترضه الله عليها إرضاءً لزوجها، وهناك من يعق والدته إرضاءً لزوجته، وهناك من يقعون في الإسراف والتبذير إرضاءً للناس، وهكذا، وهذا أمر خطير فإن إرضاء الناس غاية لا تدرك، ثم إنه طالما أَرْضَاهُمْ بما يسخط ربه فإن الجزاء من جنس العمل، فيسخط ربه عليه ثم يُسخط من أسخطه بسببه من الناس..

وأما الجانب الثاني: وهو الجهل بحقيقة الدنيا، فقد أثبتته عز وجل بقوله: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾<sup>٤</sup>، وقد قال سيد قطب في تفسير هذه الآية: ((الغفلة عن الآخرة تجعل كل مقاييس الغافلين تختل؛ وتؤرجح في أكفهم ميزان القيم؛ فلا يملكون تصور الحياة وأحداثها وقيمتها تصوراً صحيحاً؛ ويظل علمهم بما ظاهراً سطحياً ناقصاً، لأن حساب الآخرة في ضمير الإنسان يغير نظرتة لكل ما يقع في هذه الأرض . فحياته على الأرض إن هي إلا

١ سورة النحل آية ٤٣.

٢ الجزائري، أبو بكر، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ط (بدون)، دار السلام، مصر - القاهرة، ص ١٦٥ - ١٦٦.

٣ المعجم الكبير ١١/٢٦٨، برقم ١١٦٩٦، حديث صحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٥/٣٩٢، برقم ٢٣١١..

٤ سورة الروم آية ٧.

مرحلة قصيرة من رحلته الطويلة في الكون، والأحداث والأحوال التي تتم في هذه الأرض إن هي إلا فصل صغير من الرواية الكبيرة. ومن ثم لا يلتقي إنسان يؤمن بالآخرة ويحسب حسابها، مع آخر يعيش هذه الدنيا وحدها ولا ينتظر ما وراءها، فلكل منهما ميزان، ولكل منهما زاوية للنظر، هذا يرى ظاهراً من الحياة الدنيا؛ وذلك يدرك ما وراء الظاهر من روابط وسنن ونواميس شاملة للظاهر والباطن، والغيب والشهادة، والدنيا والآخرة، والموت والحياة، والماضي والمستقبل، وعالم الناس والعالم الأكبر الذي يشمل الأحياء وغير الأحياء، وهذا هو الأفق البعيد الواسع الشامل الذي ينقل الإسلام البشرية إليه؛ ويرفعها فيه إلى المكان الكريم اللائق بالإنسان، المستخلف بحكم ما في كيانه من روح الله ((

وإن كانت هذه الآية قد نزلت بشأن الكفار، لكن معناها ينطبق على كثير من المسلمين اليوم، فقد نطقوا بالشهادتين، ولكنهم لم يطبقوا ما يقتضيه هذا النطق بالشهادتين، فانغمسوا في ملذات الدنيا، ظانين أنها ستدوم، فهم يحاولون الظفر بكل متعة، مهما كان مصدرها، وما هذا إلا جهل بحقيقة الدنيا، فإن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم جميعاً، لما علموا حقيقتها، اتخذوها معبراً للآخرة، ولم يفسدوا آخرتهم بديانهم.

### ثانياً: التكذيب بآيات الله والاستهزاء بها :

نجد بعضاً من المسلمين، يكذبون بآيات الله، بل ويستهزؤون بها، إن لم يكن بألسنتهم، فبأحوالهم، وتأبيدهم، وذلك نلاحظه واضحاً في عدم قبول أحكام الله، ورفضها، سواء الحجاب، أو في الحدود، أو غيرها من الأمور، وأما الاستهزاء فعن طريق الطُرف التي تنتشر بين هؤلاء الناس استهزاء بالله ورسوله والمؤمنين، فهؤلاء وأمثالهم معرضون لغضب الله تعالى، حيث قال تعالى محذراً من ذلك : ﴿ تَمَرَّكَانَ عَقِبَةَ الَّذِينَ أَسْأَوْ السُّوءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ . ٢

( أي كانت السوأى عاقبتهم لأنهم كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون )<sup>٣</sup>

وفي تفسير الآية أيضاً يقول الدكتور وهبة الزحيلي : ( أي ثم كان مصير المسيئين العذاب ( السوأى ) في الدنيا بالهلاك وفي الآخرة بالخلود في نار جهنم، بسبب أمرين :

أ. تكذيبهم بآيات الله ودلائله الدالة على وجوده ووحدانيته.

ب. واستهزائهم بها وسخريتهم منها .

<sup>١</sup> مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن ٢٧٥٩/٥ بتصرف يسير.

<sup>٢</sup> سورة الروم آية ١٠.

<sup>٣</sup> مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ٤٢٨/٣.



فقوله : ( ثُمَّ كَانَ عَقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا السُّوَاءَ ) معناه : كانت السوأى عاقبتهم : لأنهم كذبوا بآيات الله ، وكانوا بها يستهزؤون . والإساءة : التكذيب والاستهزاء ، وعبر عن العقاب بالجريمة الصادرة من الكفار ، على سبيل المشاكلة<sup>١</sup> ( ٢ ) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثَلْتُمْ<sup>٢</sup> إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۖ ﴾<sup>٣</sup> قال النسفي في تفسير هذه الآية : ( وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به فنهي المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه ، وكان المنافقون بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين بمكة فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة (( إنكم إذا مثلتم )) في الوزر إذا مكثتم معهم ، (( إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً )) لاجتماعهم في الكفر والاستهزاء<sup>٤</sup> والكلام لا يقتصر على الكفار الذين أنكروا الآيات ، وكذبوا بها ، وإنما الوعيد يلحق المسلمين الذين يفعلون مثل الكفار ، ويقلدوهم في غيرهم وضلالهم .

### ثالثاً : الحرص على المصالح الشخصية :

ما من إنسان إلا وله مصالح شخصية خاصة ، ولا يلومه أحد في تحصيلها ، ولكن عندما يصبح الحصول عليها هدفاً ، يجعل الإنسان يرتكب المحرمات ، ويغفل عن الطاعات ، فإننا هنا نتوقف ، وكما يقول الإمام أبو عبد الله المقدسي<sup>٥</sup> يرحمه الله : (( والناس على ضربين : عالم يغلبه هواه فيتوانى عن العمل ، وجاهل يظن أنه على الصواب ، وهذا الأغلب على الخلق ، فالأمير يراعي سلطنته ولا يبالي بمخالفة الشرع ، أو يرى بجهله جواز ما يفعله ، والفقير هتمته ترتيب الأسئلة ليقهر الخصم ، والقاص هتمته تزويق الكلام ليعجب السامعين ، والزاهد مقصوده تزيين ظاهره بالخشوع لتقبل يده ويتبرك به ، والتاجر يمضي عمره في جمع المال كيفما اتفق ففكره مصروف إلى ذلك عن النظر إلى صحة العقود ، والمغرى بالشهوات منهمك على تحصيل غرضه تارة بالمطعم وتارة بالوطء وغير ذلك ، فإذا ذهب العمر في هذه الأشياء ، وكان القلب مشغولاً بالفكر في تحصيلها ، فمتى تنفرغ لإخراج

<sup>١</sup> المشاكلة : الموافقة والتشاكل مثله ، انظر مرجع سابق ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٥٧/١١

<sup>٢</sup> مرجع سابق ، الزحيلي ، التفسير المنير ، ٥٥/٢١ — ٥٦ بتصرف .

<sup>٣</sup> سورة النساء آية ١٤٠ .

<sup>٤</sup> مرجع سابق ، النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق ، ٢٥٧/١ بتصرف يسير .

<sup>٥</sup> الشيخ الإمام العالم الفقيه المناظر شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن خلف بن راجح ، المقدسي الجماعلي الخنلي ، ولد سنة خمسين وخمس مئة ظناً ، كان كثير الخير والصلاة ، سليم الصدر ، توفي سنة ثمانين عشرة وست مئة . انظر : مرجع سابق ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٥٦/٢٢ — ١٥٨ .

زيف القصد من خالصه، ومحاسبة النفس في أفعالها، ودفع الكدر عن باطن السر، وجمع الزاد للرحيل، والبدار إلى تحصيل الفضائل والمعالي؟ ((١ .  
وأكثر الناس على ذلك، الحرص على تحصيل المصالح العاجلة، وتزوينها، ونسيان الآخرة، وهذا من أكثر ما يوقع في الفتن، والمعاصي، والبعد عن الله عز وجل، فيجب التفطن لذلك، والحذر منه.

### ب : الإغراق في المعاصي :

تختلف طبائع الناس، وطاعتهم بمقدار حبهم لله عز وجل، ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهناك قوي الإيمان الذي يخشى الله ويطيعه، ويراقبه في السر والعلن، ولا يعصيه، ولكن هناك من تغلب عليه شهوته، فلا يجد طريقاً لمغالبتها، ودفعها، فيقع في الزلل، وارتكاب الفواحش، والتعرض للخلق بالإيذاء، سواء بالسرقة، أو القتل، أو هتك أعراضهم، أو غيره من المعاصي التي لا يتورع عن فعلها متى ما اشتهاها.

ونجد أن الناس في المعاصي على قسمين : نأخذهما من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( كل أمتي معافي إلا الجاهرين، وإن من الجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه )) ٢

يقول ابن حجر في شرح هذا الحديث : (وفي رواية وإن من المجانة والماجن هو الذي يستهتر في أموره وهو الذي لا يبالي بما قال وما قيل له، والمجانة مذمومة عرفاً وشرعاً، فيكون الذي يظهر المعصية قد ارتكب محذورين : إظهار المعصية وتلبسه بفعل المجان. قال ابن بطال : في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحى المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف، لأن المعاصي تذلل أهلها، وتفوت عليهم ستر الله لهم في الآخرة؛ لأن الحديث مصرح بدم من جاهر بالمعصية فيستلزم مدح من استتر، وأيضاً فإن ستر الله مستلزم لستر المؤمن على نفسه، فمن قصد إظهار المعصية والمجاهرة بها أغضب ربه فلم يستره )<sup>٣</sup>  
ويأتي الدكتور كامل الدقس ويشرح الحديث ويقسم الناس إلى أربعة أقسام :

١ ابن مفلح المقدسي، الإمام الفقيه احدث أبو عبدالله محمد، الآداب الشرعية، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وعمر القيام، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ٢٢٤/٢.

٢ صحيح البخاري ٢٢٥٤/٥، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، برقم ٥٧٢١.

٣ ابن حجر، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط١، دار البيان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٥٠٢/١٠ - ٥٠٣ بتصرف.

( القسم الأول: قسم يفعل المعصية، ولكنه يستتر، فلا يفعلها أمام الناس خشية الفضيحة، أو سقوط قيمته ومرتبته عند الناس، ومثل هذا النوع تدركه المعافاة والسلامة، مما قد يجره عليه اطلاع الناس، ومعرفتهم بما عمل، وقد ييسر له الله باباً للتوبة، فيعود إلى الله ويدخل فيمن قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ فَمَا لَهُ مِنْ حِزْبٍ إِلَّا أَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ١، وربما يقبلهم الله، لعدم نشرهم المنكر، بإخفائه عن الناس، فلا يقتدي بهم أحد في فسقهم.

والقسم الثاني من العاصين فيقول عنهم: وهناك صنف: غلبت عليه شقوته، وحرَم الحياء من الله، فارتكب ما حرم الله، وحرَم الحياء من الناس، فجاهر بالمعصية وأعلن جريمته. فهؤلاء هم أخبث الناس نفساً، وأجراًهم على الله، لا يتسحيون من محاربة الله، ومبارزته بالمعاصي يتبجحون بانتهاك الحرمات، دون مبالاة أو مداراة، وكأن الوقاحة قد استبدت بالواحد منهم فجعلته لا يكتفي بارتكاب المعصية، بل يعالن بها ويجاهر، تراه وقد أريق ماء الحياء من وجهه، فلا يخشى الله ولا يخشى الناس، تراه وقد انطلق كالأفعى ينفث سمومه في الطرقات والنواصي والبيوت، فإذا ما رأى سيدة أو فتاة اقتفى أثرها يمشي خلفها إذا مشت، ويقف إذا وقفت، ويدخل المتجر إذا دخلت، وهكذا يتبعها ويشدد الخناق عليها، وهو يحنق الفضيلة على ملأ من الناس، غير مكترث بغيرة الله، ولا عابئ بكرامة الناس !!

هذا الصنف في حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تناله رحمة الله ولا معافاته، لا في جسمه ولا في كرامته، ولا يحظى بالسلامة، فهو عند الناس دائماً في موضع السخط والازدراء، وهو عند الله تعالى في موضع الطرد والحرمان.

هؤلاء المجاهرون الذين عناهم الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه، ومن جملتهم المعلنون لفسقهم، المجاهرون بعصيانهم، المستهينون بدينهم، الذين يشربون الخمر على قارعة الطريق، ويرتادون الفاحشة جهاراً، ويتعاملون بالربا علناً، ويلعبون الميسر في النوادي، ويجاهرون بترك الصلاة، ومنع الزكاة، ويغشون في المطاعم، والمقاهي في رمضان على مرأى من الناس، وبأخذون الرشا أمام العيون، فهؤلاء ليسوا بمعافين، وليسوا من الأذى بسالمين، ولا من الشر بآمنين.

فقدوا الحياء، ومات عندهم الوازع، فأولئك يزيدهم الله ضلالاً إلى ضلالهم، وفسقاً إلى فسقهم، عقاباً لهم على مجاهرهم ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ ٢، ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا ﴾

١ سورة آل عمران آية ١٣٥.

٢ سورة البقرة آية ١٠.

اللَّهُ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾ ، فالتوبة منهم غير مأمولة، والنصيحة غير مقبولة، فكيف يرجى لهم من الله عفو، ويؤمل عنهم صفح، وسنته ونظامه سبحانه أن عفوه للتائبين، وصفحه للمنبيين.

وينبغي أن نفهم من كل هذا أن الله تبارك وتعالى إنما يعفو عن مرتكب الخطيئة المستورة إذا أقدم عليها، وتاب منها، واستغفر ربه بعدها، واستشعر أنه أخطأ في ارتكابها، وأما إذا ما أتانا متعمداً لها، وعاودها مصراً عليها، فإنه قد لا يكون معافي، بل هو تحت رحمة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه.

وقد يسيء بعض الجهلاء استغلال هذا النص النبوي الكريم وهو ( كل أمي معافي إلا المجاهرين ) فيتوهم أنه إباحة لارتكاب السيئات والموبقات من وراء ستار، وأنه لا حرج ولا تبعه ما دام يستتر ولا يجاهر .. وهذا وهم لا يتفق في قليل ولا كثير مع أصول الدين وتعاليم الشريعة. وقد جاء الحديث ليحارب خصلة خبيثة من خصال الفساق والمجرمين، وهي تبجحهم بأعمالهم القذرة وتحديثهم برذائلهم المنتنة.

وهناك قسم آخر وهم الذين يرتكبون ما يرتكبون من فسوق وعصيان في بيوت تؤولهم، أو في ظلام يستترهم، ثم يصبحون فيتحدثون بما فعلوا، ويتفاخرون بما ارتكبوا، ويتآمرون على المعاودة والاستمرار فيميلون معهم ضعفاء الإيمان ومرضى القلوب. هؤلاء يفضحون أنفسهم وقد سترهم الله، وهم دعاة شر بأقوالهم وتحريضهم كالمجاهرين سواء بسواء، وفي حكم هؤلاء الذين خصهم الرسول صلى الله عليه وسلم بوصف الجون وكانوا دعاة شر بأقوالهم كالمجاهرين ( ٢ ) .

فاعلم أن الذنوب والمعاصي تضر القلب والبدن، مهما اختلفت درجاتها، فلا يكاد يوجد شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي. (( عن ابن عباس رضي الله عنه قال : يا صاحب الذنب لا تأمن سوء عاقبته، ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته : قلة حياثك من على اليمين وعلى الشمال — وأنت على الذنب — أعظم من الذنب، وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب، وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب، وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك

١ سورة الصف آية ٥.

٢ الدقس، د. كامل سلامة، روائع من الأدب النبوي، ط ٢، دار الشروق، جدة، ص ١٠٥ — ص ١١١ بتصرف يسير.

من نظر الله إليك أعظم من الذنب، ويحك هل تدري ما كان ذنب أيوب فابتلاه الله بالبلاء في جسده وذهاب ماله؟ استغاث به مسكين على ظالم يدرؤه عنه، فلم يعنه، ولم يبه الظالم عن ظلمه، فابتلاه الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا الوليد قال : سمعت الأوزاعي يقول : سمعت بلال بن سعد يقول : لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت (( ٢ ، فعليتنا التحرز من المعاصي استحياءً وخوفاً من الله العظيم، الذي لا يغفل ساعة عن عباده..

### وهناك عوامل مساعدة على الوقوع في الفتن، منها : ١- انعدام الحياء :

الحياء، سمة خاصة بالإنسان، ونعمة عظيمة من نعمه سبحانه وتعالى على عباده، ليكون رادعاً للإنسان عن ارتكاب كل ما يشتهي. وهذه الصفة بارزة في جميع الديانات السماوية ، يقول صلى الله عليه وسلم : (( إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت )) ٣ .

وقد كانت صفة الحياء ظاهرة حتى في الجاهلية، فهذا أبو سفيان قبل إسلامه، عندما سأله هرقل عن النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر عن نفسه قائلاً : (( لولا الحياء من أن يأتُر أصحابي عني الكذب لكذبت حين سألتني عنه ولكني استحييت أن يأتروا الكذب عني فصدقته )) ٤ .

وأول شيء فعله آدم وحواء عليهما السلام حين انكشفت عورتهم، بسبب الأكل من الشجرة، هو أن أخذوا من ورق الشجر لتغطية عورتهم التي بدت، مما يدل على أن الله أودع الحياء في فطرة الإنسان، قال تعالى : ﴿ فَذَلَّلْنَاهَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَيْنَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ٥ .

١ مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء ٩٠/٥ - ٩٣ بتصرف.

٢ ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ط ٣ دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ص ٥٧ - ٥٨.

٣ صحيح البخاري ٢٢٦٨/٥، كتاب الأدب، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت، برقم ٥٧٦٩.

٤ صحيح البخاري ١٠٧٥/٣، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله وقوله تعالى : (( ما كان لبشر أن يؤتيه الله ) إلى آخر الآية، برقم ٢٧٨٢.

٥ سورة الأعراف آية ٢٢.

والذين يجرون وراء شهواتهم، لانعدام الحياء منهم، نجدهم يطلقون لأنفسهم العنان بكشف العورات، بل والدعوة إلى ذلك. قال صلى الله عليه وسلم: ((الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار))<sup>١</sup>.

وفي تعليل هذا الكلام يقول الشيخ محمد الغزالي يرحمه الله: ((وعلة ذلك أن المرء حينما يفقد حياءه يتدرج من سيئ إلى أسوأ، ويهبط من رذيلة إلى أرذل، ولا يزال يهوي حتى ينحدر إلى الدرك الأسفل))<sup>٢</sup>.

والحياء في أسمى منازلها ودرجاته يكون من الله عز وجل، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((استحيوا من الله حق الحياء، قلنا: إنا نستحي من الله يا رسول الله — والحمد لله — قال: ليس ذلك. الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى. ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، وآثر الآخرة على الأولى. فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء))<sup>٣</sup>.

لذا نجد أن الذي تدعوه نفسه لارتكاب المحرمات لأن نفسه تشتتها، فهو إن فعلها يزيل الحياء من الله أو من الناس فيخسر ويهلك بهذا.

## ٢- سوء الظن :

وقد تقع الفتنة لمن اتصف بسوء الظن بالله عز وجل، أو سوء الظن بالناس، أو بالاثنتين معاً، وهذه صفة سيئة لا يتصف بها إلا منافق، أو ضعيف الإيمان.

فمن سوء الظن بالله عز وجل: أن يظن أن الله لا ينصر رسوله، ولا المؤمنين، وهذا حصل من المنافقين في وقعة أحد، حيث زعم المنافقون أن الله لن ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن ما أصاب المؤمنين يومها من الهزيمة لم يكن بقضاء الله وقدره، ولا حكمة له فيه، فأنزل الله تعالى

: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ

١ سنن الترمذي ٣٦٥/٤، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الحياء، برقم ٢٠٠٩، سنن ابن ماجه ١٤٠٠/٢، كتاب الزهد، باب الحياء، برقم ٤١٨٤، حديث صحيح، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٤٠٦/٢، برقم ٣٣٧٣.

٢ الغزالي، محمد، خلق المسلم، ط٢، دار القلم، دمشق/بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ١٥٩.

٣ سنن الترمذي ٦٣٧/٤، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، برقم ٢٤٥٨، المعجم الأوسط، للطبراني، ٢٢٦/٧، برقم ٧٣٤٢، حديث حسن، انظر: صحيح الجامع للألباني برقم ٩٣٧.

وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ



وفي هذه الآية الكريمة يقول ابن القيم يرحمه الله تعالى: (وقد فسر هذا الظن الذي لا يليق بالله سبحانه بأنه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل وأنه يسلمه للقتل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضاء الله وقدره ولا حكمة له فيه . ففسر بإنكار الحكمة ، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يظهره على الدين كله . وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح حيث يقول : ﴿وَيَعَذِّبُ الْمُتَنَفِّقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَعَظَبُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ٢ ، وإنما كان هذا هو ظن السوء

وظن الجاهلية — وهو المنسوب إلى أهل الجهل — وظن غير الحق، لأنه ظنٌ غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العلىا وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، وخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفردده بالربوبية والإلهية، وما يليق بوعد الصادق الذي لا يخلفه، وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم ولا يخذلهم، وجنده بأنهم هم الغالبون . فمن ظن به أنه لا ينصر رسله ولا يتم أمره ولا يؤيده ويؤيد حزبه، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك على التوحيد، فقد ظن بالله ظن السوء؛ ونسبه إلى خلاف ما يليق بجلاله وكماله وصفاته ونعوته، فإن حمده وعزته وحكمته وإهيته تأبى ذلك وتأبى أن يُذل حزبه وجنده، فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه، وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره. فما عرفه ولا عرف ربوبيته وملكوته وعظمته، وكذلك من أنكر أن يكون قدر ما قدره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق الحمد عليها، وأن ذلك إنما صدر عن مشيئة مجردة عن حكمته وغاية مطلوبة هي أحب إليه من فواته، وأن تلك الأسباب المكروهة له المفضية إليها، لا يخرج تقديرها عن الحكمة، لإفضائها إلى ما يجب وإن كانت مكروهة له، فما قدرها سدى ولا شاءها عبثاً ولا خلقها باطلاً ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ٣ .

وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وعرف أسماءه وصفاته، وعرف موجب حكمته وحمده. فمن

١ سورة آل عمران آية ١٥٤ .

٢ سورة الفتح آية ٦ .

٣ سورة ص آية ٢٧ .

قنط من رحمته وأيس من روحه فقد ظن به السوء. ومن جوز عليه أن يعذب أوليائه مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوي بينهم وبين أعدائه فقد ظن به ظن السوء. ومن ظن أنه يترك خلقه سدى معطين عن الأمر والنهي، ومن ظن أنه يضيع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصاً لوجهه على امتثال أمره، ويطله عليه بلا سبب من العبد، وأنه يعاقبه بما لا صنع له فيه ولا اختيار له ولا قدرة ولا إرادة في حصوله، بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به، أو ظن به أنه يجوز عليه أن يؤيد أعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها أنبياءه ورسله ويجريها على أيديهم ليضلوا بها عباده، ومن ظن به أن له ولداً أو شريكاً، أو أن أحداً يشفع عنده بدون إذنه، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، وأنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويتوصلون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم؛ فيدعونهم ويخافونهم ويرجونهم فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

فأكثر الخلق بل كلهم — إلا من شاء الله — يظنون بالله غير الحق وظن السوء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، ولسان حاله يقول: ظلمي ربي ومنعني ما أستحقه، ونفسي تشهد عليه بذلك؛ وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به.

ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة طواياها رأى ذلك فيها كامناً كمن النار في الزناد، فاقسح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً (وتعنتاً) على القدر وملامة له واقتراحاً عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا. فمستقل ومستكثر؛ وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك؟

فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا تَنَجُّ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالَكَ نَاجِيًا<sup>٢</sup>

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضوع، وليتب إلى الله ويستغفره في كل وقت من ظنه بربه ظن السوء؛ وليظن السوء بنفسه التي هي مادة كل سوء، ومنبع كل شر، فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وارحم الراحمين الغني الحميد، الذي له الغنى التام، والحمد التام، والحكمة التامة، المتزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه وصفاته كذلك وأفعاله كلها حكمة ومصالحة ورحمة وعدل، وأسمائه كلها حسنى.

<sup>١</sup> أي على العامل

<sup>٢</sup> التبريزي، شرح الخطيب، ديوان ذي الرمة، كتب مقدمته وهوامشه وفهارسه مجيد طراد، (طبدون)، دار الكتاب العربي، بيروت — لبنان، ١٤٢٤هـ —

٢٠٠٤م، ص ٦٥١.



وَلَا تَظُنَّنَّ بِرَبِّكَ ظَنًّا سُوًّا      فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَىٰ بِالْجَمِيلِ  
 وَلَا تَظُنَّنَّ بِنَفْسِكَ قَطُّ خَيْرًا      فَكَيْفَ بظَالِمِ جَانٍ جَهُولِ  
 وَقُلْ يَا نَفْسُ مَا أَوْىٰ كُلِّ سُوِّءٍ      أترجُو الخَيْرَ مِنْ مَيِّتِ بَخِيلِ  
 وَظَنَّ بِنَفْسِكَ السُّوْأَىٰ تَجِدُهُ      كَذَاكَ وَخَيْرُهَا كَالْمُسْتَجِيلِ  
 وَمَا بِكَ مِنْ تُقَىٰ فِيهَا وَخَيْرٍ      فإِنَّكَ مَوَاهِبُ الرَّبِّ الْجَلِيلِ<sup>١</sup>  
 وَلَيْسَ لَهَا وَلَا مِنْهَا وَلَكِنْ      مِنَ الرَّحْمَنِ فَاشْكُرْ لِلدَّلِيلِ<sup>٢</sup> .

ونحن نرى فعلاً الكثير من الناس، يغترون بقوة الأعداء فيظن أن الله لن ينصر المؤمنين أبداً، وكذلك الكثير من الناس من يظن أنه مظلوم وأن حقه مبخوس، وأنه كان يجب أن يكون أفضل من فلان، أو أغنى من فلان، وغير ذلك من ظن السوء برب العالمين..

والنوع الثاني من سوء الظن : هو سوء الظن بالناس: كأن يظن بهم نقصاً في الدين، أو نقصاً في المروءة، دون دليل، وقد حذر تعالى من ذلك فقال عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾<sup>٣</sup> ، وقال صلى الله عليه وسلم : (( إياكم والظن فإن الظن كذب الحديث ))<sup>٤</sup> .

فليس لنا إلا الظاهر من الناس، لا أن نكتشف سرائرهم وخبايهم، فهذا مما لا يعلمه إلا الله عز وجل، وقد تمثل الصحابة رضي الله عنهم ذلك الأمر من الله ورسوله باجتنب الظن السوء بالمسلمين، فعن عبد الله بن عتبة بن مسعود يقول: ((سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : إن ناساً كانوا يأخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم بما ظهر من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريره شيء، الله يحاسبه على سريره، ومن أظهر لنا شراً لم نأمنه ولم نصدق، وإن قال : إن سريره حسنة ))<sup>٥</sup> .

فالمؤمن يشعر بالخوف من الوقوع في الإثم إذا ما وقع في عرض أخيه، ووجهه بالظنون، لذا نجد دائماً متحفظاً يحاسب على الكلمة قبل أن تصدر عنه. والمؤمن لا يرضى لنفسه أيضاً أن ينقل كل ما يسمع من الأقاويل والظنون من غير أن يتثبت ويعرف مصدرها.

<sup>١</sup> قصاب، جمع ودراسة وتحقيق د. وليد، ديوان محمود الوراق، ط١، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ١٤١.

<sup>٢</sup> ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق : شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط، ط١٤٤، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية، بيروت - الكويت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ٣/٢٢٨ - ٢٣٦ بتصرف.

<sup>٣</sup> سورة الحجرات آية ١٢.

<sup>٤</sup> صحيح البخاري ٢٢٥٣/٥، كتاب الأدب، باب (( يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ))، برقم ٥٧١٩.

<sup>٥</sup> صحيح البخاري ٩٣٤/٢، كتاب الشهادات، باب الشهداء العدول، برقم ٢٤٩٨.

### ٣- فضول الكلام :

الكلام نعمة عظيمة من الله عز وجل، امتن بها على عباده ، و أقسم بها في قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ١ ، وهو ممدوح إذا كان فيما يرضي الله عز وجل. والمقصود بالذم منه فضول الكلام، وهو الزيادة التي لا فائدة من ورائها، قال تعالى : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ ٢، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ((ألا أنذركم فضول الكلام بحسب أحدكم أن يبلغ حاجته)) ٣ ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (( أنذركم فضول الكلام بحسب أحدكم ما بلغ حاجته)) ٤ ، وقال إبراهيم التيمي : ((إذا أراد أراد المؤمن أن يتكلم نظر، فإن كان له تكلم وإلا أمسك، والفاجر إنما لسانه رسلاً رسلاً)) ٦، رسلاً)) ٦، .

وأوضح عطاء<sup>٥</sup> يرحمه الله فضول الكلام، وحددها بقوله : (( أن من قبلكم كانوا يعدون فضول فضول الكلام ما عدا كتاب الله، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو أن تنطق في في معيشتك التي لا بد لك منها، أتكفرون : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كَرَامًا كَثِيرِينَ﴾ ٨، إذ ينلغى المتكلمين عن اليمين وعن الشمال فعيد<sup>٩</sup> مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ٩ أما يستحي أحدكم لو نشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره، وليس فيها شيء من أمر آخرته)) ١٠ ولذا قيل : " من كثر كلامه "، كثر سقطه، فالزيادة في الكلام توقع الإنسان في المعاصي، والآثام فخير للمرء أن يعصم دينه، ونفسه، بحفظه لسانه.

١ سورة الرحمن آية ١ — ٤.

٢ سورة النساء آية ١١٤.

٣ المعجم الكبير، للطبراني، ٩٣/٩، برقم ٨٥٠٧.

٤ المرجع السابق ص ٦١.

٥ إبراهيم بن يزيد التيمي الإمام القدوة الفقيه عابد الكوفة أبو أسماء، حدث عن أبيه يزيد بن شريك التيمي، وكان أبوه من أئمة الكوفة أيضاً، كان شاباً صالحاً قانتاً لله عالماً فقيهاً كبير القدر واعظاً، يقال قتله الحجاج. وقيل بل مات في حبسه سنة اثنتين وتسعين، وقيل : سنة أربع وتسعين. لم يبلغ أربعين سنة. انظر : مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ٦٠ — ٦٢ بتصرف.

٦ بن أبي الدنيا، الحافظ أبو بكر، عبد الله، بن محمد، بن عبيد، الصمت وحفظ اللسان، تحقيق : د. محمد أحمد عاشور، ط ١، دار القافلة، المنطقة الشرقية،

٦٠٦هـ — ١٩٨٦م، باب النهي عن فضول الكلام والخوض في الباطل ص ٦٥.

٧ عطاء بن أسلم بن صفوان بن أبي رباح : تابعي، من أجلاء الفقهاء، كان عبداً أسود. ولد في جند باليمن ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها وحدثهم، وتوفي فيها. انظر : مرجع سابق، الأعلام للزركلي، ٤/ ٢٣٥.

٨ سورة الانفطار آية ١٠ — ١١.

٩ سورة ق آية ١٧ — ١٨ .

١٠ مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ٨٦.

## ٤- فصول النظر :

وهذا الأمر يدعو إلى استحسان ما يقع تحت النظر، فيؤدي إلى أنواع من الفساد في القلب كثيرة ( منها :

— دخول الشيطان مع النظرة، فإنه ينفذ معها أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي؛ ليزين صورة المنظور، ويجعلها صنماً يعكف عليه القلب، ثم يعده ويمنيه، ويوقد على القلب نار الشهوات ويلقي حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة .

— أنه يشغل القلب، وينسيه مصالحه، ويحول بينه وبينها، فينفرط عليه أمره، ويقع في اتباع الهوى والغفلة، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ٢٨

١، وإطلاق البصر يوجب هذه الأمور الثلاثة (٢)

وقد أمر الله عز وجل بغض البصر : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ٣

وفي تفسير الآية يقول النسفي : ( من للتبويض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل، (ويحفظوا فروجهم) عن الزنا ولم يدخل من هنا لأن الزنا لا رخصة فيه بوجه، ويجوز النظر إلى وجه الأجنبية وكفها وقدميها في رواية وإلى رأس المحارم والصدر والساقين والعضدين(ذلك) أي غض البصر وحفظ الفرج (أزكى لهم) أظهر من دنس الاثم ، (إن الله خبير بما يصنعون) فيه ترغيب وترهيب، يعني أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم فهو سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فيكونوا بذلك على تقوى وحذر في كل حركة وسكون )<sup>٤</sup> أما الدكتور كامل الدقس فيقول: ( هذا أمر من الله لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغمضوا أبصارهم إلا عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعاً كما روي عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه : (( يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة ))<sup>٥</sup>. وفي الصحيح عن

١ سورة الكهف آية ٢٨.

٢ مرجع سابق، ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ٢١٣ — ٢١٤ بتصرف.

٣ سورة النور آية ٣٠.

٤ مرجع سابق، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ١٤٠/٣ بتصرف.

٥ سنن أبو داود ٢/٢٤٦، كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر، برقم ٢١٤٩، سنن الترمذي ١٠١/٥، كتاب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في نظرة المفاجأة، برقم ٢٧٧٧، حديث حسن، انظر صحيح أبي داود للألباني ٤٠٣/٢، برقم ١٨٨١.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( إياكم والجلوس في الطرقات . قالوا : يا رسول الله لا بد لنا من مجالسنا نتحدث فيها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه . قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر )) ١ .

ولما كان النظر داعية إلى فساد القلب قال بعض السلف : النظر سهم سم إلى القلب . ومعنى الأمر بغض البصر هنا ألا ينظر المؤمن إلى المرأة بملء العين وأن يكف النظر عما لا يحل إليه بخفضه إلى الأرض أو بصرفه إلى جهة أخرى . والحكمة في ذلك : أن غض البصر سد لباب الشر، ومنع لارتكاب المآثم والذنوب، وفي ذلك يقول العلامة ابن القيم : ولما كان مبدأ الخطر من قبل البصر جعل الأمر بغضه مقدماً على حفظ الفرج فإن كل الحوادث مبدؤها من النظر، كما أن معظم النار مبدؤها من مستصغر الشرر . تكون نظرة . ثم تكون خطوة . ثم تكون خطرة . ثم تكون خطيئة . ولهذا قيل : من حفظ الأربعة أحرز دينه " اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات " .

وقال مجاهد : إذا أقبلت امرأة جلس الشيطان على رأسها فزينها لمن ينظر إليها، فإذا أدبرت جلس على عجزها فزينها لمن ينظر إليها ) ٢ .

فعلى النساء اتباع أوامر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، بغض النظر، والاحتشام والتستر، وعدم إبداء الزينة، وعلى الرجال الالتزام بغض النظر، ففي ذلك حماية للنفس والاجتماع من مخاطر فضول النظر ..

كذلك لا بد من ذكر أمر مهم وهو حرمة نظر الرجل إلى الأمرد الجميل، لأن الشر فيه أكبر؛ لأنه لو أعجب شخص بامرأة فيمكنه أن يتزوج بها، أما هذا فلا سبيل إليه إلا بالحرام. قال بعض التابعين: ((ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب الناسك من غلام أمرد يجلس إليه)) ٣ .

فغض البصر سبب للسلامة من الوقوع في الآثام ..

## ٥- فضول الطعام :

١ صحيح البخاري ٢/٨٧٠، كتاب المظالم، باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات، برقم ٢٣٣٣، صحيح مسلم ٣/١٦٧٥، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، برقم ٢١٢١ .  
٢ الدقس، د. كامل سلامه، منهج سورة النور في إصلاح النفس والاجتماع، ط ٢، دار الشروق، جدة، ص ٢٣٦ — ٢٤٤ بصرف.  
٣ الغزالي، الإمام أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت — لبنان، ط (بدون)، ١٠٢/٣ .

الاعتدال في الطعام والشراب، يجعل المسلم قوي الجسم، صحيح البدن، استناداً لقوله تعالى :  
﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ١ ، وقوله صلى الله عليه وسلم :  
(( ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، فإذا كان لا محالة فاعلاً، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه،  
وثلث لنفسه )) ٢، ويقول عمر رضي الله عنه: ((عليكم بالقصد في قوتكم ، فهو أبعد عن  
السرف، وأصح للبدن، وأقوى على العبادة، وإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على  
دينه)) ٣

فعلى المؤمن أن يكتفي من المأكل والمشرب بما يقيم صلبه، ولا يكون أسير شهواته، وفي  
الحديث : (( المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء )) ٤، أي يأكل  
سبعة أضعاف ما يأكله المؤمن .

كما أن كثرة الأكل تؤدي إلى الكسل والنوم؛ ولذا قال بعض السلف : لا تأكلوا كثيراً  
فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتخسروا كثيراً .  
إذاً السلامة في الإقلال من الطعام، فهذا يقلل الخطر، ولا يتسبب في الوقوع في الفتن.

## ٦- فضول المخالطة :

المسلم الحق الذي يعمل بأحكام دينه، لطيف في عشرته مع إخوانه المسلمين، يحرص على  
التزام مكارم الأخلاق. وهو اجتماعي؛ لأنه يحمل رسالة في الحياة، ولا بد له من الاتصال بالناس  
لتبليغها، وهو حريص على نفع الناس، ودفع الأذى عنهم، منطلقاً من قوله صلى الله عليه وسلم :  
(( كل معروف صدقة )) ٥، وبالتالي فهو يخالط الناس ويصبر على أذاهم، وسوء تصرفاتهم، لقوله  
صلى الله عليه وسلم : (( المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس  
ولا يصبر على أذاهم )) ٦، وبذلك يألّفه الناس ويوادنه، وهذه صفة اجتماعية راقية، تجعل الناس  
يقبلون عليه، ويستمعون له، وبالتالي يستطيع أن يقدم لهم النصح فيستجيبون له.

١ سورة الأعراف آية ٣١.

٢ سنن الترمذي ٥/٤٠٩، كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، برقم ٢٣٨٠، سنن ابن ماجه ٢/١١١١، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في  
الأكل وكراهة الشبع. حديث صحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٥/٣٣٦، برقم ٢٢٦٥.

٣ الصباغ، محمد لطفي، أقوال مأثورة وكلمات جميلة، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت/دمشق/عمان، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ١/٢٣٠.

٤ صحيح البخاري ٥/٢٠٦١، كتاب الأطعمة، باب المؤمن يأكل في معي واحد، برقم ٥٠٧٨، صحيح مسلم ٣/١٦٣١، كتاب الأشربة، باب المؤمن يأكل  
في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء، برقم ٢٠٦١.

٥ صحيح البخاري ٥/٢٢٤١، كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، برقم ٥٦٧٥، صحيح مسلم ٢/٦٩٧، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة  
يقع على كل نوع من المعروف، برقم ١٠٠٥.

٦ سنن ابن ماجه ٢/١٣٣٨، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، برقم ٤٠٣٢، مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢/٤٣، برقم ٥٠٢٢، حديث صحيح، انظر :  
سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٢/٦١٤، برقم ٩٣٩..

ولكن الأمر الذي نُحذر منه هو فضول المخالطة ، فقد حذر منها بعض العقلاء واعتبرها الداء العضال الجالب لكل شر؛ بل على الإنسان أن يأخذ من المخالطة بقدر الحاجة، ويحذر من مخالطة من لا تُربح مخالطته دين ولا دنيا؛ بل قد يؤدي إلى خسارتهما أو أحدهما، ومنهم الفساق وأهل البدع والضلال. فيجب على المؤمن الفطن أن يتنبه عند مخالطة الناس ويتجنب فضول المخالطة.

## ٧- طول الأمل :

الحرص على الدنيا والانكباب عليها، والإعراض عن الآخرة، ذاك هو طول الأمل، وهو داء عضال متى تمكن من القلب أفسده، قال صلى الله عليه وسلم : (( لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين : في حب الدنيا، وطول الأمل ))<sup>١</sup>، فالأكل والتمتع بكل ما في الحياة الدنيا من الطيبات الحلال لم يمنعه الإسلام، وإنما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبَّيْتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>٢</sup> وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ<sup>٣</sup>.

فالممنوع في الإسلام هو الإسراف في التمتع بالدنيا والانشغال بها عن الآخرة، ثم إن كثرة التلذذ بالدنيا يؤدي إلى طول الأمل الذي يؤدي إلى قلة العمل وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((أخاف عليكم اثنتين: اتباع الهوى و طول الأمل، فإن اتباع الهوى يصد عن الحق، و طول الأمل يُنسي الآخرة))<sup>٣</sup>، وإنما حذر النبي صلى الله عليه وسلم من طول الأمل لأن صاحبه يركن غالباً إلى الشهوات فلا يتحرك قلبه لكلام الله عز وجل ولا لكلام رسوله صلى الله عليه وسلم؛ بل إن حبه لهذه الشهوات وأنسه بما يمنعه قلبه من التفكير في الموت الذي هو سبب مفارقتها، إذ كل من كره شيئاً دفعه عن نفسه. فإن خطر له يوماً الموت والحاجة للاستعداد للرحيل، سوف ووعد نفسه إلى موعد آخر وهكذا يظل يسوف حتى يخطفه الموت على حين غفلة منه، فتطول حسرته بعدها.

( و عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ) وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت

<sup>١</sup> صحيح البخاري ٥/٢٣٦٠، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، برقم ٦٠٥٧..

<sup>٢</sup> سورة المائدة آية ٨٧ — ٨٨ .

<sup>٣</sup> مرجع سابق، محمد الصباغ، أقوال مأثورة، ١٥٩/١.

فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك ((١).

وهذه كلمة موجزة بليغة من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، وهي موعظة ما أشد حاجة الإنسان إليها في كل عصر وفي كل مكان، ولا سيما في هذا العصر المادي الذي طغت فيه التزعة المادية على كثير من القيم والمثل.. إن سبب ما يعانيه البشر من الشقاء هو التكالب على الدنيا ونسيان الآخرة، وإن سبب تخلف العالم الإسلامي هو التعلق بالدنيا وملذاتها وإيثارها على الآخرة.

والحديث يحذر من الركون إلى الدنيا ويدعو إلى الإفادة منها، فهي مزرعة الآخرة. وهو يعالج موضوع الخضوع للآمال العريضة التي لا نهاية لها، وذلك بتوضيح الحال التي ينبغي أن يكون عليها المسلم بالنسبة إلى الدنيا، فلا يجوز أن يتعلق بها ولا أن يجعلها أكبر همه ولا مبلغ علمه، ولا أن يقصر نفسه عليها؛ بل عليه أن يكون فيها كالغريب أو كعابر السيل. كما لا يجوز له أن يعرض عنها إعراضاً تاماً يوقعه في الفاقة والعوز وحاجة الناس.

وهذا التوازن جلي في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا

تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ ٢.

ذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: ((الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها)) ٣.

إن تصور الآخرة والعمل على تسخير الحياة الدنيا للفوز في ذلك اليوم العصيب سبب لقيام الحياة الفاضلة الخيرة.

وفي الحديث تقرير لحقيقة مهمة كشف عنها ابن عمر رضي الله عنهما وهي أن رأس مال المسلم وقته، فلا يجوز أن يهدره، ولا أن يسوف حتى لا يكون المفلس في تجارته، الخاسر في حياته. إن عليه أن يستغل وقته في الحياة الدنيا في طاعة الله وعبادته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وأن يكون مستعداً للقاء الله، مستفيداً من صحته ولا يضيع فرصة أتاحت له للعمل، فالصحة والفراغ نعمتان من أجل نعم الله على عباده، يجب أن يسخرهما إلى ما يرضي الله تعالى.

١ صحيح البخاري ٢٣٥٨/٥، كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، حديث رقم ٦٠٥٣.

٢ سورة القصص آية ٧٧.

٣ الماوردي، أبي الحسن، علي، بن محمد، بن حبيب، البصري، أدب الدنيا والدين، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م،

ص ١٣٤.

وعن الحسن قال: ((إياك والتسويق فإنك بيومك ولست بغدك، فإن يكن غد لك فكن في غد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن لك غد لم تندم على ما فرطت في اليوم))<sup>١</sup>.  
ونعود إلى التشبيه المحكم الذي يطالعنا في الحديث ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)) فإن الغريب قليل الانبساط إلى الناس، شديد الاستيحاش منهم، لأنه يواجه من لا يعرفهم ولا يعرفونه، ولا يستطيع أن يختار من يكون أهلاً لوصاله وودده، فهو أبداً خائف يترقب.

إن الإنسان في وطنه يستكثر من المتاع والأثاث من أسرة وأرائك وسجاد وتحف، ويبني البيوت ويقتني العقارات والبساتين، ويشترى الأنعام، والحيل المسومة والسيارات، ويستكثر من الملابس وأدوات المنزل.

أما الغريب عندما يحل في بلد غير بلده، فإنه لا يفعل من ذلك شيئاً، إن كل همه أن ينهي عمله ليعود إلى بلده.

وأما عابر السبيل فإن همه الأول هو قطع الطريق للوصول إلى بلده، ولا يستطيع أن يتم رحلته إلا بالجد والصبر على المصاعب وبالتخفف من الأثقال، لا يحمل معه إلا ما لا بد منه، معه زاده وراحلته. وربما نام في ظل شجرة في الطريق إن أعياه التعب، ثم يواصل سعيه حتى يبلغ بغيته من قصده لا يتعلق بشيء غير ما هو فيه.

وطلب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن يكون المؤمن في الدنيا كالغريب أو عابر السبيل، فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه غاية سفره، فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر من سد حاجته وقضاء ضروراته، فهو لا يركن إلى الدنيا ولا يتخذها وطناً.  
إن على المؤمن أن يجعل إقامته في الدنيا ليتزود منها بالطاعات، التي تحقق له السعادة في دار المقامة في الآخرة.

وبعد فإن في الحديث تربية روحية موفقة، فإن ذكر الموت يحمل المرء على مراجعة نفسه، والتوبة إلى الله من ذنوبه، ويرقق قلبه، ويحمله على الازدياد من الطاعات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً<sup>٢</sup>.  
وما هذه التدابير إلا لتحذير المؤمن من الانشغال بالدنيا، وزينتها، ولكي يحسن اتخاذها معبراً يوصل للجنة، باستغلال كل القدرات والطاقات، والسعي والعمل، ولكن ابتغاء وجه الله عز وجل، فيكسب الدنيا والآخرة.

١ مرجع سابق، محمد لطفي الصباغ، أقوال مأثورة، ص ٥٨٠.

٢ الصباغ، محمد، بن لطفي، قضايا في الدين والحياة والمجتمع تأملات في عدد من جوامع الكلم، ط ١، المكتب الإسلامي، بيروت/دمشق/عمان، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص ١٨٨ - ص ١٩٩ بتصرف.





## **الباب الثاني**

### **فتنة الحياة الدنيا**

الفصل الأول : أنواع الفتن.

الفصل الثاني : فتنة المال و البنون أدلة من الواقع.



**الباب الثاني**  
**فتنة الحياة الدنيا**

الفصل الأول : أنواع الفتن.

## الفصل الأول أنواع الفتن

إن الفتن التي أشار إليها القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرة، وهي من الأسباب الرئيسة للوقوع في المعاصي التي يستوجب عليها العبد غضب الرب، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ ١ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ٢، وقال صلى الله عليه وسلم: (( وثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه )) ٣، وذلك لأن هوى النفس سبب للوقوع في كل معصية وفتنة، أعاذنا الله منه .

(( والعبد في هذه الدار مفتون بشهواته ونفسه الأمارة، وشيطانه المغوي المزين، وقرنائه وما يراه، ويشاهده، مما يعجز صبره عنه، ويتفق مع ذلك ضعف الإيمان واليقين، وضعف القلب، ومرارة الصبر، وذوق حلاوة العاجل، وميل النفس إلى زهرة الحياة الدنيا، وكون العوض مؤجلاً في دار أخرى غير هذه الدار التي خلق فيها، وفيها نشأ، فهو مكلف بأن يترك شهوته الحاضرة المشاهدة لغيب طلب منه الإيمان به. وفي هذا يقول الشاعر :

فَوَ اللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ يُسْعِدُ عَبْدَهُ      بَتَوْفِيقِهِ وَاللَّهُ بِالْعَبْدِ أَرْحَمُ  
لَمَا ثَبَتَ الْإِيمَانَ يَوْمًا بِقَلْبِهِ      عَلَىٰ هَذِهِ الْعِلَاتِ وَالْأَمْرِ أَعْظَمُ  
وَلَا طَاوَعَتْهُ النَّفْسُ فِي تَرْكِ شَهْوَةٍ      مَخَافَةَ نَارٍ جَمْرُهَا يَنْتَضِرُ  
وَلَا خَافَ يَوْمًا مِنْ مَقَامِ إِلَهِهِ      عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْقِسْطِ إِذْ لَيْسَ يَظْلِمُ )) ٤

ولهذا نجد أن الفتن أنواع عديدة نجمعها في نوعين هما :

فتنة الشبهات ، وفتنة الشهوات. وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحدهما.

### النوع الأول: فتنة الشبهات :

وتظهر هذه الفتنة في قلة العلم، واتباع الهوى، ولذلك يقول ابن القيم يرحمه الله: (فتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولاسيما إذا اقترن بذلك القصد وحصول الهوى، فهناك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سبب القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته، وقلة علمه بما بعث الله به رسوله. وقد أخبر تعالى أن اتباع الهوى يضل عن سبيل

١ سورة الجاثية آية ٢٣.

٢ سورة ص آية ٢٦.

٣ المعجم الأوسط ٣٢٨/٥، برقم ٥٤٥٢، حديث حسن، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للالباني ٤/١٢٤، برقم ١٨٠٢.

٤ ابن قيم الجوزية، الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصاديق الشيطان، ط(بدون)، مكتبة الدعوة، ١٥٩/٢.

الله، فقال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ١.

وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم، فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال. وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع، فهي من عمى في البصيرة، وفساد في الإرادة. وبهذا كان السلف يقولون: (( احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه )) ٢

وإن من الناس من يستعمل نفسه ويهلكها بالفتنة بشتى أنواعها. وقد حكى الله عن مشهد جسيم من مشاهد يوم القيامة وما يقع في العرصات من الأهوال المزعجة، وذلك فيمن فتنوا أنفسهم في الدنيا، وتربصوا بالمؤمنين، وارتابوا في التوحيد، وغرهم الأمانى الكاذبة الباطلة، وغرهم بالله الغرور. فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِن تَوَكُّمٍ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٤﴾ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وازتتم وعرقتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وعرقتكم بالله العرور ﴿١٥﴾ ٣.

إنه مشهد عظيم، وإن هناك المنافقين والمنافقات في حيرة وضلال، وفي مهانة وإهمال، وهم يتعلقون بأذيال المؤمنين لينالوا من نورهم ما يمشون به على الصراط. ولكن أئى للمنافقين أن يقتبسوا من هذا النور وقد عاشوا حياتهم كلها في الظلام!؟

فيسمعون صوتاً يناديهم: ( قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ) أي: ارجعوا إلى الموضع الذي أخذ منه النور واطلبوا هنالك لأنفسكم نوراً، فإنكم لا تقتبسون من نور المؤمنين، فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئاً فينصرفون إليهم.

وعلى الفور يفصل بينهم وبين المؤمنين والمؤمنات بسور (باطنه فيه الرحمة) أي: الجنة، وهذا هو الذي يلي المؤمنين، (وظاهره من قبله العذاب) أي: النار، وهذا مما يلي المنافقين.

١ سورة ص آية ٢٦.

٢ مرجع سابق، ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١٦٠/٢ - ص ١٦١ بتصرف.

٣ سورة الحديد آية ١٣ - ١٤.

فينادون المؤمنين تضرعاً وترحماً قائلين : ( ألم نكن معكم ) أما كنا معكم في الدار الدنيا نشهد معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات ؟ ألم نعش معكم في صعيد واحد ؟ وقد بُعثنا معكم هنا في صعيد واحد ؟

( قالوا بلى ) فأجاب المؤمنون : بلى .. كان الأمر كذلك : ( ولكنكم فتنتم أنفسكم ) ولم تقتصر فتنهم لأنفسهم على ذلك ، بل أجابهم المؤمنون بأمر أخرى فتنوا بها أنفسهم فقالوا لهم : ( .. وتربصتم ) أي : أخرتم التوبة من وقت إلى وقت، وترقبتم الدوائر بالحق وأهله . ( وارتبتم ) في التوحيد ، والنبوة، والبعث بعد الموت . ( وغرتكم الأماني ) الباطلة، من طول الأمل في أن تنجوا وترجوا بالذبذبة وإمساك العصا من طرفيها (حتى جاء أمر الله) بموتكم وانتهى الأمر . ( وغركم بالله الغرور ) وهو الشيطان الذي كان يطمعكم ويمنيكم ( ١ ) ( ٢ ) ، وهذا هو الشاهد في موضوعنا هنا : فتنة الإنسان نفسه، فها هم أولاء المنافقون قد فتنوا أنفسهم وصرفوها عن الهدى باللذات والمعاصي والشهوات .

كما رأينا خطر الشبهات التي تميل إليها النفس وتدعو إليها ويزينها الشيطان فقد تخرج الإنسان من دائرة الصلاح والتقوى إلى النفاق والعياذ بالله فعلى المسلم أن يزكي نفسه باتباع هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه هو وأصحابه رضوان الله عليهم لينجو ويسلم في الدارين.

وفي هذه الحال على المسلم أن يتبع ولا يبتدع، وأن يتحلى بالعلم النافع الصحيح من مصادره الأصلية على يد شيخ فاهم متقن ثقة .

### والنوع الثاني : فتنة الشهوات :

الأنهماك بشهوات الدنيا والانشغال بها من أسباب الضلال قال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ ١٨ ، ٣ ، فما أكثر الذين ذهبوا ضحية لشهواتهم ، وأهوائهم فصرفتهم عن الحق، وأضلتهم عن الصراط المستقيم؛ فيجد من الناس من يفتن نفسه بنفسه وذلك باتباعه واندراجه تحت أحضان شهواته فيكون رهينة لها، وقد تغره الأماني الباطلة ، وطول الأمل، فيفتن نفسه بذلك .. إلى آخر ما يفيض به نهر الحياة من فتنة الإنسان نفسه.

١ مرجع سابق، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧/٢٤٥ - ٢٤٧.

٢ الحازمي، أبو أنس حسين بن محسن أبو ذراع ، موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة، ط ١، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٠هـ -

٢٠٠٠م، ص ٦٧ - ص ٧١.

٣ سورة الفرقان آية ١٨ .

وقد ذكر القرآن الكريم أحب شهوات الأرض إلى نفس الإنسان في آية واحدة حيث قال تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ﴾ ١ ، وهي : النساء، والبنين، والأموال المكدسة، والخييل، والأرض، والأنعام، وهي خلاصة ما يرغبه الإنسان في الدنيا إما لذاتها، أو بما توفره لصاحبها من لذائد أخرى، وفي ذلك يقول سيد قطب يرحمه الله : ( فهي شهوات مستحبة مستلذة وليست مستقدرة ولا كريهة والتعبير لا يدعو إلى استقذارها وكراهيتها، وإنما يدعو إلى معرفة طبيعتها وبواعثها، ووضعها في مكانها لا تتعداه ولا تطغى على ما هو أكرم في الحياة وأعلى ، وهنا يمتاز الإسلام بمراعاته للفطرة البشرية وقبولها بواقعها، ومحاولة تهذيبها ورفعها، لا كبتها وقمعها، والذين يتحدثون اليوم عن الكبت وعن العقد النفسية التي ينشئها الكبت والقمع، يقولون أن السبب الرئيسي للعقد هو الكبت وليس الضبط.

وبهذا نجد أن الإسلام قد ضمن سلامة الكائن الإنساني من الصراع بين شطري النفس البشرية.. بين نوازع الشهوة واللذة، وأشواق الارتفاع والتسامي .. وحقق لهذه وتلك نشاطها المستمر في حدود التوسط والاعتدال ) ٢

## وبناء على ذلك تكون أنواع فتنه الشهوات كما يلي :

### ١ - الفتنه بالنساء :

لقد ركب الله تعالى في طبع الرجل ميله إلى المرأة، وكذلك ركب سبحانه في طبع المرأة ميلها إلى الرجل، وهذا الأمر لا يذم شرعاً ولا عقلاً إذا صادف حلالاً ، ولا لوم على الحب فيها فقد صور القرآن علاقة الغريزة وأثرها بين الزوجين بقوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِيَأْسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسُ لِهِنَّ ﴾ ٣ ، وهذا أوسع مدى للامتزاج والاتلاف، وقد عني القرآن الكريم أيضاً بإبراز الصلة النفسية والروحية بينهما ، وهي تقوم على وشائج قوية وصلات راسخة، تحملهما على التراحم والتآلف ، فهما من نفس واحدة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ٤ فجعل المرأة سكناً للرجل يسكن قلبه إليها ولذا (تم تصدير تلك الشهوات الفاتنة بذكر النساء — وذلك

١ سورة آل عمران آية ١٤ .

٢ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ١/٣٧٤ بتصرف

٣ سورة البقرة آية ١٨٧ .

٤ سورة الروم آية ٢١ .

بالنسبة للرجال — لأن حبهن لا يعلوه حب لشيء آخر من متاع الحياة الدنيا، فهن مطمح النظر، وموضع الرغبة، وسكن النفس، ومنتهى الأنس، ولهذا جاء في الحديث الصحيح : ( ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء )<sup>١</sup>

وقد وضح المعنى ابن حجر بقوله : ( وفي الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد له قوله تعالى : ( زين للناس حب الشهوات من النساء ) فجعلهن من حب الشهوات، وبدأ بمن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنه الأصل في ذلك، ويقع في المشاهدة حب الرجل ولده من امرأته التي هي عنده أكثر من حبه ولده من غيرها، وقد قال بعض الحكماء : ( النساء شر كلهن وشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهن ) ومع أنها ناقصة العقل والدين تحمل الرجل على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين كشغله عن طلب أمور الدين وحمله على التهالك على طلب الدنيا وذلك أشد الفساد وقد أخرج مسلم من حديث أبي سعيد في أثناء حديث ( واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء. )<sup>٢</sup>

ولم يُذكر الرجال في آية آل عمران ضمن الشهوات المحبة للنفس : (( لأن ميل النساء إلى الرجال أضعف في الطبع، وإنما تحصل المحبة منهن للرجال بالإلف والإحسان ))<sup>٣</sup>  
والتأمل في واقع النساء يجد أن أكثر ما يكسبه الرجال في كدهم وكدهم ينفق عليهن.  
(( فكم افتقر في حبهن غني؟ وكم استغنى بالسعي للحظوة عندهن فقير؟ وكم ذل بعشقتهم عزيز؟ ))<sup>٥</sup>

ولا أدل على الأخير من قصة ذلك الرجل الذي حضرته المنية، فقيل له قل : لا إله إلا الله. فجعل يقول : أين الطريق إلى حمام منجاب ؟ .

فلقد ألهاه عن ذكر الله تعالى شرود ذهنه وتفكيره كله إلى جارية كانت قد مرت بإزاء داره، وكان بإها يشبه باب ذلك الحمام، فقالت الجارية وكان لها منظر : أين الطريق إلى حمام منجاب ؟ فقال : هذا حمام منجاب. فدخلت الدار، ودخل وراءها. فلما رأت نفسها في داره وعلمت أنه خدعها أظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه، وقالت — خدعة منها له — لتتخلص مما أوقعها فيه، وخوفاً من فعل الفاحشة : يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا، وتقر به عيوننا،

١ صحيح البخاري ١٩٥٩/٥، كتاب النكاح، باب ما يبقى من شؤم المرأة، حديث رقم ٤٨٠٨.

٢ صحيح مسلم ٢٠٩٨/٤، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، حديث رقم ٢٧٤٢.

٣ مرجع سابق، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يبقى من شؤم المرأة، ٤١/٩ بنصرف.

٤ ابن عاشور، سماحة الاستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ط ١، مؤسسة التاريخ، بيروت — لبنان، ٢٠٠١م، ٣٩/٣.

٥ رضا، السيد محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم : تفسير المنار، ط ٢، دار المنار، القاهرة، ١٣٦٦هـ — ١٩٤٧م، ٣٩/٣.



فقال لها : الساعة آتية بكل ما تريدن وتشتهين، وخرج وتركها في الدار ولم يغلقها، فأخذ ما يصلح ورجع، فوجدها قد خرجت وذهبت، ولم تخنه في شيء. فهام الرجل، وأكثر الذكر لها، وجعل يمشي في الطريق والأزقة، ويقول :

يَا رَبِّ قَائِلَةٌ يَوْمًا وَقَدْ تَعَبْتُ  
أَيْنَ الطَّرِيقِ إِلَى حَمَامٍ مِنْجَابٍ ؟

فازداد هيمانه بها واشتد هيجانه، ولم يزل كذلك حتى كان هذا البيت — عياداً بالله — آخر

كلامه من الدنيا (١) ٢

وأما إذا كان القصد منهن الإعفاف فهذا أمر مرغوب وفيه يقول ابن كثير: ((وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج والاستكثار منه وأن خير هذه الأمة من كان أكثرها نساء وقوله صلى الله عليه وسلم : (( الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة؛ إن نظر إليها سرتك، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله )) ٣ ، وقال صلى الله عليه وسلم : (( حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة )) ٤ ، وقالت عائشة رضي الله عنها: (( لم يكن شيء أحب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء من الخيل، وفي رواية: من الخيل إلا النساء )) ٥ ٦

### سبب الفتنة بالنساء :

إن الناظر في واقع النساء اليوم وفي كل يوم يجد أن خروج بعضهن متبرجات سافرات بملابس مغرية ومساحيق و عطور جذابة، يستعرضن بذلك أمام الرجال هو سبب الفتنة، يخلعن بهذا الفعل جلباب الحياء، فيحطمن نخوة الشباب، ويقضين على روح العزة في نفسه، والرجولة في تصرفاته، فيصبح أسير شهوته، وعبد نفسه. لذا نجد الحق سبحانه وتعالى قد هي عن ذلك فهياً صريحاً للإبقاء على العفة والحياء، وتجنيب الرجال الفتنة والإغواء، قال تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيكَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ

١ مرجع سابق، ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ١٠٥ .

٢ مرجع سابق، عبد الحميد بن عبد الرحمن السحبياني، الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن، ص ٢٢٣ — ص ٢٢٣ بتصرف.

٣ سبق تخريجه ص ٢٣ .

٤ سنن النسائي ٦١/٧، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، برقم ٣٩٤٠، مسند الإمام أحمد ٢٨٥/٣، حديث رقم ١٤٠٦٩ حديث صحيح، انظر

صحيح سنن النسائي للألباني ص ٣٦٨١ .

٥ سنن النسائي ٦٢/٧، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، حديث رقم ٣٩٤١، إسناده صحيح انظر مشكاة المصابيح للبريزي، ص ٣٨١٣ .

٦ مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٥٢/١ .

النِّسَاءِ وَلَا يَصْرِيحَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ  
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾

إن الإسلام بتعاليمه السمحة يهدف إلى إقامة مجتمع خالٍ من أسباب الإثارة والشهوة، فقطع على إبليس الطريق حيث منع المواطن المهيجة للعواطف، المثيرة للشهوة، من نظرة متلصصة أو حركة مثيرة أو جسم كاسٍ عارٍ. ومع هذا فالزينة مباحة للمرأة، ولكن أمام محارمها، والنساء مثلها، أما الرجال الأجانب فأمر بالستر وعدم إظهار الزينة لهم حرصاً عليها وعلى حياتها وعفتها، ومنعاً للفتنة.

وقد اتخذ صلى الله عليه وسلم كافة الاحتياطات والموانع التي تقي المسلم من الوقوع في هذه الفتنة حيث بين أهم الأمور التي تكون سبباً للفتنة ووضع لها التدابير المناسبة :

#### ١- إطلاق النظر :

وجعل من آداب الطريق غض البصر كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : ((ياكم والجلوس في الطرقات قالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد، نتحدث فيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإذا أبيتم فأعطوا الطريق حقه. قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)) ٢ .  
وقد ورد في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : (( يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة )) ٣

#### ٢- الخلوة بالنساء غير المحارم

وقد حذر صلى الله عليه وسلم من الخلوة بالنساء غير المحارم وأندر من ذلك، لما يترتب على الخلوة من المفسد العظيمة، ولأن المرأة إذا اختلت بالرجل في مكان يأمنان فيه دخول أحد عليهما فإن الشيطان يكون ثالثهما فيوسوس لهما بالزنا فيقعان فيه. ولذا قال صلى الله عليه وسلم : (( لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم .. )) ٤، وكما فهمي عن الخلوة بالمرأة الأجنبية فهمي أيضاً عن الدخول الدخول على النساء. فعن عقبه بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

١ سورة النور آية ٣١.

٢ صحيح البخاري ٢٣٠٠/٥، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، حديث رقم ٥٨٧٥، صحيح مسلم ١٦٧٥/٣، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، برقم ٢١٢١.

٣ سنن أبي داود ٢٤٦/٢، كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر، برقم ٢١٤٩، سنن الترمذي ١٠١/٥، كتاب الأدب، باب ما جاء في نظرة المفاجأة، برقم ٢٧٧٧، حديث حسن انظر صحيح سنن أبي داود للألباني ٤٠٣/٢، برقم ١٨٨١.

٤ صحيح البخاري ١٠٩٤/٣، كتاب الجهاد، باب من اكتب في جيش فخرجت امرأته حاجة وكان له عذر هل يؤذن له، برقم ٤٤٨٢، صحيح مسلم ٩٧٨/٢، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، حديث رقم ١٣٤١.

((إياكم والدخول على النساء. فقال رجل من الأنصار: أفرايت الحمو؟ قال: الحمو: الموت))<sup>١</sup>  
((والحمو : والحَمُّ : أحد الأَحْمَاء وهم أقارب الزوج))<sup>٢</sup> أي زوج المرأة كأبيه وعمه وأخيه وابن أخيه وابن عمه ونحوهم . ومعنى الحديث : (( أن الخوف من الحمو أكثر من غيره والشر يُتوقع منه، والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة بها من غير أن ينكر عليه، بخلاف الأجنبي. والمراد بالحمو هنا : أقارب الزوج غير آباءه وأبنائه. فأما الآباء والأبناء فمحارم لزوجته، ... ولا يوصفون بالموت، وإنما المراد الأخ وابن الأخ والعم وابنه ونحوهم ممن ليس بمحرم، فهذا هو الموت، وهو أولى بالمنع من الأجنبي))<sup>٣</sup>.

وقد تساهل كثير من الناس اليوم في أمر الأحماء، ودخولهم على الزوجات وخلوهم بهن، فيخلو الأخ بامرأة أخيه فتحصل الفتنة والهلاك ، فلذا شبهه صلى الله عليه وسلم بالموت.

### ٣- خروج المرأة متعطرة متزينة :

وها هو صلى الله عليه وسلم يكرر التحذير من فتنة النساء ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (( إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ))<sup>٤</sup> ، ففي الحديث تحذير منه صلى الله عليه وسلم من فتنة النساء .

ومن فتن النساء التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم وأندر : ما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فأتى امرأته زينب، وهي تَمَعَسُ مَنِئَةَ لها<sup>٥</sup> فقضى حاجته، ثم خرج إلى أصحابه فقال : (( إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه ))<sup>٦</sup> ، ومعنى الحديث : (( أنه يستحب لمن رأى امرأة فتحركت شهوته أن يأتي امرأته أو جاريتها إن كانت له، فليواقعها ليدفع شهوته، وتسكن نفسه، ويجمع قلبه على ما هو بصدده ))<sup>٧</sup>.

١ صحيح البخاري ٢٠٠٥/٥، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة، حديث رقم ٤٩٣٤، صحيح مسلم ١٧١١/٤، كتاب السلام، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، حديث رقم ٢١٧٢.

٢ مرجع سابق، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٩٣٧.

٣ شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٤/١٤، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها.

٤ سبق تخرجه ص ٣٠.

٥ تمعس منية لها : المعس هو الدلك، والمنية : الجلد أول ما يوضع في الدباغ ، انظر : شرح النووي على مسلم ١٧٨ /٩ .

٦ صحيح مسلم ١٠٢١/٢، كتاب النكاح، باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إلى أن يأتي امرأته أو جاريتها فيواقعها، حديث رقم ١٤٠٣.

٧ شرح النووي على صحيح مسلم ، ١٧٨/٩، باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إلى أن يأتي امرأته أو جاريتها فيواقعها .

ففي هذه الأحاديث تشبيه من الرسول صلى الله عليه وسلم بليغ، فكما أن الشيطان يفتن بني آدم بإغوائه، ووسوسته، كذلك فتنة المرأة للرجال تكون أشد وأعظم حين خروجها سافرة متعطرة متبرجة.

وقوله صلى الله عليه وسلم : ( إن المرأة تقبل في صورة شيطان ) معناه كما نقل النووي يرحمه الله عن العلماء : ( الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها، لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء والالتذاذ بنظرهن وما يتعلق بهن، فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له )<sup>١</sup> هذا بالنسبة للمتبرجة والمتعطرة، أما المرأة المؤمنة المحافظة فلا أعتقد أنها تدخل ضمن هذا المعنى والله أعلم.

وكلما خرجت المرأة من بيتها لاسيما إلى الأسواق من غير ضرورة استشرفها أهل الريبة أو الشيطان ليغويها ويغوي بها حتى تبعد عن ربها وتفتن غيرها.

وهناك أمثلة كثيرة للبيان حصول الفتنة بالنساء حين خروجهن وإبداء زينتهن للرجال، ومنها قصة مرثد بن أبي مرثد رضي الله عنه فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: ( كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وكان رجلاً شديداً يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، قال: فدعوت رجلاً لأحملة، وكانت امرأة بغية بمكة يقال لها عناق، وكانت صديقة له، قال: فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة، قال: فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلي بجانب الحائط، فلما انتهت إلي عرفني، فقالت: من هذا مرثد؟ فقلت: مرثد. فقالت: مرحباً وأهلاً هلم فبت عندنا الليلة، قال: قلت: يا عناق حرم الله الزنا. قالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم من مكة إلى المدينة! قال فتبعني ثمانية، وسلكت الخندمة، فانتهيت إلى كهف، أو غار، فدخلت، فجاءوا حتى قاموا على رأسي، فبالوا، فظل بولهم على رأسي وأعماهم الله عني، قال: ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي فحملته، وكان رجلاً ثقيلاً حتى انتهيت إلى الإذخر، ففككت عنه كبله، فجعلت أحمله ويعيبي حتى قدمت المدينة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله أنكح عناقاً؟ فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد علي شيئاً حتى نزلت ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾<sup>٢</sup> فقال صلى الله عليه وسلم: يا مرثد: ((الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك)) فلا

١ المرجع السابق

٢ سورة النور آية ٣

تنكحها) إنه حب الله ورسوله الذي جعله يعرض عنها، ويتحمل الخطر الدنيوي، مقابل الراحة والأمن الآخروي.

٤- ومن الفتنة بالنساء أيضاً الإعلام :

وقد ركز الإعلام على جسد المرأة بصورة ملفتة، فنجده في الفضائيات، والصحافة، والشوارع، ( فأحال حياتنا إلى استعراضات مفرطة، أدت إلى إحداث تغييرات على مستوى المفاهيم والقيم، وبات حضور الجسد يرسم تحولات مختلفة؛ ثقافية واقتصادية، واجتماعية، وأخلاقية، بل وربما سياسة.

فالتأمل للمشهد العام يجد أن السينما على الدوام تحتفل بالجسد الأنثوي؛ لما يحققه من جذب وكسب، بل إن الجسد شكّل في السنوات الأخيرة موضوعاً لأفلام عديدة، وهو ما نظر إليه أهل الفن على أنه تطور.

أما الفيديو كليب الذي بات يشكل الظاهرة الأكثر طغياناً الآن، فهو مثال صارخ على تلاشي الكلمة أمام الصورة، لتصبح الرسالة المعلنة للمغني والمخرج هي بث الإثارة من خلال الأجساد المتراكمة والموزعة بالمجان هنا وهناك.

والرغبة في استثمار الجسد كانت وراء تحول نساء الإعلان إلى مذيعات كل مؤهلاتهن نصيبهن من الجمال، حتى إن عدداً من الفضائيات شهد تحول عارضات وملكات جمال إلى مذيعات؛ مما أدى إلى غياب المضمون، ومقتضيات العمل الإعلامي ليتحول الهدف إلى جذب المشاهد.

ثم تأتي صحافة الفن التي لا تهتم إلا بشؤون الفنانين الخاصة والحضور الطاغي للجسد، في ظل غياب المضمون النقدي الفني، وتسطيح المفاهيم، وباتت برامج التجميل، وعروض الأزياء، والرياضة النسائية، من أهم البرامج في بعض الفضائيات) ٢.

ويحسن بنا أن نضيف هنا ما ذكره الدكتور عاطف العبد الأستاذ بكلية الإعلام، في كلمة ألقاها في مؤتمر بالقاهرة، حيث أكد ( أن دراسات ميدانية أجريت على ١٠٠ أغنية شبابية احتوت على ٧٥٧٣ لقطة، اتضح أنها تتضمن ٢٠٥٦ لقطة بها مشاهد راقصة، و ١٤٠٩ لقطات تركز على المناطق المثيرة، و ٢٤٠٠ لقطة قريبة من مناطق مثيرة، و ١٤٦ لقطة تلامس، و ١٢٦ تشتمل على عناق) ٣

١ سنن الترمذي ٣٢٨/٥، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النور، برقم ٣١٧٧، حديث صحيح. انظر صحيح سنن أبي داود للألباني ٣٨٦/٢، برقم ١٨٠٦.

٢ الخطيب، معزز، صناعة الجسد .. الدخول إلى أسواق الرقيق، موقع إسلام أون لاين.

٣ مشهور، صابر، دراسة الهوية العربية كما تعكسها أغاني الفيديو كليب، موقع إسلام أون لاين.

ولاشك أن في مخالفة هوى النفس قوتها ومنعتها من الشيطان وجنوده فلا تفتتن ولا تفتن غيرها ،  
وبهذا تنجو إن شاء الله .

## ٢ - الفتنة بالبين :

النسل والذرية هدف أصيل من أهداف الحياة الزوجية، فكل إنسان يرغب في بقاء اسمه ودوام أثره، والقرآن الكريم يجعل المباشرة بين الزوجين معللة بقصد النسل: ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ ١ ، وعده الإسلام من النعم التي تبهج الحياة وتضفي عليها السعادة: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ٢ ، بل إننا نجد أن هذه الأمة مأمورة بتكثير سوادها ولهذا ورد في الحديث عن معقل ابن يسار قال : (( جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال وإنما لا تلد أفأتزوجها ؟ قال : لا . ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال : تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم )) ٣ ، ولكن يجب أن يكون حب الأولاد في حدود المعقول فلا يطغى حب الأولاد على القلب فيؤدي إلى الوقوع في الفتنة ، فإن الأولاد مما يفتن به الإنسان في حياته، وهذا عام في جميع الأولاد لأنه ربما عصى الله تعالى بسبب ولده، وتناول الحرام لأجله، ووقع في عظام الأمور، إلا من عصمه الله تعالى، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ٤ ، فالأموال والأولاد فتنة وبلاء واختبار ، فينبغي الحذر من ذلك. وإنما كانت الأموال والأولاد فتنة لأن الإنسان لا يخلو من اشتغال القلب بها.

وسياقي الحديث عن هذا مفصلاً إن شاء الله في الفصل الثاني من هذا الباب.

## ٣- الفتنة بالأموال :

حب المال غريزة في الإنسان ولكنه أحياناً يتجاوز الحد ويرتكب المخطور في سبيل الحصول عليه، خاصة أن أكثر المسلمين اليوم قد تأثروا بالنظرة المادية للحياة عند الغرب، ويظهر هذا التأثير في الحب الشديد للمال، لدرجة عدم مراعاة ما أوجب الله فيه من حقوق.

( ومن أكبر أسباب الزيغ والضلال الحرص على المصالح المادية والمراتب الدنيوية، وهو ما جعل كثيراً من أهباء ورهبان أهل الكتاب يأكلون أموال الناس بالباطل، ويعرضون عن الحق، ويطمسون

١ سورة البقرة آية ٢٢٣ .

٢ سورة الكهف آية ٤٦ .

٣ سنن أبي داود ٢/٢٢٠، كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، برقم ٢٠٥٠، سنن النسائي ٦/٦٥، كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العقيم، برقم ٣٢٢٧، سنن ابن ماجه ١/٥٩٢، كتاب النكاح، باب ما جاء في فضل النكاح، برقم ١٨٤٦، حديث حسن صحيح، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني ٢/٣٨٦، برقم ١٨٠٥ .

٤ سورة التغابن آية ١٥ .

معامله، قال تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُفُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَيَصُودُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١﴾

وقد اعترف أسقف وفد نجران بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنعه من الإيمان حرصه على ما كان الروم يقدمونه له، ولهذا قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بسبب إيثارهم و حرصهم على الأموال والأولاد والمراتب الدنيوية ﴿لَنْ نُعْجِزَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي لن نتفعلهم أموالهم ولا أولادهم، ولن تدفع عنهم شيئاً من عذاب يوم القيامة، ﴿وَأُولَئِكَ هُم وَقُودُ النَّارِ﴾ ٢ أي حطب النار، الذين تُسعر بهم يوم القيامة.

ويفشو هذا الأمر كثيراً بين المتأخرين من هذه الأمة، قال صلى الله عليه وسلم : (( بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا )) (٣) ٤.

ونجد أن بعض الناس يحب المال حباً زائداً عن الحد، فهو لا يحب المال فقط وإنما يحب كثرة الأموال ، ولهذا عبر السياق القرآني في آية آل عمران السابقة الذكر بقوله تعالى : ( والقناطير المنقطرة من الذهب والفضة ) أي : حب الأموال الكثيرة، والتعبير بالقناطير المنقطرة يدل على شدة حب المال عند الإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ٥، وكما قال أيضاً:

﴿وَتُحِبُّونَ أَمْوَالَكُمْ حُبًّا جَمًّا﴾ ٦، كما تدل على عدم قناعة الإنسان بالقليل من المال، قال صلى الله عليه وسلم : (( لو كان لابن آدم واديان من مال لا يبتغي ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب )) (٧).

وقد ورد الأمر بالإنفاق في القرآن الكريم والتحذير من البخل والشح خوفاً على الأبناء، أو خوفاً من الفقر، فقال تعالى : (( وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم على التهلكة وأحسنوا إن الله

١ سورة التوبة آية ٣٤.

٢ سورة آل عمران آية ١٠.

٣ صحيح مسلم ١/١١٠، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، حديث رقم ١١٨.

٤ طهيماز، عبد الحميد محمود، التوراة والإنجيل والقرآن في سورة آل عمران، ط١، دار القلم، دمشق/الدار الشامية، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٢٢ - ٢٣ بتصرف.

٥ سورة العاديات آية ٨.

٦ سورة الفجر آية ٢٠.

٧ صحيح البخاري ٥/٢٣٦، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، حديث رقم ٦٠٧١، صحيح مسلم ٢/٧٢٥، كتاب الزكاة، باب لو أن لابن

آدم واديان لا يبتغي ثالثاً، حديث رقم ١٠٤٨.

يحب المحسنين))<sup>١</sup>، وفي الحديث الذي يرويه حذيفة رضي الله عنه توضيح لسبب نزول هذه الآية حيث يقول : (( نزلت في النفقة ))<sup>٢</sup>، وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم مُلصِقُو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو فقال الناس: مَهْ، مَهْ، لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى النهلكة، فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأظهر الإسلام، قلنا: هلّم نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: {وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة: أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد، قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية.<sup>٣</sup> وأياً كان سبب النزول لهذه الآية الكريمة فإن الأقوال تتفق على أن التهلكة ترك الإنفاق والحرص على الأموال والأولاد، وأن السلامة في البذل والإنفاق وعدم ارتكاب ما حرم الله بسبب خشية الفقر أو بسبب توفير المال للأولاد.

وسأتي الحديث عن هذا أيضاً مفصلاً إن شاء الله في الفصل الثاني من هذا الباب .

## ٤ - الفتنة بالخيال :

الخيال محبوبة مرغوبة على مر العصور، وعند جميع الأمم، وفي جميع الحضارات، ورغم التطور السريع الذي حدث في هذه العصور حيث تفنن الناس في صنوف المراكب براً وبحراً وجواً، ومع ما لدى البشرية من طائرات وسيارات وسفن، ومركبات فضائية، ولكن كل ذلك لم يُغنِ الناس عن ركوب الخيل، وجر العربات بها، والعناية بمسابقات عالمية بين الأفراس.

وقد أحب العرب الخيل أكثر من غيرهم من الأمم، واعتنوا بتربيتها، وحافظوا على أنسابها، كما أنهم أدخلوها في كل شؤون حياتهم سواء في أشعارهم، أو حروبهم، وصيدهم، وتنقلاتهم ورحلاتهم، وللخيال إكرام كبير، ومثلة رفيعة، لدرجة أن بعضهم آثرها على زوجته وأولاده، بل ونفسه، وفي آية آل عمران جعل الله عز وجل من الشهوات الحبية للنفس بعد النساء والبنين والمال الخيل فقال تعالى : ( والخيال المسومة ) أي : (( المظهمة الحسان، أو المعلمة بعلامات مخصوصة تميزها

<sup>١</sup> سورة البقرة آية ١٩٥ .

<sup>٢</sup> صحيح البخاري ١٦٤٢/٤، كتاب التفسير، باب قوله تعالى : ( وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا )، برقم ٤٢٤٤

<sup>٣</sup> سنن أبي داود ٦٥/٢، كتاب الجهاد، باب في قوله عز وجل ( ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة )، برقم ٢٥١٢، سنن الترمذي ١٠٥/٥، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة البقرة، برقم ٢٩٧٢، حديث صحيح، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١٦/١، برقم



عن غيرها، وتظهر جمالها وأصالتها، كالغرة في وجوهها، والتحجيل في أطرافها، وكان الأغنياء —

ولا يزالون — يتنافسون في اقتناء الخيل كمظهر من مظاهر الوجاهة والأبهة والثراء))<sup>١</sup>

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((الخيال لثلاثة لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر، فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها فاستنتت شرفاً أو شرفين كانت أرواثها وآثارها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك حسنات له، ورجل ربطها فخراً ورتاء ونواء لأهل الإسلام فهي وزر على ذلك ..))<sup>٢</sup>

وجاء توضيح ذلك في تفسير ابن كثير حيث يقول : (( حب الخيل يكون على ثلاثة أقسام، تارة يكون ربطها أصحابها معدة لسبيل الله متى احتاجوا إليها غزواً عليها فهؤلاء يثابون ، وتارة تربط فخراً ونواء<sup>٣</sup> لأهل الإسلام فهذه على صاحبها وزر، وتارة للتعفف واقتناء نسلها ولم ينس حق الله في رقابها فهذه لصاحبها ستر))<sup>٤</sup>

وللخيال تكريم خاص فهي الصافنات الجياد التي كانت تعرض على سليمان عليه السلام حيث قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾<sup>٥</sup> إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحِجَابِ ﴿٢٤﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٢٥﴾ وفي تفسير هذه الآية الكريمة يقول الطبري: (حدثنا سعيد عن قتادة : (إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد ) يعني الخيل وصفونها قيامها وبسط قوائمها، وقوله : ( إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ) وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه من ذكره فلهمي عن الصلاة حتى فاتته فقال : إني أحببت حب الخير، أي وعنى بالخير في هذا الموضع الخيل، ويقصد : أحببت حب الخير حتى سهوت عن ذكر ربي وأداء فريضته، وقيل إن ذلك كان صلاة العصر وقوله حتى توارت بالحجاب يقول حتى توارت الشمس بالحجاب يعني تغيبت في مغيبها، وقوله رُدُّوها علي يقول ردوا علي الخيل التي عرضت علي فشغلتنني عن الصلاة،

١ مرجع سابق، عبد الحميد محمود طهماز، التوراة والإنجيل والقرآن في سورة آل عمران، ص ٢٦ .

٢ صحيح البخاري ١٠٥٠/٣، كتاب الجهاد، باب الخيل لثلاثة، برقم ٢٧٠٥ .

٣ نواء : نأوت الرجل مناواة و نواء فاخرته وعاديته والنوء و المناواة المعادة وفي الحديث في الخيل ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لأهل الإسلام أي معادة لهم وفي الحديث لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على من نأواهم أي ناهضهم وعاداهم، انظر : مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب، ١٧٨/١ بتصرف.

٤ مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٥٣/١ .

٥ سورة ص آية ٣٠ — ٣٣ .

وقوله فطفق مسحاً بالسوق والأعناق يقول فجعل يمسح منها السوق وهي جمع الساق والأعناق، واختلف أهل التأويل في معنى مسح سليمان بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها، فقال بعضهم معنى ذلك أنه عقرها وضرب أعناقها، وقال آخرون بل جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حياً لها وهذا رأي لابن عباس، وهذا القول أشبه بتأويل الآية لأن نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يكن — إن شاء الله — ليعذب حيواناً بالعرقبة ويهلك مالاً من ماله بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها<sup>١</sup>

وعندما جاء الإسلام ازدادت مكانة الخيل، وصار لها دور في نشر راية الإسلام، حيث كانت عدة الجهاد لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾<sup>٢</sup>

(( وقد مدحها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاجتمع للناس في حبهم للخيل حبان : حب من جهة الشرع، وحب من جهة الطبع، لذا كانوا يحافظون عليها من الضياع ويؤثرونها على أنفسهم وأهليهم، لدرجة أن الرجل يبيت طاوياً ليشبع فرسه.

ومن الأحاديث التي تدل على فضلها وخيرها وأنه باق إلى يوم القيامة ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (( الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة))<sup>٣</sup>

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم في غزواته يعطي الفارس سهمين من الغنائم والراجل سهماً واحداً، وذلك تشجيعاً للمسلمين على اقتناء وارتباط الخيل في سبيل الله أملاً في مرضاته وثوابه. (زار رَوْحُ بن زَبَاع وهو أحد التابعين الصحابيِّ الجليل تيمماً الداري فوجده ينقي شعيراً لفرسه، قال وحوله أهله فقال له روح أما كان في هؤلاء من يكفيك قال تميم بلى ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما من امرئ مسلم ينقي لفرسه شعيراً، ثم يعلفه عليه إلا كتب الله له بكل حبة حسنة))<sup>٤</sup> ٥

<sup>١</sup> الطبري، الإمام الكبير أبي جعفر، محمد، بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية بمصر، ١٤١٢هـ — ١٩٩٢م، ٩٨/٢٣ — ١٠٠ بتصرف.

<sup>٢</sup> سورة الأنفال آية ٦٠.

<sup>٣</sup> صحيح البخاري ١٠٤٧/٣، كتاب الجهاد، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، حديث رقم ٢٦٩٤. صحيح مسلم ١٤٩٢/٣، كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، حديث رقم ١٨٧١.

<sup>٤</sup> سنن ابن ماجه ٩٣٣/٢، كتاب الجهاد، باب ارتباط الخيل في سبيل الله، حديث رقم ٢٧٩١ بلفظ من ارتبط فرساً في سبيل الله ثم عالج علفه بيده كان له بكل حبة حسنة، مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٠٣/٤، حديث رقم ١٦٩٩٦، حديث صحيح انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٤٠/٥، برقم ٢٢٦٩.

<sup>٥</sup> سند بن مطلق السبيعي، الخيل معقود في نواصيها الخير، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٤م، ص ٢٥.

ولا يقتصر دور الخيل على الجهاد فقط بل في السباق، والفروسية من الرياضات العربية التقليدية الممتعة للناس قديماً وحديثاً، مما حدا بالعرب إلى تعليم أولادهم ركوب الخيل منذ نعومة أظفارهم، وفي حديث لعبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم : ((سبق بالخيل وراهن<sup>١</sup>، وفي لفظة سبق بين الخيل وأعطى السابق))<sup>٢</sup>

## ٥ - الفتنة بالأنعام والحرث :

وقد وردت في آية آل عمران في قوله تعالى : ( والأنعام ) وهي الإبل، والبقر، والغنم ، ( والحرث ) في المزارع والبساتين والحدائق، يقول سيد قطب يرحمه الله : (( وقد قرن تعالى إلى تلك الشهوات الأنعام والحرث، وهما يقترنان عادة في الذهن وفي الواقع .. الأنعام والحقول المخصصة .. والحرث شهوة بما فيه من مشهد الإنبات والنماء. وإن تفتح الحياة في ذاته لمشهد حبيب فإذا أضيفت إليه شهوة الملك، كان الحرث والأنعام شهوة ))<sup>٣</sup>

بعد أن عدد سبحانه وتعالى الشهوات والتي تعتبر نموذجاً لشهوات النفوس، نجد أنه يجتنب ذلك ببيان قيمتها الحقيقية حتى لا تطغى على ما سواها فقال تعالى : ( ذلك متاع الحياة الدنيا ) أي : (( ما يتمتع به في الحياة الدنيا، وهي زائلة قصيرة لا تصفو من كدر، ولا تخلو من غير. ) والله عنده حسن المثاب ) أي : حسن المرجع والعاقبة الحسنة، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ

لِلْأَبْرَارِ ﴿٤﴾ ٥

## ٦- الفتنة بالشیطان :

قال تعالى: ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَبَهُمَا ۗ إِنَّهُ يَرْكُمُ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْوَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ٦. أي لا يصرفنكم الشيطان عن الدين كما فتن أبويكم وكان سبب خروجهما

<sup>١</sup> راهن : الرهان و المراهنة المخاطرة وقد راهنه وهم يتراهنون و أرهنوا بينهم خطرا بدلوا منه ما يرضى به القوم بالغما ما بلغ فيكون لهم سبقا، و راهنت فلانا على كذا مراهنة، وكان أبو عمرو يقول : الرهان في الخيل وقال الفراء الرهن يجمع رهانا مثل نعل ونعال، ثم الرهان يجمع رهنًا، وكل شيء ثبت ودام فقد رهن، و المراهنة و الرهان : المسابقة على الخيل، انظر : مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب، ١٨٩/١٣ بتصرف.

<sup>٢</sup> مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦٧/٢، حديث رقم ٥٣٤٨، واللفظ الثاني في مسند الإمام أحمد بن حنبل أيضا ٩١/٢، حديث رقم ٥٦٥٦، حديث صحيح، انظر غاية المرام في تحريج أحاديث الحلال والحرام للألباني.

<sup>٣</sup> مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٧٤/١ - ٣٧٥.

<sup>٤</sup> سورة آل عمران آية ١٩٨.

<sup>٥</sup> مرجع سابق، عبد الحميد محمود طهماز، التوراة والإنجيل والقرآن في سورة آل عمران، ص ٢٦ - ص ٢٧.

<sup>٦</sup> سورة الأعراف آية ٢٧.

خروجهما من الجنة، وقال صلى الله عليه وسلم : (( إن للشيطان لمة ١ بابت آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فأيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فأيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ: ﴿

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴿٢﴾ ٣

يقول الإمام الغزالي: ((وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه، فسلطنة الشيطان أيضاً سارية في لحمه ودمه، ومحيطة بالقلب من جوانبه، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : ((إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، فضيقوا مجاريه بالجوع )) ٤، وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة، ومجرى الشيطان الشهوات، ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال تعالى إخباراً عن إبليس: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَأَنْزِلَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴿٥﴾ ٦.

وجاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : ((إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام ، فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك ودين آباء أبيك؟! فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال : تهاجر وتدع أرضك وسمائك ، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول؟! فعصاه فهاجر ، ثم قعد له في طريق الجهاد ، فقال : تجاهد فهو جهد النفس والمال ، فتقاتل فتقتل ، فتتكح المرأة ، ويقسم المال؟! فعصاه فجاهد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فعل ذلك كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة . ومن قتل كان حقا على

١ لمة : اللمة : الهمة والخطرة تقع في القلب. أراد إمام الملك أو الشيطان به والقرب منه، انظر : مرجع سابق، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٨٣١.

٢ سورة البقرة آية ٢٦٨.

٣ سنن الترمذي ٢١٩/٥، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، حديث رقم ٢٩٨٨، إسناده صحيح على شرط الشيخين انظر مشكاة المصابيح للتبريزي ص ٧٠.

٤ صحيح البخاري ٢٢٩٦/٥، كتاب الأدب، باب التكبير والتسبيح عند التعجب، برقم ٥٨٦٥، بدون هذه الزيادة، وعند صحيح مسلم ١٧١٢/٤، كتاب السلام، باب ما يستحب لمن روي خالياً بامرأة وكانت زوجة أو محرماً له، برقم ٢١٧٤، كذلك بدون الزيادة، وقال العراقي في الإحياء : متفق عليه دون فضيقوا مجاريه بالجوع فإنه مرسل، انظر : أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط (بدون)، دار المعرفة، بيروت — لبنان، ٨٢/٣.

٥ سورة الأعراف آية ١٦ — ١٧.

٦ الغزالي، الإمام أبو حامد، مكاشفة القلوب المقرب إلى علام الغيوب، ط ٥، دار المعرفة، بيروت — لبنان، ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٢م، علق عليه عبد الحميد طعمه حلبي، ص ٣٩١ — ٣٩٢.

الله أن يدخله الجنة . وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، أو وقصته<sup>١</sup> دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة<sup>٢</sup>))

فعلى المسلم الاعتصام بالله، واللجوء إليه والحذر من العدو الأكبر للإنسان وهو الشيطان ويكثر من ذكر الله حتى لا يسيطر عليه.

## ٧ - الفتنة بالناس :

الإنسان مدني بطبعه، ولا بد له أن يعيش مع الناس ويختلط بهم، وقد يميلون إلى الخطأ، أو إلى الصواب وهم يريدون منه أن يوافقهم، فإن خالفهم آذوه وعذبوه، وإن وافقهم على الخطأ تعرض لغضب الله وسخطه، وبالتالي سيسخط عليه الناس ، فعليه أن يحتمل الأذى اليسير لتعقبه اللذة الدائمة.

وعلى ذلك فالفتنة بالناس تأتي على عدة صور منها :

❖ قد يفتن الناس بعضهم بعضاً، ويصرف بعضهم بعضاً عن الحق والإيمان، إما بالقوة والقهر، وإما بالإغواء والإغراء والأماي والتزيين . قال الله تعالى : ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾<sup>٣</sup>.

( أي شباب من بني إسرائيل صبروا على الخوف لما ثبت الإيمان في قلوبهم، ( على خوف من فرعون وملاهم أن يفتنهم ) أي : عن دينهم لأن له القهر والغلبة فيها فحقيق بهم أن يخافوا من بطشه )<sup>٤</sup>.

وقال تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>٥</sup> . وفي هذه الآيات الكريمة يقول السعدي : (( يخبر تعالى عن افتراء الكفار ودعوتهم للمؤمنين إلى دينهم، وفي ضمن ذلك تحذير المؤمنين من الاغترار بهم والوقوع في مكرهم، وهذا التحمل ولو رضي به صاحبه فإنه لا يفيد شيئاً،

<sup>١</sup> وقصته : الوقص : كسر العنق، انظر : مرجع سابق، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٩٧٣.

<sup>٢</sup> سنن النسائي ٢١/٦، كتاب الجهاد، باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد، برقم ٣١٣٤، مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤٨٣/٣، برقم ١٦٠٠٠، حديث صحيح، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١١٨٦/٦، برقم ٢٩٧٩

<sup>٣</sup> سورة يونس آية ٨٣.

<sup>٤</sup> السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، اعتنى به تحقيقاً ومقابلة عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ط ١، مركز فجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٣٧١ بتصرف يسير.

<sup>٥</sup> سورة العنكبوت آية ١٢.

فإن الحق لله والله تعالى لم يمكن العبد من التصرف في حقه إلا بأمره وحكمه، وحكمه ﴿ أَلَا نُنزِرُ

وَزُرَّةٌ وَّزَرَ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ ﴿٢﴾

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٣﴾

فالدنيا دار ابتلاء وامتحان، يقول السعدي: (( الرسول فتنة للمرسل إليهم، واختبار للمطيعين من العاصين، والرسول فتناهم بدعوة الخلق، والغني فتنة للفقير، والفقير فتنة للغني، وهكذا سائر أصناف الخلق في هذه الدار، دار الفتن والابتلاء والاختبار ))<sup>٤</sup>

ومن فتنة الناس بعضهم ببعض في الدنيا أن يجسد المبتلى المعافي، ويحقر المعافي المبتلى، ويجسد

المحروم صاحب النعمة.. والصبر أن يجس كلاهما نفسه هذا عن البطر، وذاك عن الضجر.

والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس من الكافرين في عصره، وكذلك العلماء

وحكام العدل

❖ وقد تكون الفتنة بالاختلاف في الرأي :

وداء الاختلاف من أخطر ما أصيبت به الأمة، على الرغم من حرص الشريعة الإسلامية على الائتلاف ونبذ الاختلاف، وما حضت الشريعة على شيء بعد الإيمان بالله أكثر من حضها على الوحدة والائتلاف بين المسلمين، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (( يتقارب الزمان — أي تنقص بركته فيمرُّ سريعاً — وينقصُ العمل — يعني الصالح — ويُلقى الشحُّ، وتظهر الفتن، ويكثر المهرج. قالوا: يا رسول الله أئيم هو؟ قال: القتل، القتل ))<sup>٥</sup>.

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الفتنة: كسروا فيها قسيكم<sup>٦</sup>

وقطعوا فيها أوتاركم والزموا فيها أجواف بيوتكم وكونوا كابن آدم) <sup>٧</sup>.

<sup>١</sup> سورة النجم آية ٣٨.

<sup>٢</sup> المرجع السابق، ص ٦٢٧ بتصرف.

<sup>٣</sup> سورة الفرقان آية ٢٠.

<sup>٤</sup> المرجع السابق، ص ٥٨٠.

<sup>٥</sup> صحيح البخاري ٢٢٤٥/٥، كتاب الأدب، باب حسن الخلق وما يكره من البخل، حديث رقم ٥٦٩٠، صحيح مسلم ٢٠٥٦/٤، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن آخر الزمان، حديث رقم ١٥٧.

<sup>٦</sup> قسيكم: القسي: جمع قوس. انظر مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب، ١٨٥/٦ بتصرف.

<sup>٧</sup> سنن أبي داود ١٠٠/٤، كتاب الفتن والملاحم، باب في النهي عن السعي في الفتنة، حديث رقم ٤٢٥٩، سنن الترمذي ٤٩٠/٤، كتاب الفتن، باب ما جاء في اتخاذ سيف من خشب في الفتنة، حديث رقم ٢٢٠٤، سنن ابن ماجه ١٣١٠/٢، كتاب الفتن، باب الثبوت في الفتنة، حديث رقم ٣٩٦١، حديث صحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٣٠/٤، برقم ١٥٢٤.

(وإن مما يؤسف له أن الاختلاف في وجهات النظر ظاهرة صحية فطرية طبيعية تغني العقل المسلم بخصوبة رأي، وعمق تمحيص، وإطلاع أوسع، ولكنه تحوّل إلى مرض عضال، وسمّ زُعاف، أدى إلى التآكل والتفتت، والتشتت والتناحر، وكثيراً ما يعجز الإنسان عن النظرة الكلية السوية للأمور، فيضيق ذهنه على جزئية صغيرة يضخمها ويكبرها، ويقبع وراءها، وينفخ فيها حتى تستغرقه، فلا يرى شيئاً آخرَ غيرَها، ويوالي ويفاصل عليها، ويفسّق ويكفر، ويسقطُ ذلك المريضُ في هاوية التعصب الأعمى السحيقة.

وقد تنقلب الآراء الاجتهادية على أيدي المقلدين إلى تحزب فكري،، وتعصب سياسي تؤوّل الأحاديث والآيات وفقاً لنهجها .

لقد اختلف السلف الصالح ولكن لم يفتروا قال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَوْا فَنَفْسَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحَكُمْ ۗ ﴾<sup>١</sup> ، فقد كان هناك ترتيب للأولويات، وتربية للأجيال، ورجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وضعوا ضوابط وقواعد للمقايسة والاستنتاج لضبط الرأي، وضمان مسار الفكر، وقرن العلم بأخلاقه، والمعرفة بآدابها<sup>٢</sup>

❖ ومن الفتنة بالناس ما تبلى به الطبقة الصالحة في كل عصر، بسبب استقامتها وصلاحتها من جفاء الآباء والأمهات، والإخوة والأخوات ، والأقارب والأصحاب .. يعيرون عليهم تمسكهم بدينهم وتحليل ما أحل الله وتحريم ما حرم الله واتباعهم للسنن ..

ويحاولون أن يصدوهم عما هم عليه ويصرفوهم عن الاستقامة. وفي الحديث الشريف : (( من أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ، وَمَنْ أَسَخَطَ النَّاسَ بِرِضَا اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ النَّاسَ ))<sup>٣</sup>.  
 ((٣. فنجد أن ضغط الأهل قد يؤدي إلى الفتنة؛ لأنه تحصل بسببه في القلب رقة فيستجيب لهم فيقع في الفتنة . وهذا عياش بن أبي ربيعة رضي الله عنه يحدث له ذلك عندما لحق به أبو جهل والحارث بن هشام وهو مهاجر مع عمر رضي الله عنه فقالا له : (( إن أمك نذرت ألا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرق لها. ثم فتن بعد ذلك، وكان سبب فتنته الأولى هو ضغط الوالدة عليه ))<sup>٤</sup> ، والأمثلة كثيرة في ذلك، ولكن على المرء أن يثبت أمام أمام هذه الفتن فقد وُجِدَت أنماط غريبة من الآباء، يغرون أبناءهم ممن ساروا في طريق الهداية

١ سورة الأنفال آية ٤٦ .

٢ ميمني، وجنات، عبد الرحيم ، لماذا الاختلاف ونحن أمة واحدة، ط١، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص٩ - ١٠ .

٣ سنن الترمذي، ٦٠٩/٤، كتاب الزهد، رقم ٢٤١٤، صحيح ابن حبان، ٥١١/١، كتاب البر والإحسان، باب عما يجب على المرء من إرضاء الله، حديث رقم ٢٧٧، مسند الجعد ٢٤١/١، بحديث رقم ١٥٩٣ واللفظ له، حديث صحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٣٩٢/٥، برقم ٢٣١١ .

٤ موسى، محمد بن حسن بن عقيل ، الثبات ، ط ٣، دار الأندلس الخضراء، جدة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص ١٥٧ .

ليحولوا بينهم وبين الحق، بل وليشجعوهم على الباطل، ووصل ببعضهم الحد إلى ضرب الأبناء لإرغامهم على ترك الهداية. ولكن الله تعالى يحذر ويقول عز من قائل: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾<sup>١</sup>

❖ الفتنة بالتقليد :

وقد فتن كثير من المسلمين بتقليد الكافرين، في معتقداتهم وأعمالهم وأزيائهم... وفي الحديث الشريف : (( لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال : فمن ؟ ))<sup>٢</sup> — أي فمن غيرهم ؟ — فكم من المسلمين اليوم تمأون في أمور دينه الحق لما رأى الأجنبي كفر بدينه الباطل أو تمأون فيه. وكم من المسلمين من تشبه بالكافرين في كثير من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم ومظاهرهم. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَٰكِن لَّا يَأْتِيهِمُ الْيَقِينُ لِيَهْدِيَ اللَّهُ بِرَسُولِهِ أَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ هَمٌّ وَرَسُولُهُ ابْنُ مَرْثَمٍ ذُو أُنثَىٰ ذَاتِ لُحْيٍ لَمَّا أَخَذَ الْقُرْآنُ سَبْقَهُمْ خَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَأَن يُعْقِلُوا فَاَلَيْسَ اللَّهُ بِذَلِيعَ الزَّلْمِ ﴿٣٠﴾﴾<sup>٣</sup>. وفي قوله تعالى: ((ولا يكونوا)) فهي مطلق عن مشابھتهم وهو خاص أيضاً في النهي عن مشابھتهم في قسوة قلوبهم ، وقسوة القلوب من آفات المعاصي.

فالبعد عن التشبه بالكافرين في شيء من أقوالهم وأفعالهم ومظاهرهم وأهوائهم ... من المقاصد والغايات التي جاء بها الإسلام. ولما شاور الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما يجمع به الناس للصلاة قالوا عدة أقوال، كما جاء في الحديث الذي يرويه ابن عمر رضي الله عنه يقول : (( كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحننون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم : بل بوقاً مثل قرن اليهود، فقال عمر : أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بلال قم فناد بالصلاة ))<sup>٤</sup>

١ سورة التوبة آية ٢٤.

٢ صحيح البخاري ٢٦٦٩/٦، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لتبعن سنن من كان قبلكم، حديث رقم ٦٨٨٨،

صحيح مسلم ٢٠٥٤/٤، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، حديث رقم ٢٦٦٩.

٣ سورة الحديد آية ١٦.

٤ صحيح البخاري ٢١٩/١، كتاب الأذان، باب بدء الأذان، حديث رقم ٥٧٩.



ونهى عن الصلاة حين تغرب الشمس وقال : (( حينئذ يسجد لها الكفار )) ١ .  
ونهى عن الاشتغال بالثوب في الصلاة فقال : (( ولا تشتملوا كاشتمال اليهود )) ٢ .  
وقد سن النبي صلى الله عليه وسلم للصائم طعام السحور وقال : (( فصل ما بين صيامنا وصيام  
أهل الكتاب أكلة السحر )) ٣ .  
وفي الحديث الشريف :

(( خالفوا المشركين احفوا الشوارب وأوفوا اللحى )) ٤ .

(( لا تسلموا تسليم اليهود فإن تسليمهم بالرؤوس والأكف والإشارة )) ٥ .

(( من تشبه بقوم فهو منهم )) ٦ .

فثبت بهذا كله أن مخالفة الكفار وترك التشبه بهم من مقاصد الشريعة الإسلامية العليا.  
فلينبته لهذا المسلمون اليوم، وليحذروا من تقليد الكافرين في شأن من شؤونهم وليعملوا على إحياء  
سنن نبيهم صلى الله عليه وسلم .

❖ الفتنة بالأصحاب والخطاء :

الصديق الفاضل الصالح المتصف بالصفات الفاضلة والأخلاق الكريمة، هو الذي ترتاح إليه  
النفس ويطمئن به الفؤاد. أما صاحب السوء فهو الذي فسدت أخلاقه وطباعه.  
وقد حث صلى الله عليه وسلم على مصاحبة الأخيار حيث قال : (( لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا  
يأكل طعامك إلا تقي )) ٧، وقال صلى الله عليه وسلم : (( الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم  
أحدكم من يخال )) ٨ ولذا قال تعالى في شأن من كفر به وبرسله: ﴿ وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا

١ صحيح مسلم، ١/ ٥٧٠، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، حديث رقم ٨٣٢..  
٢ سنن أبي داود ١/ ١٧٢، كتاب الصلاة، باب من قال يتزر به إذا كان ضيقاً، برقم ٦٣٥، مسند الإمام أحمد ٢/ ١٤٨، برقم ٦٣٥٦، حديث صحيح،  
انظر : صحيح سنن أبي داود ١/ ١٢٦، برقم ٥٩٣..  
٣ صحيح مسلم ٢/ ٧٧٠، كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيده استحبابه، حديث رقم ١٠٩٦ .  
٤ صحيح البخاري، ٥/ ٢٢٠٩، كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، حديث رقم ٥٥٥٣، صحيح مسلم، ١/ ٢٢٢، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة،  
حديث رقم ٢٥٩ .  
٥ سنن الترمذي ٥/ ٥٦، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في كراهية الإشارة باليد في السلام، رقم ٢٦٩٥، المعجم الأوسط ٧/ ٢٣٨، حديث صحيح، انظر :  
سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٤/ ٣٨٨، برقم ١٧٨٣ .  
٦ سنن أبي داود ٤/ ٤٤، كتاب اللباس، باب في لبس الصوف والشعر، حديث رقم ٤٠٣١، المعجم الأوسط ٨/ ١٧٩، رقم ٨٣٢٧، حديث صحيح، انظر  
غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام للألباني، ص ١٣٧، برقم ١٩٨ .  
٧ سنن أبي داود ٤/ ٢٥٩، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم ٤٨٣٢، سنن الترمذي ٤/ ٦٠٠، كتاب الزهد، باب ما جاء في صحة المؤمن،  
حديث رقم ٢٣٩٥ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن .  
٨ سنن أبي داود ٤/ ٢٥٩، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، حديث رقم ٤٨٣٣، سنن الترمذي ٤/ ٥٨٩، كتاب الزهد، حديث رقم ٢٣٧٨،  
حديث حسن، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٢/ ٥٩٧، برقم ٩٢٧ .

فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ١. ويذكر ابن كثير أن من أسباب ضلالتهم : ( أن الله تعالى قيض لهم من القرناء من شياطين الإنس والجن، حسنوا لهم أعمالهم في الماضي وبالنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين ، فاستحقوا العذاب، كما حق على أمم قد خلت من قبلهم ممن فعل كفعالهم من الجن والإنس فاستوتوا هم وإياهم في الخسار والدمار) ٢

وقال تعالى عند ذكر أهل الجنة وما هم فيه من النعيم : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِأْتَانَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتَرِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ٣. يوضح لنا ابن كثير الأُنس الذي يجده أصحاب الجنة في الجنة فيقول : ( يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون أي عن أحوالهم وكيف كانوا في الدنيا وماذا كانوا يعانون فيها وذلك من حديثهم على شراهم واجتماعهم في تنادهم ومعاشرتهم في مجالسهم وهم جلوس على السرر والخدم بين أيديهم يسعون ويجيئون بكل خير عظيم من مآكل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ( قال قائل منهم إني كان لي قرين ) قال مجاهد يعني شيطاناً ولا تنافي بين كلام مجاهد وابن عباس رضي الله عنهما فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس ويكون من الإنس فيقول كلاماً تسمعه الأذنان وكلاهما يتعاونان، ولهذا ( قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أنك لمن المصدقين ) أي أنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد والكفر والعناد ( إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً إنا لمدينون ) قال مجاهد لخاسبون ( قال هل أنتم مطلعون ) أي مشرفون يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة ( فاطلع فرآه في سواء الجحيم ) قال ابن عباس يعني في وسط الجحيم ( قال تالله إن كدت لتردين ) يقول المؤمن مخاطباً للكافر والله إن كدت لتهلكني لو أطعته ( ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ) أي ولولا فضل الله علي لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت محضر، معك في العذاب، ولكنه تفضل علي ورحمني فهداني للإيمان وأرشدني إلى توحيده) ٤.

١ سورة فصلت آية ٢٥.

٢ مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩٨/٤ بتصرف.

٣ سورة الصفات آية ٥٠ - ٥٧.

٤ المرجع السابق ص ٨ - ٩ بتصرف.

ولهذا جاء في الحديث الشريف : (( إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك — أي يعطيك — وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة ))<sup>١</sup>. فصحة الرجل الصالح التقى المنيب نافعة، وصحة العاصي ضارة (( قال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين : رجل تتعلم منه شيئاً في أمر دينك، فينفك أو رجل تعلمه شيئاً في أمر دينه فيقبل منك، والثالث فاهرب منه . وقد قال تعالى : ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾<sup>٢</sup> لأن مشاهدة الفسق والفساق قهون أمر المعصية على القلب، وتبطل نفرة القلب عنها ))<sup>٣</sup>.

فعلى المؤمن العاقل أن يحذر ويحذر أبناءه من أصحاب السوء، وكذلك ينبغي له أن يتفقد نساءه وأهل بيته، وإذا خالط أن يحسن اختيار من يخالطه بأن يكون مستقيماً ذا خلق حتى لا يصيبه منه ما يكره.

وقد ورد عن مالك بن دينار أنه قال لختنه : (( يا مغيرة انظر كل أخ لك وصاحب لك ، وصدق لك لا تستفيد في دينك منه خيراً فانبذ عنك صحبتته، فإنما ذلك لك عدو، .. ))<sup>٤</sup>

وقد تحدث الشعراء في اختيار الأصدقاء ( قال الشاعر ينصح بصفات لاختيار الصاحب :

فَصَاحِبٌ تَقِيًّا عَالِمًا تَنْتَفِعُ بِهِ	فَصُحْبَةُ أَهْلِ الْخَيْرِ تُرْجَى وَتُطَلَبُ
وَإِيَّاكَ وَالْفُسَّاقَ لَا تَصْحَبْتَهُمْ	فَقُرْبُهُمْ يُعِيدِي وَهَذَا مُجَرَّبٌ
فَإِنَّا رَأَيْنَا الْمَرْءَ يَسْرِقُ طَبْعُهُ	مِنَ الْإِلْفِ ثُمَّ الشَّرُّ لِلنَّاسِ أَغْلَبُ
كَمَا قِيلَ طِينٌ لَاصِقٌ أَوْ مُؤْتَرٌ	كَذَا دُودٌ مَرَجٍ خُضْرَةٌ مِنْهُ يَكْسَبُ
وَجَانِبٌ ذَوِي الْأَوْزَارِ لَا تَقْرَبْتَهُمْ	فَقُرْبُهُمْ يُرْدِي وَلِلْعَرَضِ يَتَلَبُّ

وقال صلى الله عليه وسلم: (( المرء مع من أحب ))<sup>٥</sup>، فيا سعادة من كان محباً لرسول الله صلى صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، حشرنا الله معهم وفي زمرةهم آمين .

١ صحيح البخاري ٢١٠٤/٥، كتاب الذبوح والصيد، باب المسك، حديث رقم ٥٢١٤، صحيح مسلم ٢٠٢٦/٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، حديث رقم ٢٦٨٢.

٢ سورة لقمان آية ١٥.

٣ مرجع سابق، الغزالي، إحياء علوم الدين ١٧٢/٢.

٤ ختنه : ختن القوم صهرهم، انظر : مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب ١٩٨/١٤ بتصرف.

٥ ابن حميد، صالح، بن عبد الله، ابن ملح، عبد الرحمن، بن محمد، بن عبد الرحمن، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ط١، دار الوسيلة، جدة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ١١٣/٢ بتصرف يسير.

٦ صحيح البخاري ٢٢٨٣/٥، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله عز وجل لقوله ( إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله )، حديث رقم ٥٨١٦،

صحيح مسلم ٢٠٣٢/٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، حديث رقم ٢٦٣٩.

## ٨- الفتنة بالخير والشر:

إن حياة الإنسان مهما طالت فهي قصيرة، وليس له من متعتها إلا لذائد محدودة، وبالتالي فمهما حاول أن يستزيد من خيراتها فلن ينال إلا حسب إمكانياته وظروفه، ومهما حصل فلن يكون قطرة من بحر، وما يفوته منها أكثر بكثير. ثم وإن حصل الخير، وجمع المال فليس لبقائه ضمان، فقد يموت ويتركه، وقد يحرم من هذه الخيرات بموانع لا يملك دفعها من مرض أو عجز، ولذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ ﴿٦٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ﴿٦٧﴾ ٢، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٦٨﴾ ٣، لذا فإن الخير والشر فتنة من الله للعبد قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٢٥﴾ ٤ وفي معنى الآية الكريمة يقول ابن كثير: (( أي ونختبركم بالمصائب تارة، وبالنعيم أخرى، فننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط، كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ونبلوكم يقول: نبتليكم بالشر والخير فتنة بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال، ( وإلينا ترجعون ) أي فنجازيكم بأعمالكم ))<sup>٥</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿٦٩﴾ ٦.

وفي سبب نزول الآية الكريمة يقول البخاري: (( عن ابن عباس قال: كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً، ونتجت خيله قال: هذا دين صالح؛ فإن لم تلد امرأته ولم تُنتج خيله قال هذا دين سوء ))<sup>٦</sup>.

وقال القرطبي: (( قال المفسرون: نزلت في أعراب، كانوا يقدمون على النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون؛ فإن نالوا رخاء أقاموا، وإن نالتهم شدة ارتدوا ))<sup>٧</sup>.

١ يعقوب، محمد، بن حسين، نصائح للشباب تمذيب غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاري، ط ١، مكتبة الصحابة، الإمارات - الشارقة/ مكتبة التابعين، القاهرة، ١٩٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٢٦٣ - ص ٢٦٥ بتصرف.

٢ سورة الملك آية ١٦ - ١٧.

٣ سورة الملك آية ٢١.

٤ سورة الأنبياء آية ٣٥.

<sup>٥</sup> مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٧٩/٣.

٦ سورة الحج آية ١١.

<sup>٧</sup> صحيح البخاري ١٧٦٨/٤، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: (( ومن الناس من يعبد الله على حرف ))، رقم ٤٤٦٥.

<sup>٨</sup> مرجع سابق، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧/١٢ بتصرف يسير.

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْلَنَنِي ﴿١٦﴾ ١ .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة : (( يقول تعالى منكراً على الإنسان في اعتقاده إذا وسع عليه في الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له وليس كذلك بل هو ابتلاء

وامتحان ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ﴿٥٥﴾ ٢

وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له قال الله ( كلا ) أي ليس الأمر كما زعم، لا في هذا ولا في هذا، فإن الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين إذا كان غنياً بأن يشكر الله على ذلك وإذا كان فقيراً بأن يصبر ))<sup>٣</sup>

فليست العبرة إذاً بكثرة المال والأولاد، ولا بقلتهما، وإنما بمدى قرب المرء من ربه أو بعده عنه.

## ٩- الفتنة بالملك والجاه والمظاهر :

الملك والجاه مسؤولية، والمسؤولية في الإسلام مغرم لا مغنم، فلا يظن أحد أن المنصب وسيلة للسعادة، إلا إذا كان لله .. ولذا أهلك الله فرعون بالمنصب حين تكبر بسببه عن قبول دين الله، بل زاد بأن جعله محاربة لله، ولذا قال تعالى : ﴿ وَتَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي

مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥٥﴾ ٤

يقول سيد قطب يرحمه الله في تفسير هذه الآية : ( يذكر في الآية اعتزاز فرعون بما له من ملك ومن سلطان، وتساؤله في فخر وخيلاء : (( أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ؟ أفلا تبصرون )) وانتفاخه على موسى عبد الله ورسوله، وهو مجرد من الجاه الأرضي والعرض الدنيوي:

﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٦﴾ ٥ واقتراحه الذي يشبه ما يقترحون:

يقترحون: ﴿ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ ﴿٥٧﴾ ٦

.. وكأنما هي نسخة تكرر ، أو اسطوانة تعاد !

١ سورة الفجر آية ١٥ - ١٦ .

٢ سورة المؤمنون آية ٥٥ .

٣ مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥١٠/٤ .

٤ سورة الزخرف آية ٥١ .

٥ سورة الزخرف ٥٢

٦ سورة الزخرف آية ٥٣

وهنا تتبدى طبيعة الكبراء والطغاة في استقبال دعوة الحق، واعتزازهم بالتافه الزهيد من عرض هذه الأرض) ١.

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً إلى كسرى ملك الفرس يدعوه فيه إلى الإسلام فلما وصل إليه الكتاب مزقه استكباراً، ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبره قال: (( مزق الله ملكه كل ممزق )) ٢، وفعلاً استجاب الله عز وجل دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فكانت مملكة كسرى أقرب الممالك سقوطاً .

وكم في الناس من يقع فريسة لفتنة الملك، فيظلم ويظلم، ويبطش، ويأكل أموال الناس بالباطل .. فلا يطول به زمن حتى يصير إلى ذل وهوان، بعد عز وجاه وملك .  
وإذا استدرجه الله من حيث لا يعلم، واستمر ملكه .. صار إلى أجله المحتوم، فانتقل من بهجة القصر، إلى ظلمة القبر.

وفي الحديث الشريف : (( إن الله ليملي للظالم — أي يمهله — فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ )) ٣

وفي هذه الآية يقول سيد قطب يرحمه الله : ( بعد الإمهال والمتاع والابتلاء، وبعد الإعدار بالرسول والبيئات، وبعد أن يسود الظلم في الأمة ويسيطر الظالمون، ويتبين أن دعاة الحق المصلحين قلة منعزلة لا تأثير لها في حياة الجماعة الظالمة السادرة في الضلال، تلاقي مصيرها الذي يقدره الله لها، وفق سنته التي لا تتخلف على مدار الزمان.

ذلك الأخذ الأليم الشديد في الدنيا علامة عذاب الآخرة، يراها من يخافون عذاب الآخرة، أي الذين تفتحت بصائرهم ليدركوا أن الذي يأخذ القرى بظلمها في هذه الحياة سيأخذها بذنوبها في الآخرة، فيخافوا هذا العذاب .. ) ٥، يذكر الذهبي في ترجمة عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي أنه أنه : ( كان قبل الخلافة عابداً ناسكاً بالمدينة، وعن نافع قال : لقد رأيت المدينة وما بها شاب أشد تشميراً، ولا أفتة، ولا أنسك، ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك، وبعد أن تولى الخلافة يقول ابن عائشة : أفضى الأمر إلى عبد الملك والمصحف بين يديه فأطبقه وقال : هذا آخر العهد بك، يقول

١ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣١٩٢/٥ بتصرف.

٢ صحيح البخاري ١٦١٠/٤، كتاب المغازي، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر، رقم ٤١٦٢.

٣ سورة هود آية ١٠٢.

٤ صحيح البخاري ١٧٢٦/٤، كتاب التفسير، باب قوله تعالى وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد، حديث رقم ٤٤٠٩.

٥ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ١٩٢٨/٤ بتصرف.

الذهبي معلقاً : اللهم لا تمكر بنا، وعن يحيى بن يحيى الغساني قال : كان عبد الملك كثيراً ما يجلس إلى أم الدرداء في مؤخر مسجد دمشق، فقالت : بلغني أنك شربت الطلاء<sup>١</sup> بعد النسك والعبادة ! فقال : إي والله، والدماء<sup>٢</sup>

وأما الجاه : فيقول عنه الماوردي : ( هو من أطف الصنائع موقعاً، وربما كان أعظم من المال نفعاً ، وهو الظل الذي يلجأ إليه المضطرون — بعد الله تعالى — وهو بالبذل ينمي ويزيد، وبالكف ينقص ويبيد، فلا عذر لمن منح جاهاً أن يبخل به، فيكون أسوأ حالاً من البخيل بماله، الذي قد يُعده لنوائبه، ويستبقيه للذته، ويكثره لذريته، وبضد ذلك من بخل بجاهه، لأنه قد أضاعه بالشح، وحرّم نفسه غنيمة مُكنته، وفرصة قدرته، فلم يُعقبه إلا ندماً على فائت، ومقتاً يستحکم في النفوس، وذمماً ينتشر في الناس، قال بعض الحكماء : اصنع الخير عند إمكانه يبق لك حمده عند زواله، وأحسن الدولة لك، يُحسن لك والدولة عليك، واجعل زمان رخائك عدة لزمان بلائك.

وبذل الجاه قد يكون من كرم النفس، وشكر النعمة، وضدّه من ضدّه، وليس بذل الجاه لالتماس الجزاء بذلاً مشكوراً، وإنما هو بائع جاهه، ومُعاوضٌ على نعم الله تعالى وآلانه، فكان بالذم أحق . وعلى من أسعد بجاهه ثلاثة حقوق، يستكثر بها الشكر، ويستمدُّ بها المزيد من الأجر: أحدها : أن يستسهل المعونة مسروراً، ولا يستثقلها كارهاً، فيكون بنعم الله تعالى متبرماً، وإحسانه متسخطاً. والثاني : مجانية الاستطالة، وترك الامتنان فإنهما من لؤم الطبع، وضيق الصدر، وفيهما هدمُ الصنيع وإحباطُ الشكر. وقد قيل للحكيم اليوناني : من أضيق الناس طريقاً وأقلهم صديقاً ؟ قال : من عاشر الناس بعبوس وجهه، واستطال عليهم بنفسه.

والثالث : ألا يقرن بمشكور سعيه تقريباً بذنب، ولا توبيحاً على هفوة، فلا يفي مضضُ التوبيخ، بإدراك التُجح، وبصير الشكر وجداً — أي غضباً — والحمدُ عيباً. <sup>٣</sup> ولكن كثير من الناس إذا أتاه الله ملكاً أو جاهاً تكبر على عباد الله، وكثير منهم من غره جاهه وسلطانه، وظن أنه لا يقدر عليه أحد، ولكنه نسي أن الله أعظم وأقدر منه.

## ١٠- الفتنة بالعجب والكبر :

إن من أكبر نعم الله على الإنسان ، نعمة الإيمان ، ولا تحصل إلا إذا انشرح الصدر بنور البصيرة، والمتكبر هو من لم تنفتح بصيرته فاتخذ الشيطان دليلاً، والكبر يتأتى من إعجاب المرء بنفسه فيراها

<sup>١</sup> الطلاء : والطلل، والطلّة : الخمر اللذيذة، وحمرة طلة أي لذیذة، انظر : مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب ٦/١١ ٤ بتصرف.

<sup>٢</sup> مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٤٧ — ٢٤٩ بتصرف.

<sup>٣</sup> مرجع سابق، الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٣٢١ — ص ٣٢٢.

أكبر من غيرها، وهما يسلبان الفضائل، ويكسبان الرذائل، قال صلى الله عليه وسلم : (( ثلاث مهلكات : شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه))<sup>١</sup> (لأنه مع العجب يوجد الرضا عن النفس، والرضا عن النفس يتفرع عنه الكثير من التقصير، والكثير من الأمراض، كالغرور وازدراء الآخرين، ودعوى المقامات، وغير ذلك.

وهذا المرض (العجب) هو الذي بسببه لا يستطيع صاحبه أن يتعامل مع الآخرين تعاملًا عاديًا فطريًا، فلا هو يرضى أن يتابع الآخرين، والآخرون لا يستطيعون أن يتابعوا صاحب ذلك، لأن متابعته تؤدي إلى الدمار.

واعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾<sup>٢</sup>، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ((الهلاك في اثنتين : القنوط والعجب))<sup>٣</sup> وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالسعي والطلب والجد والتشمير، والقانط لا يسعى ولا يطلب، والمعجب يعتقد أنه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى. فالموجود لا يُطلب، والخال لا يُطلب، والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصله له، ومستحيلة في اعتقاد القانط، فمن هنا جمع بينهما. وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ﴾<sup>٤</sup>، قال زيد بن أسلم : ((فلا تركوا أنفسكم أي : فلا تبرؤوها))<sup>٥</sup>، أي لا تعتقدوا أنها بريئة، وهو معنى العجب.

### آفة العجب :

آفات العجب كثيرة، فإن العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه، فيتولد من العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى، هذا مع العباد، وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدتها، لظنه أنه مستغن عن تفقدتها فينساها، وما يتذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه، فلا يجتهد في تداركه وتلافيه، بل يظن أنه يغفر له. وأما العبادات والأعمال فإنه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعالها، وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين من فعلها، ثم إذا أعجب بها عمي عن آفاقها، ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه

١ سبق تخريجه ص ٥٨.

٢ سورة التوبة آية ٢٥.

٣ مرجع سابق، الغزالي، إحياء علوم الدين ٣/٣٦٩.

٤ سورة النجم آية ٣٢.

٥ مرجع سابق، الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ٤١/٢٧.



ضائعاً ، فإن الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع، وإنما يتفقد من يغلب عليه الإشفاق والخوف، دون العجب. والمعجب يعتز بنفسه وبرأيه، ويأمن مكر الله وعذابه، ويظن أنه عند الله بمكان، وأن له عند الله منة وحقاً بأعماله التي هي نعمة وعطية من عطايها، ويجرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها، وإن أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال، فيستبد بنفسه ورأيه، ويستكف عن سؤال من هو أعلم منه، وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره، ولا يفرح بخواطر غيره، فلا يسمع نصح ناصح، ولا وعظ واعظ، بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال، ويصر على خطئه، فإن كان رأيه في أمر دنيوي فيخفق فيه، وإن كان في أمر ديني لا سيما فيما يتعلق بالعقائد فيهلك به، ولو اهتم نفسه، ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن، واستعان بعلماء الدين، وواظب على مدارسة العلم، وتابع سؤال أهل البصيرة، لكان ذلك يوصله إلى الحق، فهذا وأمثاله من آفات العجب، فلذلك كان من المهلكات) ١ .

وأما الكبر فهو من أسوأ الخصال لأنه يمنع صاحبه من تعلم العلم، وقبول الحق، وقد تكلم سيد قطب عن الكبر في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ٢ ، فقال : (إن الله تعالى يعلن عن مشيئته في شأن أولئك الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق أنه سيصرفهم عن آياته فلا ينتفعون بها، ولا يستجيبون لها، وهي جبلة تجنح عن سبيل الرشد حيثما رأتها ، وتجنح إلى سبيل العي حيثما لاح لها، وهذه السمة التي يرسمها التعبير، ويطبع بها هذا النموذج المتكبر ، الذي قضت مشيئة الله أن يجازيه على التكذيب بآيات الله والغفلة عنها بصرفه عن هذه الآيات أبداً) ٣

أتى رجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فجلس فكان يأكل بالشمال ولا يأكل باليمين (لأنه متكبر) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( كل بيمينك . فقال : لا أستطيع . فقال صلى الله عليه وسلم: لا استطعت ما منعه إلا الكبر فما رفعها إلى فمه )) ٤ . أي أصبحت يابسة ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ٥ .

١ حوى، سعيد ، المستخلص في تركية الأنفس، ط٧، دار السلام، القاهرة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ١٨٦ — ص ١٨٩ بتصرف.

٢ سورة الأعراف آية ١٤٦.

٣ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن ١٣٧١/٣ — ١٣٧٢ بتصرف.

٤ صحيح مسلم ١٥٩٩/٣، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، حديث رقم ٢٠٢١.

٥ سورة فصلت آية ١٦.

وللمتكبرين علامات ذكرها الإمام الغزالي فقال : (( اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كصَعْر في وجهه، ونظره شزراً، وإطرافه رأسه، وجلسه متربعاً أو متكئاً، وفي أقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الإيراد، ويظهر في مشيته، وتبخره، وقيامه، وجلسه، وحركاته، وسكناته، وفي تعاطيه لأفعاله، وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله، فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض ... ))<sup>١</sup>

وهذه الصفات بخلاف صفات عباد الرحمن التي في قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾<sup>٢</sup>.

وهكذا نجد أن الكبر يُكسب صاحبه المقت، ويوغرُ صدور إخوانه عليه .  
( وأحق من كان للكبر مجانباً، وللإعجاب مابناً، من جلَّ في الدنيا قدره، وعظُم فيها خطره، لأنه قد يستقل بعالي همته كل كثير، ويستصغر معها كل كبير، وروى قيس بن حازم أن رجلاً أتى به للنبي صلى الله عليه وسلم فأصابته رعدة، فقال له صلى الله عليه وسلم : (( هَوْنٌ عليك، فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد ))<sup>٣</sup> ، وإنما قال له ذلك صلى الله عليه وسلم حسماً لمواد الكبر، وقطعاً لذرائع الإعجاب )<sup>٤</sup>.

وقد عدد صاحب موسوعة نضرة النعيم أضرار الكبر والعجب فقال: (من مضار الكبر والعجب أنه:

- ١ — طريق موصل إلى غضب الله وسخطه .
- ٢ — دليل سفول النفس وانحطاطها .
- ٣ — يورث البعد عن الناس والبعد عن الله .
- ٤ — الشعور بالعزلة وضيق النفس وقلقها.
- ٥ — اشمزاز الناس منه وتفرقهم من حوله.
- ٦ — استحقاق العذاب في النار .
- ٧ — هلاك النفس وذهاب البركة.
- ٨ — الكبر يبعد المتكبر عن طاعة الله .
- ٩ — جزاء المتكبر الطرد من رحمة الله .
- ١٠ — المتكبرون تعمي بصائرهم عن الحق.
- ١١ — العجب يؤدي إلى الكبر وكفى به آفة..
- ١٢ — العجب يؤدي إلى نسيان الذنوب.
- ١٣ — العجب يؤدي إلى التقليل من الطاعات.
- ١٤ — أكثر سعي المعجب بنفسه ضائع.
- ١٥ — العجب يؤدي إلى الغرور .
- ١٦ — العجب يؤدي للإصرار على الخطأ.

<sup>١</sup> مرجع سابق، الغزالي، إحياء علوم الدين ٣/ ٣٥٤.

<sup>٢</sup> سورة الفرقان آية ٦٣.

<sup>٣</sup> سنن ابن ماجه ١/٢، ١١٠، كتاب الأطعمة، باب القديد، حديث رقم ٣٣١٢، المعجم الأوسط ٢/٦٤، رقم ١٢٦٠، حديث صحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٤/٤٩٦، برقم ١٨٧٦.

<sup>٤</sup> مرجع سابق، الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٢٣٣ بتصرف.

١٧ — المعجب بنفسه يلقي بها إلى الهلاك ويجرمها من رضوان الله ومن ثم رضا الناس (١)  
فالكبر والعجب يمنعان صاحبهما من الاستماع للنصح، أو قبول التأديب، كما يمنعان من  
الانقياد لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم تكبراً وعناداً واستعظماً .

وبمناسبة الحديث عن الكبر والعجب، فهناك صفتان تلحقان بهما أحببت إيرادهما هنا لأهميتهما وهما:

### الاحتقار والغرور :

تعجب من الإنسان لكونه يجمع بين المتناقضات، فهو في جانب أقوى من كل ما خلق الله في  
الحياة، حتى إنه استطاع الطيران في الجو، والغوص في البحر، والوصول إلى القمر، وفي جانب آخر  
تجده ضعيفاً عاجزاً تؤذيه الذبابة الشاردة وتمرضه الشوكة البسيطة.  
(والإنسان العاقل هو الذي لا ينسى جوانب الضعف والقوة، فلا يُغرُّ بمظاهر القوة والذكاء  
والعلم، ويتناول بغروره إلى كلِّ مثزلة، ولا يركن إلى جوانب الضعف والعجز فيه، فيحتقر نفسه،  
ويزدري إمكانياته.

ومن علائم الخير في كل أمة أن تنجو من مرضين خطيرين : مرض الغرور، ومرض الاحتقار.  
أما الغرور فهو أن ترى أفرادها يحتقرون كل من عداهم، ويتناولون إلى ما ليس في قدرتهم،  
ويتدخلون فيما ليس من شأنهم، ويحكمون على ما لم يحيط به علمهم، حتى ليترفع أحدهم عن  
الإصغاء لنصيحة، والاستماع لرأي، والإجلال لعالم، فكل واحد منهم يرى نفسه عالماً فوق العلماء  
، وسياسياً لا تغيب عنه شاردة، وعظيماً لا يرى بجانبه أحداً يستحق الإجلال والإكبار.  
وإنه لمرض يتفشى في أمتنا اليوم، وحسبك أن تستمع إلى أحاديث الناس في المجتمعات العامة وفي  
الطرق والأندية، لترى كيف يحمل كثير منهم خنجر مسموم يجرح هذا ويقطع به ذاك، وكيف  
ينطوي على غرور يجعل رأيه فوق الآراء، ونظرة فوق الأنظار، وعلمه فوق كل علم، وهو لا يفتأ  
في حديثه يصف الناس بالحماقة، ويصف السياسيين بالبلادة، ويصف العلماء بالجهل، وحين تبثلى  
الأمة بهذا المرض تستعصي على نصح الناصحين، وتنحدر وهي تظن أنها في أعلى عليين، وتتراكم  
عليها المصائب وهي تظن أنها في أتم صحة، وتتألب عليها الدنيا وهي تظن أنها أقوى من أعدائها  
جميعاً.

أما المرض الثاني فهو مرض احتقار النفس .. تجتمع إلى رجل من المرضى بهذا المرض النفسي  
فتراه محطماً الأعصاب، مسلوب الإرادة، فاقد الأمل، لا يثق بنفسه، ولا بأتمته، ولا يرى أنه شيء في  
الحياة، وما أقساه من مرض على الأمة، إذ يشل فيها الوعي والحياة والحركة، ويجعلها ذليلة أمام كل

١ مرجع سابق، مجموعة من العلماء، موسوعة نضرة النعيم، ١١/٥٣٨٠ بتصرف يسير .

جبار، ضعيفة أمام كل قوي، وهذا المرض متفش في أمتنا أيضاً، فكم في أمتنا من قضى عليهم الخمول والكسل والعزلة، ولو سألتهم عن ذلك لأجابوك: من نحن؟ وما قيمتنا؟ وإذا أحاط الشر بأمتهم رأيتهم يتسللون لوأذاً إلى البيوت أو المعابد، فإن طلبت إليهم أن يساهموا في البلاد، قالوا لك: وما شأننا في الحياة؟ وماذا نستطيع أن نعمل؟ وهل نستطيع أن نوقف الشمس أو نؤخر عجلة الزمان؟

مثل هؤلاء في مجتمعا كثيرين، وأعجب من ذلك أنك ترى في هؤلاء المصابين بمرض الخمول والاحتقار، من هو مصاب بداء الغرور أيضاً، فهو يقدر نفسه في أمته تقدير المغرور المتبجح، ولكنه يضع نفسه أمام الأعداء موضع الحقير الذي ليس من حقه أن يرفع رأساً أو يطلب كرامة! كلا يا صاحبي إنك شيء عظيم تستطيع أن تفعل أشياء وأشياء.. وما هؤلاء الذين تراهم ممن يملؤون التاريخ بجلائل الأعمال، و يملؤون المجتمع بوافر النشاط، إلا أناس مثلك لهم مواهبك وذكاؤك، ولكنهم وثقوا بأنفسهم، وعرفوا قيمة مواهبهم، فاستفادوا منها وأفادوا أمتهم.. أما أنت فلقد ازدريت نفسك، وانتقصت أمتك، ورضيت لنفسك أن تكون نسياً منسياً.

وما أكثر هؤلاء الذين تراهم ينتقصون أمتهم، ويمجدون أعداءهم، ويحتقرون عقائدهم، وهم بالعقائد الباطلة لدى الأمم الأخرى أشد إعجاباً، وأكثر تقديراً، وإذا ادلهم الخطب في أمتهم رأيتهم دعاة هزيمة، وأبواق خذلان، ييثون في قومهم أن أعداءنا لا يُقاتلون، وأننا في وقوفنا في وجههم نقضي على أنفسنا وعلى مستقبلنا!

وما أجمل أدب الإسلام وتعليمه حين نهانا عن هذين المرضين، وأبعدنا عن التخلق بهما.. فهو يبعدنا عن الغرور بتذكيرنا دائماً بقدره الله فوق قدرتنا، ونعمة الله علينا في كل ما نعتز به من

مال وجاه وعلم وفضل.. يقول تعالى: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ ١

وأما أدب الإسلام في الثقة بالنفس والابتعاد عن احتقارها، فإنك لتراه واضحاً في هذه الآيات التي ترفع معنويات الأمة وتحملها رسالة الإنقاذ والإصلاح، حيث قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

أُخْرِجَتِ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ٢، وقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) ٤

١ سورة النحل آية ٥٣.

٢ سورة آل عمران آية ١١٠.

٣ سورة آل عمران آية ١٣٩.

٤ السباعي، مصطفى، أخلاقنا الاجتماعية، ط٥، المكتب الإسلامي، بيروت/ دمشق، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ١٠ - ص ١٤ بتصرف.

فعلى المسلم أن لا يحتقر نفسه بل يعطيها حقها من الثقة فيها، والاعتزاز بها، وأن يستمر في تقويم نقصها واعوجاجها إن وجد، وأن يتفقدتها ويزكيها، وفي المقابل لا ينبغي أن تزيد الثقة بالنفس لتصل إلى الغرور ونكران نعم المنعم، والتقصير في شكره عليها، بل يسعى دائماً لتزكيته ليفلح ويفوز في الدنيا والآخرة.

## ١١- الفتنة بمسيرة الواقع :

فتنة شديدة تضغط على كثير من الناس فيضعفون أمامها، ألا وهي فتنة مسيطرة الواقع وضغط الفساد ومسيرة العادات، ومراعاة رضا الناس وسخطهم، وهي فتنة لا يستهان بها، فلقد سقط فيها كثيرون وضعفوا عن مقاومتها، والموفق من ثبته الله عز وجل، كما قال تعالى : ﴿يُثَبِّتُ

اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ ١

يقول الإمام ابن القيم يرحمه الله عن هذه الآية: (( تحت هذه الآية كثر عظيم، من وفق لمعرفة وأحسن استخراجها واقتناؤه وأنفق منه فقد غنم، ومن حرمه فقد حرم )) ٢.

## بعض الصور لفتنة مسيطرة الواقع :

إن فتنة مسيطرة الواقع والتأثر بما عليه الناس لتشتد حتى تكون سبباً في الوقوع في الشرك الموجب للخلود في النار — عياداً بالله — وذلك كما هو الحال في (( شرك المشركين الأولين من قوم نوح وعاد وثمود، والذين جاءوا من بعدهم من مشركي العرب، فلقد ذكر لنا القرآن الكريم أنهم كانوا يحتجون على أنبيائهم — عليهم السلام — عندما واجهوهم بالحق ودعَوْهم إلى التوحيد بأنهم لم يسمعوا بهذا في آبائهم الأولين، وكانوا يتواصون باتباع ما وجدوا عليه آباءهم ويحرض بعضهم بعضاً على ذلك، وسجل الله تعالى عن قوم نوح قولهم: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأُولِينَ﴾ ٣، وقال تعالى عن قوم هود: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحَدُّهُ وَاذَرْنَا مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا﴾ ٤.

والآيات في ذلك كثيرة والمقصود التنبيه إلى أن تقليد الآباء ومسيرة ما عليه الناس وما ألفوه، هو من أشد أسباب الوقوع في الكفر والشرك، وقد بيّن الحق للناس ولكن لوجود الهوى وشدّة ضغط الواقع وضعف المقاومة يؤثر المخدول أن يبقى مع الناس، ولو كان يعتقد أنهم على

١ سورة إبراهيم آية ٢٧.

٢ ابن القيم، الإمام، التفسير القيم، جمعه: محمد أويس الندوي، حققه: محمد حامد الفقي، ط (بدون)، دار الفكر، بيروت — لبنان، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م، ص ٣٣٣.

٣ سورة المؤمنون آية ٢٤.

٤ سورة الأعراف آية ٧٠.

باطل، وأن ما تركه وأعرض عنه هو الحق المبين، وإلا فما معنى إصرار أبي طالب عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يموت على عقيدة عبد المطلب الشركية مع قناعته بأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله والحق معه، لولا الهوى ومسايرة ما عليه الآباء وخوفه من مصادمتهم وتضليلهم؟!!

ولو جئنا لعصرنا الحاضر وبحثنا عن أسباب ضلال علماء الضلال الذين زينوا للناس الشرك والخرافة والبدع الكفرية لرأينا أن من أهم الأسباب مسائرتهم للناس، وميلهم مع الدنيا ومناصبها، وظنهم أنهم بمصادمة الناس سيخسرون دنياهم وجاههم بين الناس، فأثروا الحياة الدنيا على الآخرة، وسايروا الناس مع اعتقادهم بطلان ما هم عليه.

وكذلك الحال في سائر الناس المقلدين لهم في الشرك والخرافة والسحر والشعوذة، لو بان لأحدهم الحق فإنه يحتج بما عليه أغلب الناس، فيسير معهم، ويضعف عن الصمود أمام باطلهم، إلا من رحم الله من عباده الذين لا يُقَدِّمون على مرضاة الله تعالى شيئاً، ولا يتركون الحق لأجل الناس، ولا يسايروهم على ما هم عليه من فساد وضلال؛ بل يتذكرون قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس)) ١.

والأصل في مساورة الناس على ضلالهم هو الهوى المتغلب على النفوس بحيث يطمس البصيرة، حتى ترى المتبع لهواه يضحى بروحه في سبيل هواه وباطله، وهو يعلم نهايته البائسة، ومن كانت هذه حاله فلا تنفعه المواعظ ولا الزواجر، كما قال الإمام الشاطبي يرحمه الله: ((فكذلك صاحب الهوى إذا ضل قلبه وأشرب حبه لا تعمل فيه المواعظ ولا يقبل البرهان ولا يكثر بمن خالفه)) ٢. أما ما يتعلق بما دون الكفر من فتنة مساورة الواقع فهي كثيرة ومتنوعة اليوم بين المسلمين، وهي تتراوح بين الفتنة وارتكاب الكبائر أو الصغائر، أو الترخص في الدين، وتتبع زلات العلماء لتسويغ المخالفة الشرعية الناجمة عن مساورة الركب، وصعوبة الخروج عن المألوف، واتباع الناس إن أحسنوا وإن أساءوا.

والفتنة بمسايرة الواقع وما اعتاده الناس كثيرة في زماننا اليوم لا يسلم منها إلا من رحم الله عز وجل وجاهد نفسه مجاهدة كبيرة؛ لأن ضغط الفساد ومكر المفسدين وترويض الناس عليه

١ سنن الترمذي ٦٠٥/٤، كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، رقم ٢٤١٤، حديث صحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٣٩٢/٥.

برقم ٢٣١١.

٢ الشاطبي، أبو إسحاق، إبراهيم، بن موسى، اللخمي، الغرناطي، المالكي، الموافقات في أصول الشريعة، (طردون)، دار المعرفة، مكة المكرمة، عني بضمه وترقيمه ووضع تراجمه الأستاذ محمد عبد الله دراز، ٢/٢٦٨.

ردحاً من الزمان جعل القابضَ على دينه اليوم المستعصيَ على مسابرة الواقع في جهاد مرير مع نفسه ومع الناس كالقابض على الجمر.

وإن مما يعين العبد على هذه المشقة والصبر العظيم استشعار عظم الأجر الذي يناله هذا المستعصي على مسابرة الناس، ويكفي في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم. قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: بل منكم)) ١.

وأخص بالذكر فئة الدعاة وأهل العلم وما يجب أن يحدروهم من هذه الفتنة: إن أهل العلم والدعاة إلى الله عز وجل لمن أشد الناس تعرضاً لفتنة المسابرة؛ وذلك لكثرة الفساد وتنوعه وتسلط شياطين الإنس والجن على أهل الخير بالإيذاء والوسوسة وتأويل الأمور.. إلخ مما قد يُعَرِّضُ العالم أو الداعية إلى التنازلات والمداهنات، إرضاءً للناس، أو اتقاءً لسخطهم، أو رضياً بالأمر الواقع، سواء كان ذلك بتأويل أو بغير تأويل، وإن سقوط العالم أو الداعية في هذه الفتنة ليس كسقوط غيره؛ ذلك أن غيره من عامة الناس لا تتعدى فتنته إلى غيره غالباً، بخلاف العالم أو الداعية فإن فتنته تتعدى إلى غيره، لأن الناس يرون فيه القدوة والشرعية، فإذا وقع من الدعاة والعلماء من وقع في مسابرة الواقع والرضا بالأمر الواقع فمن للأمة ينقذها ويرفع الذل عنها؟ هذا أمر يجب أن يتفطن له كل منتسب إلى الدعوة والعلم، ويتفقد نفسه ويحاسبها، ويسعى لإنقاذ نفسه وأهله حتى يكون لدعوته بعد ذلك أثرٌ على الناس، أما إذا أهمل الداعية نفسه، وسار مع ما ألهه الناس، فإن الخطر كبير على النفس والأهل والناس من حوله.

إن المطلوب من العالم والداعية في مجتمعات المسلمين هو تغيير المجتمعات وتسييرها إلى ما هو أحسن لا مسابقتها ومداهنتها، وفي ذلك يتحدث أحد الدعاة المخلصين عن رجل العقيدة الذي يسعى لتغيير الواقع وتسييره في مرضاة الله عز وجل، وليس مسابرتَه في مرضاة النفس والناس فيقول: ((وأهم شيء في الموضوع تكوين رجل العقيدة، ذلك الإنسان الذي تصبِح الفكرة همه، تقيمه وتقعهده، ويحلم بها في منامه، وينطلق في سبيلها في يقظته، وليس لدينا منهم كثير — ومثل هذا لا ينعدم في أمة الخير — ولكن لدينا نفوس متألة متحمسة مستعدة بعض الاستعداد، ولا بد للنجاح من أن ينقلب هؤلاء إلى مثل قوية تعي أمرها، وتكمل نقصانها، ليتم تحفيزها الذي ينطلق من عدم الرضا بالواقع والشعور بالأخطار التي تتعاقب، وينتهي باستجابة لأمر الله ونداءات الكتاب الحكيم، ومراقبة وعد الله ووعيده، والتأسي بسيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ولا بد لنا من

١ المعجم الكبير ١٧/١١٧، رقم ٢٨٩، حديث صحيح انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١/٨٩٢، رقم ٤٩٤.

وصف عاجل وتحديد مجمل لرجل العقيدة، إن السلوك الأول الفطري الذي يأتي به المخلوق إلى هذه الدنيا هو السلوك الغريزي، وهذا السلوك يظل لدى الإنسان فعالاً ومؤثراً حياة المرء كلها. وفي مجتمع كمجتمعنا لا يليق بشخص محترم أن يحمل حاجاته إلى منزله — مع أنه مما يثاب عليه — وفي مجتمع كمجتمعنا لا بد من التبذير ولا بد من الترف؛ فالأرائك في المنزل لا يحسن أن تكون من خشب رخيص وفراش بثمان زهيد؛ بل لا بد من المغالاة بأثمانها، فهذا تبذير للأموال ووضعها في غير موضعها، والتبذير محرم في عرف الشرع، ولكن سخط المجتمع أكبر عند بعض الناس من الحلال والحرام، ويتحكم المجتمع في الأزياء تحكماً يقارب عبادة الوثن، كثيرون أولئك الذين يعيشون من أجل رضا الناس والخوف من سخطهم، لا يستطيعون التفلت من هذه القيود حياتهم كلها، وهذا المستوى يرتبط بالمستوى الغريزي الأول؛ ذلك أن الإنسان اجتماعي بطبعه يعيش مع الناس ويحرص على رضاهم.

وقليل أولئك الذين يستطيعون أن يتجاوزوا هذا المستوى، يتخطونه إلى مستوى أرفع منه (( ١ . مع ملاحظة أن الإنسان إذا كان يفعل هذا من باب التحدث بنعم الله تعالى عليه، والشكر له عليها، فلا بأس، أما المنهي عنه هو أن يكون فعله ذاك على سبيل المباهاة والمفاخرة والاستعلاء على الخلق والتقصير في شكر الخالق عز وجل.

ومن صور هذه الفتنة التي يجب أن يحذرها المسلمون عامة والمصلحون وأهل العلم خاصة ما يلي :

١ - مسابرة الواقع وما ألهه الناس من عادات اجتماعية وأسرية ، حيث إنه قد ظهرت في حياة الناس — ومن سنوات عديدة — عادات وممارسات اجتماعية مخالفة للشريعة والمروءة بفعل الانفتاح على حياة الغرب الكافر ، ثم قام الإعلام الآثم بتزيينها للناس فوافقت قلوباً خاوية من الإيمان فتمكنت منها، وأشربت حبها، وكانت في الأول غريبة ومستنكرة، ولكن النفوس ألفتها وسكنت إليها مع مرور الوقت وشدة الترويض وقلة الوازع، ومن أبرز هذه العادات والممارسات :

أ - التعامل مع الخاديات وكأهن إماء غير حرائر ولا أجنبيات، يتبرجن أمام صاحب المنزل، وقد يخلو بهن، وكذلك الحال مع الخاديات والسائقين بالنسبة لنساء المنزل؛ حيث قد ينفردون بالنساء اللاتي قد يتسامحن بكشف زينتهن أمامهم، وكأهم مما ملكت اليمين، وكل هذا — ويا للأسف — بعلم ولي الأمر من زوج أو أب أو أخ، وإذا نُصح الولي في ذلك قال : نحن نساير الواقع، وكل الناس

١ المصري، العلامة محمد أمين، في سبيل الدعوة الإسلامية، ص ٣٩ — ٤٣ باختصار نقلاً عن مجلة البيان العدد ١٤٧٥، ١٤٢٠هـ — ٢٠٠٠ م



واقعون في هذا، ومن الصعب مقاومة ضغط الأهل والأولاد، ومطالبهم وإلحاحهم على مسابرة أقاربهم وجيرانهم .

ب - كذلك ما امتلأت به البيوت من صور ذوات الأرواح من غير ضرورة حتى أصبحت هذه المقتنيات أمراً مألوفاً لا يمكن الانفكاك عنه، ومن ينكره من أولياء الأمور يعترف بضعفه أمام رغبات زوجته وأولاده، وسخط المجتمع من حوله. فيستسلم لهذه المنكرات مسابرةً للواقع، وإرضاءً للناس الذين لن يغنوا عنه من الله شيئاً، وكفى بذلك فتنة .

ج ما يحصل في قصور الأفراح والفتادق من منكرات وبخاصة في أوساط النساء كال تبرج الفاضح، والغناء الحرم، المصحوب بالآلات المحرمة ، ناهيك عن المفاخرة والمباهاة في الملابس والمآكل... إلخ ومع ذلك فلقد أصبحت أمراً مألوفاً يُشْتَع على من يخرج عليه أو يرفضه ويقاطعه، حتى أصبح كثير من الناس أسيراً لهذه العادات مسابراً للناس في ذلك إرضاءً لهم، أو اتقاءً لسخطهم.

د مسابرة النساء في لباسهن وتقليدهن لعادات الغرب الكافر في اللباس والأزياء وصرعات الموضات، حتى أصبح أمراً مألوفاً لم ينبج منه إلا أقل القليل ممن رحم الله عز وجل من النساء الصالحات ، أما أكثر الناس فقد سقط في هذه الفتنة فانهمزمت المرأة أمام ضغط الواقع الشديد، وتلا ذلك انهزام وليها، وسابرها في ذلك حتى صرنا نرى أكثر النساء على هيئة في اللباس والموضات ينكرها الشرع والعقل، وتنكرها المروءة والغيرة، يقول صاحب الظلال في ذلك : ( هذه العادات والتقاليد التي تكلف الناس العنت الشديد في حياتهم، ثم لا يجدون لأنفسهم منها مفراً، هذه الأزياء والمراسم التي تفرض نفسها على الناس فرضاً وتكلفهم أحياناً ما لا يطيقون من النفقة، وتآكل حياتهم واهتماماتهم ، ثم تفسد أخلاقهم وحياتهم، ومع ذلك لا يملكون إلا الخضوع لها : أزياء الصباح، وأزياء بعد الظهر، وأزياء المساء، الأزياء القصيرة، والأزياء الضيقة، والأزياء المضحكة، وأنواع الزينة والتجميل، والتصنيف إلى آخر هذا الاسترقاق المذل، من الذي يصنعه ؟ ومن الذي يقف وراءه ؟ تقف وراءه بيوت الأزياء، وتقف وراءه شركات الإنتاج ! ويقف وراءه المرابون في بيوت المال والبنوك من الذين يعطون

أمواهم للصناعات ليأخذوا هم حصيلة كدّها ! ويقف وراءه اليهود الذين يعملون لتدمير البشرية كلها ليحكموها (١) .

٥ - مسابرة الناس فيما اعتادوه اليوم من التوسع في المساكن والمراكب والمآكل بشكل يتسم بالترف الزائد، بل بالمباهاة والمفاخرة، حتى ضعف كثير من الناس عن مقاومة هذا الواقع؛ فراح الكثير منهم يرهق جسده وماله، ويحمل نفسه الديون الكبيرة وذلك حتى يساير الناس ويكون مثل فلان وفلان، والمشكل ليس في التوسع في المباحات، وترفيه النفس، فقد لا يكون بذلك بأس إذا لم يوقع في الحرام، لكن ضغطَ الواقع، وإرضاءَ الناس، ومسابرة عقول النساء والأطفال يدفع بعضَ الطيبين إلى تحميل نفسه الديونَ الباهظة، وذلك ليكونَ مثل غيره في المركب أو المسكن، ولن ينفعه مسابرة الناس من الأقارب والأبعاد شيئاً إذا حضره الموت وديون الناس على كاهله لم يستطع لها دفعا.

٢ - مسابرة الناس فيما يطرحونه من استفتاءات حول بعض المخالفات الشرعية المعاصرة، وذلك من قبل بعض أهل العلم الذين قد يرون مسابرة الواقع، ويفتون ببعض الأقوال الشاذة والمهجورة، أو يحتجون بقواعد الضرورة، أو رفع الحرج، أو الأخذ بالرخص.. إلخ، ولا يخفى ما في ذلك من السير مع أهواء الناس والرضا بالأمر الواقع، والتحلل من أحكام الشريعة شيئاً فشيئاً، والمطلوب من أهل العلم والفتوى في أزمنة الغربية أن يعطوا الناس ويرشدوهم، ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر، بدل أن يحسنوا لهم الواقع ويسوغوا صنيعهم وفيه يقول الشاطبي يرحمه الله : (( المقصد الشرعي من وضع الشريعة هو إخراج الملّكف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبداً لله اضطراراً)) ٢ ويقول أيضاً: ((إن الترخّص إذا أخذ به في ما رُدُّه على الإطلاق، كان ذريعة إلى انحلال عزائم المكلفين في التعبد على الإطلاق فإذا أخذ بالعزيمة كان حرياً بالثبات في التعبد والأخذ بالحزم فيه.. فإذا اعتاد الترخّص صارت كل عزيمة في يده كالشاقة الحرجة، وإذا صارت كذلك لم يقيم بها حق قيامها وطلب الطريق إلى الخروج منها)) ٣ .

١ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن ، ٢/ ١٢١٩ .

٢ مرجع سابق، الشاطبي، الموافقات، ٢/ ١٢٨ .

٣ المرجع السابق ٢/ ٢٤٧ .

وقد لا يكون المفتي قاصداً مسايرة الناس أو الميل مع أهوائهم؛ ولكنه يغفل عن مكر بعض الناس وخداعهم، وذلك في طريقة استفتاءاتهم وصياغتها صياغة تدفع المفتي من أهل العلم إلى إجابته بما يهوى، وعن هذا يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (( يجرم عليه — أي المفتي — إذا جاءته مسألة فيها تحيل على إسقاط واجب أو تحليل محرم أو مكر أو خداع أن يعين المستفتي فيها، ويرشده إلى مطلوبه أو يفقيه بالظاهر الذي يتوصل به إلى مقصوده؛ بل ينبغي له أن يكون بصيراً بمكر الناس وخداعهم وأحوالهم، ولا ينبغي له أن يحسن الظن بهم، بل يكون حذراً فطناً فقيهاً بأحوال الناس وأمورهم، يؤازره فقهه في الشرع، وإن لم يكن كذلك زاغ وأزاغ، وكم من مسألة ظاهرها جميل وباطنها مكر وخداع وظلم! فالعُرُ يُنظر إلى ظاهرها ويقضي بجوازه، وذو البصيرة ينفذ إلى مقصدها وباطنها، فالأول يروج عليه زغل المسائل كما يروج على الجاهل بالنقد زغل الدراهم، والثاني يُخرج زيفها كما يخرج الناقدُ زيفَ النقود، وكم من باطل يخرج به الرجل بحسن لفظه، وتنميته، وإبرازه في صورة حق! وكم من حق يخرج به تهجينه وسوء تعبيره في صورة باطل! ومن له أدنى فطنة وخبرة لا يخفى عليه ذلك )) ١.

٣ - مسايرة الأنظمة ببعض التنازلات التي تضر بالدعوة وأهلها، وهذا من أخطر ما يتعرض له أهل الدعوة والعلم والإصلاح، وبخاصة حينما يكثر الفساد وتشتد وطأته على الناس ويبطئ نصر الله عز وجل ويتسلط الظالمون على عباد الله المصلحين، حينئذ يجتهد بعض المهتمين بالدعوة والإصلاح، ويظهر لهم أن التقارب مع أرباب الأنظمة والسلطان والالتقاء معهم في منتصف الطريق قد يكون فيه مصلحة للدعوة وتخفيف شر عن المسلمين، وكل ما في الأمر بعضُ التنازلات القليلة التي يتمخض عنها — بزعمهم — مصالحُ كبيرة دون أن تكون هناك تنازلات من الجانب الآخر تراجعاً عن بعض الشر، أو قبولاً لبعض الخير.

وليس المقام هنا مقام الرد والمناقشات لهذه الاجتهادات، فيكفي في فشلها وخطورتها نتائجها التي نسمعها ونراها عند من خاضوا هذه التنازلات ورضوا بالأمر الواقع؛ فلا مصلحة ظاهرة حققوها بتنازلاتهم، ولا مفسدة قائمة أزالوها؛ ولقد حذر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم من الركون للظالمين المفسدين أشد التحذير وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِنُفِّرِيَّ عَلَيْنَا غَيْرُ وَإِذَا لَاتَخَذُوكَ حَلِيلًا ﴾ ﴿٧٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كَدَّتْ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَادَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ

١ مرجع سابق، ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين ٤/٢٢٩.

لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ١، يشرح هذه الآيات صاحب الظلال فيقول: ((يعدد السياق محاولات المشركين مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأولها: محاولة فتنته عما أوحى الله إليه، ليفتري عليه غيره، وهو الصادق الأمين. لقد حاولوا هذه المحاولة في صور شتى منها: مساومتهم له أن يعبدوا إلهه في مقابل أن يترك التنديد بأهنتهم وما كان عليه آباؤهم، ومنها: مساومة بعضهم له أن يجعل أرضهم حراماً كالبيت العتيق الذي حرمه الله، ومنها: طلب بعض الكبراء أن يجعل لهم مجلساً غير مجلس الفقراء. والنص يسير إلى هذه المحاولات ولا يفصلها، ليذكر بفضل الله على الرسول صلى الله عليه وسلم في تنبيته على الحق، وعصمته من الفتنة، ولو تخلى عنه تنبیت الله وعصمته لركن إليهم فاتخذوه خليلاً، وللقي عاقبة الركون إلى فتنة المشركين هذه وهي مضاعفة العذاب في الحياة وفي الممات، دون أن يجد له نصيراً منهم يعصمه من الله. هذه المحاولات التي عصم الله منها رسوله صلى الله عليه وسلم هي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائماً، محاولة إغرائهم لينحرفوا — ولو قليلاً — عن استقامة الدعوة وصلابتها، ويرضوا بالحلول الوسط التي يغروهم بها في مقابل مغنم كثيرة، ومن حملة الدعوات من يفتن بهذا عن دعوته؛ لأنه يرى الأمر هيناً؛ فأصحاب السلطان لا يطلبون منه أن يترك دعوته كلية، إنما هم يطلبون تعديلات طفيفة ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق، وقد يدخل الشيطان على حامل الدعوة من هذه الثغرة، فيتصور أن خير الدعوة في كسب أصحاب السلطان إليها ولو بالتنازل عن جانب منها! ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق، وصاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزء منها ولو يسيراً، وفي إغفال طرف منها ولو ضئيلاً، لا يملك أن يقف عند الذي سلم به أول مرة؛ لأن استعداداً للتسليم يتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء وأصحاب السلطان يستدرجون أصحاب الدعوات، فإذا سلموا في الجزء فقدوا هيبتهم وحصانتهم، وعرف المتسلطون أن استمرار المساومة، وارتفاع السعر ينتهيان إلى تسليم الصفقة كلها، والتسليم في جانب ولو ضئيل من جوانب الدعوة لكسب أصحاب السلطان إلى صفها، هو هزيمة روحية بالاعتماد على أصحاب السلطان في نصره الدعوة، والله وحده هو الذي يعتمد عليه المؤمنون بدعوتهم ومتى دبت الهزيمة في أعماق السريرة، فلن تنقلب الهزيمة نصراً!)) ٢.

١ سورة الإسراء آية ٧٣ - ٧٥.

٢ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ٤/٢٢٤٥ بتصرف يسير.

٤ - مسامرة ركب الغرب في بعض ميادينه من قِبَل دعاة العصرانية من أبناء المسلمين ، إن الحديث عن العصرانية والعصرانيين يطول، ولكن يكفي أن نذكر هنا ما يتعلق بموضوعنا وهو الحديث عن فتنة المسامرة ، وهم لا يعترفون بأنها مسامرة، ولكنهم يسمونها تطويراً وتجديداً، يناسب العصر، وتحت هذا المسمى يقضون على كثير من الثوابت الشرعية ويتحللون من شرع الله عز وجل، باسم التطوير وهو في الحقيقة مسامرة للواقع الغربي، وتقليد أعمى، وانبهار بإنجازاته المادية، بل الهزيمة النفسية أمامه؛ والغريب في أمر هؤلاء أنهم يرفضون التقليد، ويشنعون على من يقلد سلف الأمة ويتبعهم، وعلى من يبقى على الموروث لا يتجاوزه ولا يطوره، ثم هم في الوقت نفسه يسقطون في تقليد الغرب، ومحاكاته بصورة لا تدع مجالاً للريب والشك؛ وهم الذين يتشدقون بالعقلانية ورفض التقليد !! ويعرّف الدكتور الزيندي العصرانية بقوله : (( هي التأقلم مع المعطيات الاجتماعية والعلمية المتجددة في كل عصر، وربط الإنسان في فرديته وجماعيته بها في دائرة التصور البشري ))<sup>١</sup>، ويتحدث الأستاذ محمد حامد الناصر عن بعض شذوذات العصرانيين في ميادين الفقه فيقول: (لقد خرج العصرانيون علينا بفقه غريب شاذ يريد تسويغ الواقع المعاصر لإدخال كثير من القيم الغربية في دائرة الإسلام؛ ذلك أن موقفهم من النصوص الشرعية عجيب؛ فإذا كانت الآية واضحة الدلالة والأحاديث النبوية متواترة قالوا : إن هذه النصوص كانت لمناسبات تاريخية لا تصلح لعصرنا الحاضر، وإذا كانت أحاديث آحاد قالوا لا يؤخذ من خبر الآحاد تشريع ولا تبني عليه عقيدة، أو ألغوا بعض الأحاديث الصحيحة بحجة أنها سنة غير تشريعية، ثم يتهمون الفقهاء بالجمود وضيق الأفق !! إن هذه التجاوزات — لو أخذ بها — لن تترك من ثوابت الإسلام إلا وحاولت مسخه أو تشويهه ومن شذوذاتهم :

أ - رفضهم تطبيق الحدود التي فيها رجم أو قتل أو قطع عضو إلا بعد الإصرار والمعاودة والتكرار، ويأتون بشبه من هنا وهناك.

ب - إباحتهم الربا في البنوك بحجة الحفاظ على اقتصاد البلاد وأن الربا المحرم عندهم هو الربح المركب.

ج - موقفهم من المرأة والدعوة إلى تحريرها — بزعمهم — ودعوتهم لها إلى محاكاة المرأة الغربية في عاداتها، وإلى الثورة على الحجاب الشرعي وتعدد الزوجات.

ولذلك فالتجديد عندهم :

١ الزيندي، عبد الرحمن، بن زيد، العصرانية في حياتنا الاجتماعية، ط١، دار المسلم، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص ٢٤.

- يعني هدم العلوم المعيارية : أي علوم التفسير المأثور وأصوله، وعلم أصول الفقه،  
وعلم مصطلح الحديث.

- ويعني رفض الأحاديث الصحيحة جزئياً أو كلياً بحجة ضرورة ملاءمتها لعقولهم  
ولمصلحة الأمة، وظروف العصر الحاضر على زعمهم.

- ويعني رفض السنة غير التشريعية أي : فيما يخص شؤون الحكم والسياسة وأمور  
الحياة والمجتمع عموماً.

- التجديد عندهم يعني الخروج من إطار الشريعة إلى القوانين الوضعية، التي تحقق  
الحرية، والتقدم، ولذلك هاجموا الفقه والفقهاء بلا هوادة.

- الاجتهاد والتجديد عندهم يعني تحقيق المصلحة وروح العصر ( ١ ).

ولذا نجد أن :

١- الإسلام دين الله لإصلاح أوضاع البشرية في كل زمان ومكان، ونصوصه  
الثابتة هي الكتاب والسنة، أما فهم عالم - أيًا كان علمه - في زمن معين فهو  
الواجب الشرعيُّ عليه، حيث وظَّف النصوص الشرعية لحل مشكلات عصره، لكن  
لا يلزم أن تكون حلول ذلك العالم في وقته، ولا فهمه للنصوص ثابتة مقدسة كنبات  
وقدسية النصوص الأصلية ( الكتاب والسنة ).

٢- بناء على ذلك فمبدأ القول بضرورة فهم النصوص الشرعية فهماً يناسب العصر  
قول صحيح مقبول مبدئياً، لكن يشترط أن يكون صادقاً، أي يراد به فهم النصوص  
لكي تحل مشكلات الواقع، لا التحلل من الشرع واطراحه، وبشرط احترام  
مقدسات الإسلام عامة.

مما سبق يتبين خطر هذه الفتنة وأن أصلها مسيطرة الواقع والانهزامية أمام ضغطه، مصحوباً  
ذلك بالجهل بالإسلام أحياناً، وبالهوى والشهوة أحياناً كثيرة.

## الآثار الخطيرة لفتنة مسيطرة الواقع :

إن لمسايرة الواقع وما أُلّفه الناس من المخالفات الشرعية من الآثار الخطيرة على المسائر في  
دينه ودينه ما لو انتبه له الواحد منهم لما رضي بحاله التي أعطى فيها زمامه لغيره، ومن أخطر هذه  
الآثار ما يلي :

١ الناصر، محمد حامد، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، ط١، مكتبة الكوثر، الرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ٢٥٧ - ٢٧١

١ الآثار الدنيوية : وذلك بما يظهر على المسائر من فقدان الهوية وذوبان الشخصية الإسلامية، وبما يتكبد من معاناة في جسده ونفسه وماله وولده، وهذه كلها مصادر عنت وشقاء بخلاف المستسلم لشرع الله عز وجل، الراض لما سواه، المنجذب إلى الآخرة، فلا تجده إلا سعيداً قانعاً مطمئناً ينظر ماذا يرضي ربه فيفعله، وماذا يسخطه فيتركه، غير مبالٍ برضى الناس أو سخطهم.

٢ الآثار الدنيوية : وهذه أخطر من سابقتها؛ وذلك أن المسائر لواقع الناس المخالف لشرع الله عز وجل يتحول بمضي الوقت واستمراء المعصية إلى أن يألفها ويرضى بها، ويحتفي من القلب إنكارها، وما وراء ذلك من الإيمان حبةً خردل كما أن المسائر لركب المخالفين لأمر الله عز وجل لا تقف به الحال عند حد معين من المسائرة والتنازل والتسليم للواقع، بل إنه يتزل في مسائره خطوة خطوة؛ وكل معصية تسائر فيها الناس تقود إلى معصية أخرى؛ وهكذا حتى يظلم القلب ويصيبه الران — أعاذنا الله منه — ذلك أن من عقوبة المعصية معصية بعدها، ومن ثواب الحسنة حسنة بعدها كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ ١ وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا السُّوْءَى ﴾ ٢ .

٣ - الآثار الدعوية : إن الداعية الذي تظهر عليه مظاهر مسائرة الواقع يفقد مصداقيته عند نفسه وعند الناس، وإن لم يتدارك نفسه فقد ييأس ويخسر ويترك الدعوة وأهلها؛ إذ كيف يسائر الواقع من هو مطالب بتغيير الواقع وتسييره؟! وكلما كثر المسايرون كثر اليائسون والمتساقطون؛ وهذا بدوره يؤدي إلى ضعف الدعوة وضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣

فنسأل الله تعالى أن يحفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ونسأله سبحانه إذا أراد بقوم فتنة أن يقبضنا إليه غير مفتونين، إنه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين .

١ سورة العنكبوت آية ٦٩ .

٢ سورة الروم آية ١٠ .

٣ الخليل، عبد العزيز، مقالة في مجلة البيان العدد ١٤٧، ذو القعدة ١٤٢٠هـ - مارس ٢٠٠٠م، ص ٢٨ .

## **الباب الثاني** **فتنة الحياة الدنيا**

الفصل الثاني : فتنة المال و البنين أدلة من الواقع.



## الفصل الثاني فتنة المال والبنين أدلة من الواقع

إن الفتن — كما مر بنا — كثيرة ومتعددة، وقد ركزت على اثنتين منها باعتبارهما من أهم الفتن، هما فتنة المال وفتنة الولد، فقد قال تعالى محذراً عباده: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ

وَلَا ءَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿٢٨﴾ ١ .  
ولماذا اعتبرنا المال والولد فتنة ؟ لأن الله تعالى قال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا ءَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ

وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ٢ .

قال ابن كثير في تفسير الآية الأولى: ( أي اختبار منه لكم إذ أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها أم تشتغلون بها عنه وتعتاضون بها منه كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيَّاكُمْ مِنْ ءَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴿٣﴾ وقوله: ( وأن الله عنده أجر عظيم) أي ثوابه وعطاؤه وجناته خير لكم من الأموال والأولاد فإنه قد يوجد منهم عدو، وأكثرهم لا يغني عنك شيئاً، والله سبحانه هو المتصرف المالك للعالمين والآخرة ولديه الثواب الجزيل يوم القيامة، وفي الأثر يقول تعالى: (( يا ابن آدم اطلبني تجديني فإن وجدتي وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء )) ٤ .

وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (( ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار )) ٥ . بل حب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم على الأولاد والأموال والنفوس كما ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (( لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين )) ٦ ( ٧ .

١ سورة المنافقون آية ٩ .

٢ سورة الأنفال آية ٢٨ .

٣ سورة التغابن آية ١٤ .

٤ البغدادي، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ط(بدون)، دار عمر بن الخطاب، الإسكندرية، ص ٣٤١ .

٥ صحيح البخاري ١/١٦٦، كتاب الإيمان، باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان، حديث رقم ٢١، صحيح مسلم ١/٦٦٦، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بمن وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم ٤٢ .

٦ صحيح البخاري ١/١٤١، كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، حديث رقم ١٤، صحيح مسلم ١/٦٧٧، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٤٤ .

٧ مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢ / ٣٠١ — ٣٠٢ بتصرف يسير .

وإذا نظرنا للمال والبنين من ناحية أخرى نجد أن المال فيه إغراء، فإذا وجد المال في يد الإنسان كان سبباً في إغرائه للحصول على المزيد؛ فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (( لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان ، ولن يملأ فاه إلا التراب . ويتوب الله على من تاب )) ١ .

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث الشريف : ( قال الكرمانى : فكأنه قال لا يشيع من الدنيا حتى يموت ) . وقال ابن حجر معلقاً : ( ويحتمل أن تكون الحكمة في ذكر التراب دون غيره أن المرء لا ينقضي طمعه حتى يموت، فإذا مات كان من شأنه أن يدفن فإذا دفن صب عليه التراب فملاً جوفه وفاه وعينيه ولم يبق منه موضع يحتاج إلى تراب غيره. وأما قوله في الحديث ( ويتوب الله على من تاب ) أي أن الله يقبل التوبة من الحريص كما يقبلها من غيره، وفيه إشارة إلى ذم الاستكثار من جمع المال وتمني ذلك والحرص عليه ، للإشارة إلى أن الذي يترك ذلك يطلق عليه أنه تاب . وقال الطيبي : يمكن أن يكون معناه أن الآدمي مجبول على حب المال وأنه لا يشيع من جمعه إلا من حفظه الله تعالى ووقفه لإزالة هذه الجبلية عن نفسه وقليل ما هم، فوضع ( ويتوب ) موضعه إشعاراً بأن هذه الجبلية مذمومة جارية مجرى الذنب، وأن إزالتها ممكنة بتوفيق الله وتسديده، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ٢ ففي إضافة الشح إلى النفس دلالة على أنه غريزة فيها، وفي قوله ( ومن يوق ) إشارة إلى إمكانية إزالة ذلك . ٣ )

وكذلك الأولاد فتنة لأنه لا يوجد شيء يضعف مقاومة الإنسان إلا الأولاد ، فلأجلهم يجبن، ولأجلهم يبخل، ولأجلهم يترك الجهاد بكل أنواعه، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال في الحديث الذي يرويه أبو يعلى العامري قال جاء الحسن والحسين يسعيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فضمهما إليه وقال : (( إن الولد مبخله مجبنة ))؛

وكيف يكون الولد مبخله مجبنة ؟ يشرحها صفاء الضوي في إهداء الديباجة بقوله : ( إن شدة الحب للولد قد تصيب المرء بالجبن أو البخل؛ الجبن عن الخروج لما تعين عليه من الجهاد مثلاً، أو للذود عن المحارم، والبخل عن البذل الواجب عليه، وهما صفتان مذمومتان، لكن الإسلام أذهب عن النفس المؤمنة الجبن والبخل، بما عودها على حسن التوكل على الله، والثقة فيما وعد به المجاهد

١ صحيح البخاري ٢٣٦٥/٥، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، حديث رقم ٦٠٧٥ .

٢ سورة الحشر آية ٩ .

٣ مرجع سابق، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٢٦٠/١١ — ٢٦١ بتصرف يسير .

٤ سنن ابن ماجه ١٢٠٩/٢، كتاب الأدب، باب بر الوالد والإحسان إلى البنات، رقم ٣٦٦٦، مسند الإمام أحمد ١٧٢/٤، حديث صحيح، انظر : صحيح

سنن ابن ماجه للألباني ٢٩٥/٢، برقم ٢٩٥٧ .

من حفظ أهله وأبنائه، وما أخبر به المنفق في سبيل الله بنماء ماله، قال الله تعالى: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ حَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾<sup>١</sup> وقال صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : (( ما نقصت صدقة من مال ))<sup>(٢)</sup> ٣

وسر تقديم المال على البنين في أغلب الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث الشريفة هو :  
( لأن المال أسبق خطوراً لأذهان الناس، لأنه يرغب فيه الصغير والكبير والشاب والشيخ ومن له من الأولاد ما قد كفاه، ولذلك قدم في بيت طرفة<sup>٤</sup> :

فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ      وَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ عَمْرَو بْنَ مَرْتَدٍ  
فَأَصْبَحْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَطَافَ بِي      بُنُونَ كِرَامٍ سَادَةٌ لِمُسَوِّدٍ<sup>٥</sup>

وأيضاً ربما لأن المال يتعلق به الجميع بخلاف البنين فقد يوجد من لا يتعلق بهم. والمال أيضاً زينتته ظاهرة أكثر من الأولاد وأوضح للناس، وقد يكون للإنسان أولاد لا يفتخر بهم لسوء فيهم أو في أخلاقهم، لهذا كله قدم المال على البنين. والله أعلم.

ولو نظرنا إلى كمية الأموال التي تصرف على الكماليات بقسم المصروفات وذلك لأن من البنود التي سوف يسأل عنها يوم القيامة : ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه . كما في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه ))<sup>٦</sup> .

أما جمع المال فالمغريات فيه كثيرة فقد يسرق أو يرتشي للحصول على المال، فإذا حصل عليه وقع التبذير والإسراف المنهي عنهما ، ثم يجري وراء المبتكرات الحديثة . ولو فكرنا في كمية المصروفات للتفاخر أمام الناس فالملابس لا بد أن تكون ( ماركة )، ومن شدة إغراء الدنيا لم يعودوا يقدرون على التفريق بين الصواب والخطأ في أي شيء ، ( فنجد بعض الأفراد من ذوي الدخل المحدود ينفقون قدراً كبيراً من دخلهم على مظهرهم وملبسهم في مجال إظهار نجاحهم ومظهرهم

١ سورة النساء آية ٩

٢ صحيح مسلم ٢٠٠١/٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم ٢٥٨٨.

٣ العدوي، صفاء الضوي أحمد ، إهداء الديباجة بشرح سنن ابن ماجه، ط١، مكتبة دار اليقين، البحرين، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٦٨/٥.

<sup>٤</sup> هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمرو، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد، اتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندماه ثم أمر بقتله لابيائه بلغة أنه هجاه بما. فقتل شاباً في هجر، جمع الخفوظ من شعره في ديوان صغير، ترجم للفرنسية، كان هجاءاً، غير فاحش القول، تفيض الحكمة على لسانه في أغلب شعره. انظر : مرجع سابق، الأعلام للزركلي، ٢٢٥/٣ بتصرف يسير.

<sup>٥</sup> مرجع سابق، ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ٧٦/١٥ - ٧٧ بتصرف يسير.

٦ سنن الترمذي ٦١٢/٤، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، حديث رقم ٢٤١٧ وقال هذا حديث حسن

صحيح، المعجم الكبير ١٠٢/١١، رقم ١١١٧٧، حديث صحيح انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٢٢٩٢/٢، رقم ٩٤٦.

بالثراء . ولقد أصبح الإنتاج الكبير للملابس هو الصفة العامة لاجتماعنا الحالي، وتجدر الإشارة هنا إلى أننا نجد في مجتمعنا بعض الشباب من الجنسين يميلون إلى المبالغة في التعبير عن مظهرهم من خلال اهتمامهم بملابسهم، فهم يرهقون ميزانيتهم بالإنفاق على ملابسهم بصورة مبالغ فيها (١) ، ونتيجة لحب الظهور واقتناء ما يستطيعون من الملابس فلا ينظرون لكمية الدخل المخصص للأسرة ( وقد حصلت على إحصائية من البحث الميداني الذي أجرته (د. عليا عابدين) على عينة من المستهلكين في مصر على نصيب الملابس من الجزء المخصص للإنفاق ووضحت فيه متوسط ما ينفق على الملابس:

متوسط ما ينفقه على الملابس	مستوى دخل الفرد سنوياً
٥,٢ %	أقل من ٢٠٠
٥,٦ %	٢٠٠ - ٤٠٠
٨,٣ %	٤٠٠ - ٦٠٠
١١,٤ %	٦٠٠ - ٨٠٠
١١,٩ %	٨٠٠ - ١٠٠٠
١١,٧ %	١٠٠٠ - ١٥٠٠
١١,٥ %	١٥٠٠ فأكثر

وقد لاحظت أن متوسط الدخل ٤٠٠ - ٨٠٠ ينفقون على الملابس بنسبة أكبر مما تنفقه الفئة السابقة، وهذا يرجع إلى حبهم للظهور حيث إنهم ينفقون بنسبة ١١,٤ ، ولاحظت أنه كلما زاد دخل الفرد زاد إقباله على الإنفاق على الملابس (٢)

وتتابع الدكتورة عليا عابدين توضيح أثر التغير الاجتماعي على الملابس من ناحية الاستهلاك فتقول : ( إن المناقشات التي تدور حول هذا الموضوع كثيرة، ولكن ربما كان أغلبها نتيجة للاعتقاد بأن الموضة تجعل الناس مضطرين إلى اتباعها والنساء بصفة خاصة، حيث إنهن غالباً ما يتبعنها اتباعاً أعمى بدون تفكير.

علاوة على ذلك فإن كثيراً من الموضات في الملابس تفتقر إلى المنفعة والراحة، حيث تكون معظم خطوط الملابس غير مريحة بشكل واضح، فقد تعاني النساء من الضيق والألم نتيجة لطرف الحذاء المدبب أو قد يتأرجحن على كعب الحذاء الرفيع.

وقد يعاني الرجال في حرارة الصيف الشديدة حيث يطوقون رقابهم بأكوال جامدة وغير مريحة مع ربطات عنق.

١ عابدين، عليا، دراسات في سيكولوجية الملابس، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ٩٤ بتصرف  
٢ المرجع السابق ص ١٠٢.

ولذلك فكثير من الانتقادات القاسية تجاه الموضات حيث أنها تضر بصحة الأفراد في المجتمع . ويقصر البعض نظره للموضة على أنها أداة للشيطان، حيث تشجع الغرور وتشيع الكبرياء، وتبقي على الفروق بين الطبقات وتقوي التزعة في التقليد الاستعبادي .

أما من وجهة النظر الاقتصادية فالموضة تعتبر تعسفية، حيث ترغب الفرد على نبد الملابس قبل أن تستهلك، حيث يقوم بعملية استبدال الملابس قبل الأوان حسب المعيار الجديد للموضة (السائدة في المجتمع). ١

أما في الدراسة الميدانية التي أجريت لمعرفة العوامل المؤثرة في تفضيل المنتجات لدى السيدات السعوديات والمقيمات بمدينة جدة فقد ظهر في قائمة الاستبيان الموجهة إلى عينة من هؤلاء السيدات حين إجابتهن على سؤال : ما العوامل المؤثرة في تفضيل سلة المنتجات المشتراة للأسرة السعودية والمقيمة ( ٦٠ منتج ) وذلك في إطار من دوافع التفضيل الشائعة والتي تتضمن : الجودة العالية ، السعر المناسب ، تعدد الألوان، شهرة الماركة، توافر الضمان والصيانة، توافر قطع الغيار ، حداثة الموضة .

التوزيع النسبي الإجمالي لمتوسط قيم عوامل التفضيل للمجموعات السلعية المختلفة من وجهة نظر المستهلكات في مدينة جدة

حداثة الموضة	توفر قطع الغيار	الضمان والصيانة	شهرة الماركة	تعدد الأحجام	تعدد الأشكال	تعدد الألوان	السعر المناسب	الجودة العالية	
٢	—	١	٢٠	٥	٦	٢	٣٢	٦٠	سلع غذائية
١٥	—	١	١٢	٦	١٠	١٠	١٧	٥٨	ملابس
٣	٤	٣	١٢	٦	٩	٦	٢٠	٥٤	أثاث ومفروشات
٥	١	٢	١٨	٥	٨	٧	١٤	٥١	منتجات جلدية
٦	٦	٤	٩	٧	١١	١٣	١٥	٥١	أدوات ديكور
٦	—	١	١٣	٧	٩	٦	١٧	٥٦	منتجات ورقية
١	—	١	١٨	٣	٤	٤	٢١	٦٢	منظفات منزلية
٩	٣٤	٢٠	١٨	٦	٨	٧	١١	٥٩	أجهزة كهربائية منزلية
٨	—	٢	١٨	٥	١٣	٤	١٣	٥٧	أدوات تجميل ومجوهرات
٦	٤	٥	١٥	٦	٩	٧	١٨	٥٦	المتوسط
٦	٨	٩	٣	٧	٤	٥	٢	١	الترتيب

١ المرجع السابق، ص ١٠٨ بتصرف.

وقد وجد بعد الدراسة أن شهرة الماركة كانت العامل الثالث المؤثر على القرار الشرائي (بعد الجودة العالية ، والسعر المناسب ) ، إذ ترتبط الماركة لدى المستهلكات بالجودة ، وعادة تبحث المشتريات عن الماركة ، وشهرتها في الأجهزة الكهربائية المنزلية، وأدوات التجميل، والمنتجات الجلدية.

أما العطور والكريمات فإن عامل التفضيل الرئيسي هو جودة أصنافها ( ٦١% في المتوسط ) ، أما العنصر الرئيس الثاني والمهم فهو الماركة وشهرتها ( ٣٣% في المتوسط ) وهو أمر ملازم لاستهلاك هذه المجموعة السلعية التي ترتبط بعنصر المباهاة والتفاخر، واستخدام الدوافع المرتبطة بالانتماء الاجتماعي . أما الذهب والمجوهرات فالمقام الثاني بعد الجودة هو الحدائث والموضة وذلك بنسبة ( ٢٤% ) باعتبار أن ذلك من الأمور المرتبطة بزينة المرأة ووضعها في البيئة المحيطة بها.

#### التوزيع النسبي لعوامل تفضيل منتجات التجميل والذهب والمجوهرات :

جدارة الموضة	توفر قطع الغيار	توفر الضمان	شهرة الماركة	تعدد الأحجام	تعدد الأشكال	تعدد الألوان	السعر المناسب	الجودة العالية	
٢	—	٥	٩	٥	١٥	٦	١٥	٤٨	صابون وشامبو
٢	—	٢	٦	٥	٦	٥	١٥	٥٣	معجون أسنان
٥	—	١	٣٥	٥	٥	٣	١١	٦٢	عطورات
٣	—	١	٣٠	٥	٤	٢	١٢	٦٠	كريمات
٢٤	١	١	١١	٤	١٠	٥	١٠	٦٤	ذهب ومجوهرات
٨	—	٢	١٨	٥	١٣	٤	١٣	٥٧	المتوسط

وفي الإجابة على سؤال مهم وهو : هل هناك علاقة بين عوامل تفضيل المنتجات والدخل ؟ أوضح تحليل العلاقة بين عوامل تفضيل المنتجات ودخل الأسرة أنه كلما زاد الدخل ارتبط بالاهتمام بالجودة ( ٣١% لأصحاب الدخل المنخفضة إلى ٤٥% لأصحاب الدخل العالية ) ، هذا فضلاً عن قيام المستهلكات ذوات الدخل الأكثر بالاهتمام بشهرة الماركة وكل ذلك على حساب انخفاض الاهتمام بالسعر كما يظهر من الجدول التالي :

عوامل التفضيل	دخل شهري أقل من ٣٥٠٠ ريال	من ٣٥٠٠ إلى أقل من ٧٠٠٠ ريال	من ٧٠٠٠ إلى أقل من ١١٠٠٠ ريال	ما يزيد عن ١١٠٠٠ ريال
الجودة العالية	٣١	٣٩	٣٨	٤٥
السعر المناسب	١٥	١٧	١١	١١
تعدد الألوان	٨	٨	٩	٦
تعدد الأشكال	١٠	٩	٩	٦
تعدد الأحجام	٩	٦	٩	٦
شهرة الماركة	١٣	١١	١٣	١٧
الضمان والصيانة	٤	٢	٢	٢
توفر قطع الغيار	٢	٢	٣	٢
حدائثة الموضة	٨	٦	٦	٦

## والخلاصة لكل ما سبق :

وجد أن دوافع الشراء لدى السعوديات والمقيمات بمدينة جدة متعددة من أبرزها الدوافع العاطفية وتمثلت في :

١- حب الاقتناء للمجوهرات والذهب والملابس .

٢- التفاخر ، حيث جاء مرتبطاً بشيوع أنماط معينة من العادات الاجتماعية خاصة عند شراء الملابس، وأدوات التجميل والمجوهرات والأدوات الكهربائية المنزلية.

أما العوامل المؤثرة في تفضيل المنتجات لديهن فهي :

١ الجودة العالية .

٢ السعر المناسب خاصة في المنظفات الصناعية والأثاث .

٣ تشتري كثير من السلع خاصة أدوات التجميل والأجهزة الكهربائية المنزلية والسلع الغذائية والمنتجات الجلدية لشهرة الماركة.

٤ كما لوحظ من الدراسة اهتمام السعوديات بشهرة الماركة على حساب تقليل الاهتمام بالسعر عكس اهتمام المقيمات حيث يقل الوزن النسبي

لشهرة الماركة مقابل الاهتمام بالسعر. ١.

١ انظر دحلان ، عبد الله صادق ، تحليل سلوك الشراء لدى السيدات السعوديات والمقيمات بمدينة جدة، مركز البحوث بالغرفة التجارية الصناعية بجدة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ص ٧٥ - ١٢٢.

مما سبق يتبين لنا مدى تعلق الكثير من الناس بالأموال ، بل والتبذير في إنفاقها، وهذه تؤكدها الدراسة التي قدمتها الدكتورة سارة الدويسان عن طريقة الناس في الإنفاق وكيف أنهم تحولوا إلى مستهلكين، فقد وجدت أن المستجدات والمتغيرات الاقتصادية التي طرأت على أوضاع المجتمع المسلم والأسر ( في الكويت ) قد أفرزت عدة ظواهر اجتماعية، من أبرزها تنامي روح التزعة الاستهلاكية، حيث ظهرت خلال السنوات العشر الماضية أنماط استهلاكية غير مسبوقه نتج عنها آثار سلبية ومشكلات اجتماعية ذات أبعاد اقتصادية وأمنية وسلوكية على أفراد الأسرة بشكل خاص، والمجتمع بشكل عام.

وتقول الدكتورة سارة : (ونظراً للسياسات التمويلية التي تقدمها البنوك وغيرها من المؤسسات التمويلية للأفراد ، ولعدم وجود معايير تمويلية سليمة تتوافق ومدخرات الأفراد، ومع وجود أساليب تسويقية تستخدم الإعلام بكل صورته لجذب المستهلك لاقتناء السلع كما يلاحظ ذلك الجميع. لذا نجد تنامي السلوك الاستهلاكي غير المرشد لأفراد المجتمع، مما يؤدي إلى تهديد استقرار الأسر وتحويل أفرادها على خلايا مفرطة في الجوانب الاستهلاكية المختلفة دون ضوابط أو ترشيد. ولا بد لمنع هذه الآثار السلبية من السعي إلى إيجاد وسائل تقوم بتعزيز جوانب الإدارة والتخطيط المالي الحديث لاقتصاديات الأسرة مما يساهم في الحد من تنامي هذا السلوك الاستهلاكي غير المرغوب.

العلاقة بين أنماط الاستهلاك غير المرشد :

يسعى الإنسان لإشباع حاجاته من خلال اقتناء مختلف السلع .. وهناك عوامل تحدد سلوك الإنسان لإشباع هذه الحاجات ( وهذه العوامل هي :

- مستويات الدخل الفردي وأسعار السلع تشكل قيوداً تواجه المستهلك في سعيه لزيادة حجم استهلاكه.
- العادات والمعتقدات والتقاليد الاجتماعية السائدة لها دور هام في تشكيل سلوك الفرد ودوافعه.
- والإنسان يسعى عبر محاكاة أنماط استهلاك الفئات الأعلى إلى الارتقاء بمكانته الاجتماعية. ومن أهم الوسائل :

– الإعلانات التجارية تساعد في إقناع الأفراد بحاجاتهم للسلع، وفي تصوير هذه السلع كرمز للحياة الجيدة التي يتطلع إليها الجميع.

– القروض الاستهلاكية وتسهيلات الدفع الاستهلاكية تساعد غير القادرين مادياً على شراء السلع والخدمات.



وطبقاً لبيانات الحسابات القومية ( في الكويت ) ارتفع حجم الاستهلاك النهائي الخاص من ٣٦٦٦٢،١ مليون دينار خلال عام ١٩٨٩ إلى ٤٣٠٨،٩ ملايين دينار خلال عام ١٩٩٨ . ولعل ما يسترعي الاهتمام هنا أن الاستهلاك النهائي الخاص تزايد فيما بين عامي ١٩٨٩ و ١٩٩٨ بما نسبته ١٧،٦% في الوقت الذي لم تتعد نسبة الزيادة في حجم المجتمع السكاني نحو ٨،٩% مما يشير إلى ارتفاع متوسط استهلاك الفرد من نحو ١٧٥٦ دينار في عام ١٩٨٩ إلى حوالي ١٨٩٧ دينار في عام ١٩٩٨ .

إن ارتفاع متوسط الاستهلاك لدى الفرد الكويتي تؤكد نتاج الدورة الأولى لبحث ميزانية الأسرة لسنة ١٩٩٩ / ٢٠٠٠ ( إبريل — يونيو ١٩٩٩ ) ، والتي تشير إلى أن متوسط إنفاق الفرد الكويتي يبلغ نحو ١٧٥ ديناراً شهرياً .. بل إن هذا المتوسط قد ارتفع بما نسبته ١٩،٥% عنه خلال الفترة المماثلة من عام ١٩٨٦ . وفي المقابل فإن متوسط الإنفاق الشهري للأسرة الكويتية قد ارتفع من ١٣٧٠ ديناراً في عام ١٩٨٦ إلى نحو ١٥٩٥ ديناراً في عام ١٩٩٩ . ومع التزايد في متوسط الإنفاق الاستهلاكي جنباً إلى جنب فقد ارتفع نمو المجتمع السكاني ، وأضحى الاستهلاك النهائي الخاص يلتهم وحده ما نسبته ٧٧،٨% من الناتج المحلي غير النفطي و ٥٦،٢% من الناتج المحلي الإجمالي ( بشقيه النفطي وغير النفطي ) .

وقد لعب عامل المحاكاة والتقليد الاجتماعي دوراً هاماً في تغذية التزعة المبالغ فيها للاستهلاك . وهذا العامل لا يأخذ فقط بعداً داخلياً ( محلياً ) بل بعداً خارجياً .. ففي ظل الانفتاح ( عبر وسائل الاتصالات والسياحة ) أصبح هناك تقليد لنمط " الحياة الجديدة " وتساعد في تصويره وتعميقه الدعاية والإعلانات التجارية .

إن التغير في أنماط الاستهلاك السائدة قد أدى إلى تغيرات ملموسة في أولويات إنفاق الفرد الكويتي . وبصفة عامة تشير نتائج بحث ميزانية الأسرة إلى أن جزءاً من الإنفاق الاستهلاكي في المجتمع لا يخدم حياة الإنسان أو يحسن في نوعيتها، بل هو إنفاق هدرى على سلع ذات طابع كمالي تتعدى إشباع حاجات مغلبة إلى إشباع حاجات ذات بعد نفسي ومجتمعي ، مع وجود الدافع الاجتماعي للمحاكاة والتقليد وسهولة الحصول على القروض الاستهلاكية التي تزايدت أرصدها بصورة كبيرة .

وقد بات واضحاً أن الرفاه الذي شهدته دولة الكويت وغيرها من الدول الخليجية النفطية بفعل تدفق عائدات النفط بما ترتب عليها من تسارع معدلات الإنفاق العام، ومن ثم ارتفاع القدرة الشرائية في المجتمع، لا يعني ارتفاع معدلات الإنتاج السلعي وإنما مستويات الاستهلاك التي تنامت بسرعة وأضحت تلتهم عائدات الثروة النفطية .. في وقت ضعفت فيه — بشكل عام — العلاقة بين

إنتاجية العمل والعائد المتحصل منه، وسادت أنماط استهلاكية مدفوعة بعوامل اجتماعية أكثر منها موضوعية، تعمقت بفعل اثر المحاكاة والتقليد الاجتماعي مما دفع غالبية الأفراد — القادرين منهم وغير القادرين — على مجارة صور " الحياة الجديدة " وساعد على تبنيها سهولة الحصول على القروض الاستهلاكية وتعدد وتنافس الجهات المانحة لهذه القروض . وذلك على الرغم من حقيقة أن هذه القروض تقلص فعلياً من دخول الأفراد بنسبة وحجم الفوائد المدفوعة عليها. مما أدى إلى أن العديد من الأسر تعاني من :

— مشاكل في العلاقات على مستوى الأسرة .

— مشاكل على مستوى الأبناء .

— انخفاض مستوى المعيشة وارتباك ميزانية الاسرة .

— تعثر في أداء الالتزامات المالية .

— مشاكل صحية ومرضية ومتاعب نفسية .

— مشاكل في العلاقات الاجتماعية العامة.

وليس هناك أبلغ في التعبير عن وطأة هذه المشاكل من قول أحد المسجونين على قضية قروض استهلاكية " لقد خسرت كل شيء ، نفسي وعائلي ومستقبلي ماذا بقي لي غير المشاكل النفسية والاجتماعية، ضاع كل شيء زوجتي وأطفالي " وقول آخر " اللجوء إلى القروض لاستبدال السيارة بأخرى آخر موديل، والسفر والإنفاق ببذخ، وتغيير الأثاث مجارة للمظاهر الاجتماعية الخادعة ، هي السبب فيما أنا فيه الآن " فهل هناك من يتعظ !!! )

وما يقال عن الأسر والمجتمع في الكويت، يقال عنه في السعودية وغيرها من الأسر المسلمة الخليجية من حيث إن التعلق الشديد بالمال وحبه، والتبذير في إنفاقه بدا شيئاً واضحاً ملحوظاً. كما نلاحظ في بعض المجتمعات العربية الإسلامية انتشار ظاهرة غريبة تسمى " آخر موضحة "، وقد اختلف الناس في تحديد ماهيتها، فالبعض يعتقد أنها التطور في الشكل الخارجي للإنسان، وهذا ما نشاهده من بعض فتيات وفتيان جيلنا الحاضر، الفتاة تقص شعرها إلى ما هو أعلى من أذنها، وتضع وشماً على ذراعها، ولصقات حول أطراف عينيها، وترتدي بنطلوناً ضيقاً ممزقاً، وحين تسأل عن هذا التصرف الغريب؛ تقول بأنه الموضة.

<sup>١</sup> انظر الدويسان، الدكتورة سارة، أنماط الاستهلاك غير المرشد لدى الأسرة وما قد يرتبط بها من مشكلات خاصة بسداد الديون الاستهلاكية، ورقة عمل ألفت في مؤتمر التحديات المعاصرة للإدارة المالية للأسرة الكويتية الآثار والحلول، ١ — ٣ مايو ٢٠٠٠، الكويت. مسرح الأمانة العامة للأوقاف، ص ٤ — ص ١٩.

وهذا لا يعني أن الاهتمام بالموضة مقتصر على الفتيات فقط، بل حتى الفتيان فترى الشاب يطيل شعره، ويرتدي الأقراط، ويعلق على صدره السلاسل والصور، ويفتخر بذلك ليحصل على لقب " ماشي على الموضة ". وليس للموضة حد معين، بل البحث عن آخر موضة في السيارات، وفي الجوالات، وفي الماركات المختلفة، فتنفق الأموال الباهظة للحصول على هذا الأمر، والذي هو لا يعدو كونه غزواً فكرياً منظماً، خاصة ونحن نشاهد سباقاً محموماً يترافق معه أساليب تسويقية جديدة، وأساليب إعلانية مثيرة، ووسائل إعلامية جذابة، ودعايات كثيفة من أجل الشراء، واستهلاك السلع أكثر من اللازم، وبالتالي شراء أغراض ليست ضرورية ولا في حدود الإمكانية، وهذا يدفع بعض الآباء لتكلف المزيد ودفع الكثير لإرضاء أبنائهم وبناتهم.

فما الذي يجعل امرأة تدفع مليون دولار في حذاء بمحلات هارودز في لندن، وأخرى تدفع ربع مليون ريالاً في عباءة بإحدى البلدان العربية؟ إنها الموضة! الصنم الجديد الذي صنعته حضارة العصر وخرت له جباه ملايين، بينهم موحدون.

وإليكم هذا التقرير المنقول من مجلة الأسرة لتوضيح ذلك: ((لقد أصبح مصمم الأزياء مافيا عالمية تجوب الأرض بحثاً عن العملاء حتى ولو كانوا من أفقر الشعوب لامتناسهم آخر فلس من جيوبهم وإضافته إلى رصيده هؤلاء النخاسين الذين أصبحوا مليونيرات. فقد ذكرت دراسة حول الإقراض الضريبية لكبار دافعي الضرائب الإيطاليين عام ٢٠٠١م نشرتها مجلة ( بانوراما) الأسبوعية أن قطب الموضة جورجيو أرماني هو أغنى رجل في إيطاليا، وأن دخله الخاضع للضريبة فقط يبلغ ٣١٢,٦ مليار ليرة ( ١٤٣ مليون دولار) وجاء مصمم أزياء آخر هو سانتو فيرساتشي ضمن أغنى خمسة عشر رجلاً في إيطاليا بثروة بلغت نحو ٢١ مليار ليرة.

وغدت صناعة الأزياء صناعة جبارة تستقطب مليارات الدولارات وتغري الجميع بالانخراط

فيها))١

ونحن لا نعيب على النساء والفتيات حبهن للتجميل والاعتناء بمظهرهن، ولكن نعيب عليهن الهوس بالموضة والتعلق بها، بل والتسابق لها في تطبيقها، فيلبس ما يخالف الشرع ويظهر العورات التي أمر الله عز وجل بسترها.

والمسؤول الأول عن إدخال هذه الأزياء ( الموضة ) المخالفة لدينا وعاداتنا، هم التجار وأصحاب المحلات، حيث أدخلوها للمسلمين، وبالغوا في نشر الإعلانات المغرية باقتنائها، متناسين أن مصممي الأزياء يهود ويعلمونها صريحة أنهم من أكبر الداعمين لإسرائيل، ( ويكفي في ذلك قول

١ مجلة الأسرة العدد ١٠٩، ربيع الثاني ١٤٢٣هـ، ص ١٩ قام بإجراء هذا التحقيق: من الرياض: الأسرة، خزاعي القوس، معمر خليل، عبد الله أبا الخيل، ومن جدة: أمال رتيب، ومن القاهرة: محمد جمال عرفة.

أحدهم وهو مارك سبنسر حينما سئل : متى تتوقف عن دعمك لليهود في فلسطين ؟ قال : إذا توقف آخر عربي عن الشراء من محلاتي !!

إذا كان الأمر كذلك فكيف نواجه الطوفان ؟ خطوات يسيرة تساعدك في هذا الطريق :

١ تذكرني أن التقوى خير لباس قال تعالى: ﴿يَبْنِيْٓءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُّورِي سَوْءَاتِكُمْ

وَرِيْشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ١

٢ التزين المباح كالتحلي بالذهب والملابس الحسنة الجميلة والعناية بالشعر وتصفيفه وتزيينه بما لا يشتمل على محظور شرعي.

٣ لا داعي مطلقاً لتعدد الملابس والفساتين بتكرار المناسبات ، وحين إقدامك على شراء

فستان جديد تذكرني أنك ستسألين يوم القيامة عن قيمته من أين أتيت بها ؟ وفيم أنفقتها؟

٤ تذكرني أن هناك من المسلمين والمسلمات من لا يجدون ما يكسون به أجسادهم، بل ما

يسترون به عوراتهم، فوازي بين هذا وبين أن تتصدقني بهذا المبلغ على أولئك وأمثالهم لعل الله

تعالى أن يكسوك من حرير الجنة .

٥ العلاج المبكر وذلك أن مروجي الموضة ينفذون إلى الفتيات من باب التمرد والانطلاق

والعصرية وغيرها من المصطلحات المضللة التي يصطادون بها المراهقات (٢)

فعلينا أن نصحح أوضاعنا، ونقوم استهلاكنا، لنكون أفراداً صالحين، ونحافظ على هويتنا الإسلامية

بعيداً عن تقليد غير المسلمين، كما أننا يجب أن نربي أبناءنا على شكر النعم، قليلة أو كثيرة، ففي

كل خير، ويقدر من الحكيم الخبير، لأن طبائع الناس تختلف، فهناك من أهل الدنيا من الفقر خير له،

فكثرة المال لا تنفعهم ولا كثرة الأولاد، وليس ذلك سبباً لسعادتهم ، بل في عذابهم.

يلبس الإنسان ، ولكن بفخر وخيلاء أو بمال حرام، وتلبس المرأة الزي الفاتن المفتن، فهل هذا

خير؟ وبأكل الطعام لكن من حرام فهل هذا خير؟ ويحجى في الرذيلة ويسير مجرماً مقتحماً أسوار

المحرمات فهل هذا خير؟ ليس الإنعام بالمال والحياة الناعمة دليلاً على أن الله أراد الخير بمن أنعم

عليهم بذلك، فضلاً أن يكون دليلاً على رضاه عنهم، هذه القاعدة تؤكد عليها، فبعض الناس يصر

على الاعتقاد بأن الإنعام بالمال دليل الخير والرضا، وذلك باطل بدليل قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ

إِذَا مَا أُنْبِلَتْهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿٢٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتُلِيَ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ

١ سورة الأعراف آية ٢٦ .

٢ المرجع السابق ص ٢٣ - ٢٥ بتصرف يسير جداً .

فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴿١﴾ ، أي ليس من أنعمت عليه بالمال فقد أكرمته ولا كل من حرمته المال فقد أهنته. ودليل أوضح على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ . ٢. فـدليل الخـير والرضا هو الدين، فمن رزق الدين فقد نال الخير ولو حرم كل شيء ، حرمه فقد حرم الخير ولو نال كل شيء..

إذا عرفنا هذا فيجب علينا أن نحفظ القاعدة المفسرة لكل ما سبق وهي: ((إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من يحب)) ٣، وعليها يجب أن نبنى حياتنا. ولو تأملنا حالنا لوجدنا أننا نسير عكس هذه القاعدة ، فكثير يغضبون ويسخطون وإذا نظرت وجدت السبب الدنيا لا الدين ، فغضبهم وسخطهم لأجل قلة رزقهم وضيق معاشهم، فغضبهم لأجل دنياهم لا لأجل دينهم. وهؤلاء لا يبذلون عشر السخط والغضب لأجل دين الأمة وأخلاقها، إذا ما انتهكت وأفسدت، فقد استنفذوا غضبهم كله لأجل دنياهم، وهؤلاء لم يفهموا حقيقة الحياة ولا حقيقة الدين، ولم يفهموا القاعدة الآتية، والتي يحرص الشرع على ترسيخها في كل مناسبة ، أو أنهم فهموها لكنهم تغافلوا عنها والتمسوا التأويلات والمخارج لأنفسهم اتباعاً لشهواتهم العاجلة .. إن التعلق بالمال وحبه حمل كثيراً على قلب الحقائق وتبديلها، ولو وقف الإنسان وقفة صدق مع نفسه لعلم أن النعمة ليست في المال، إذ كم من أناس يملكون المال لكن لا يملكون السعادة، بل الشقاوة وإن في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالتعاسة على من صار عبداً للمال لعبرة لمن اعتبر : (( تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ..)) ٤، فحب المال والتعلق به يدمر الدين والشاهد على هذا حاضر :

- كم من إنسان ضيع الصلاة لأجل المال ؟
- وكم من إنسان ضيع الحلال بسبب المال ؟
- وكم من إنسان ضيع العرض حباً في المال ؟
- وكم من إنسان رق دينه والسبب المال ؟

أمور كثيرة ضاعت، وأمور كثيرة فسدت، وبلايا كثيرة وقعت فيها الأنفس والأزواج والأولاد والبنات، كل ذلك لأجل المال، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : (( ما الفقر

١ سورة الفجر آية ١٥ - ١٦ .

٢ سورة سبأ آية ٣٧ .

٣ مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/٣٨٧، حديث رقم ٣٦٧٢، حديث صحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٦/٤٨٢، برقم ٢٧١٤ .

٤ صحيح البخاري ٣/١٠٥٧، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، حديث رقم ٢٧٣٠ .

أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط لكم الدنيا كما بسطت لمن كان قبلكم فتنافسوها كما تتنافسوها فهلككم كما أهلكتهم))<sup>١</sup>

فمن اختار المال والولد وفضلهما على التزام شرع الله فقد خاب وخسر.  
وقد قال صلى الله عليه وسلم : (( ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه ))<sup>٢</sup>. وقال صلى الله عليه وسلم : (( يقول ابن آدم : مالي مالي ! وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفئيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟ ))<sup>٣</sup>.  
(وقال يحيى بن معاذ : الدرهم عقرب، فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه، فإنه إن لدغك قتلك سمه. قيل : وما رقيته ؟ قال : أخذه من حله، ووضعها في حقه. ))<sup>٤</sup>

وقال العلاء بن زياد<sup>٥</sup> : (( تمثلت لي الدنيا، وعليها من كل زينة، فقلت : أعوذ بالله من شرك، فقالت: إن شرك أن يُعبدك الله مني فأبغض الدرهم والدينار ))<sup>٦</sup>  
وعلق على هذا القول الإمام الغزالي يرحمه الله فقال : ( ذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها، فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا . وفي ذلك قيل :

لا يُعْرَتُكَ مِنَ الْمَا      رءِ قَمِيصٌ رَفَعَهُ  
أَوْ إِزَارٌ فَوْقَ عَظْ      مِ السَّاقِ مِنْهُ رَفَعَهُ  
أَوْ جَبِينٌ لَاحَ فِيهِ      هِ أَثَرٌ قَدْ خَلَعَهُ  
أَرِهِ الدَّرْهَمَ تَعَف      رِفَ حَبَّةٌ أَوْ وَرَعَهُ

وروي أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقيل له : لو ادخرته لولدك من بعدك!  
قال : لا، ولكني أدخره لنفسي عند ربي، وأدخر ربي لولدي.  
وروي أن رجلا قال لأبي عبد ربه : يا أخي، لا تذهب بشر، وتترك أولادك بخير، فأخرج أبو عبد ربه من ماله مائة ألف درهم.

١ صحيح البخاري ١٤٧٣/٤، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدماء، برقم ٣٧٩١، صحيح مسلم ٢٢٧٣/٤، كتاب الزهد والرفائق، باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، برقم ٢٩٦١.

٢ سنن الترمذي ٥٨٨/٤، كتاب الزهد، برقم ٢٣٧٦، حسن صحيح انظر صحيح الترغيب للألباني ص ٣٢٥١.

٣ صحيح مسلم ٢٢٧٣/٤، كتاب الزهد والرفائق، باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، حديث رقم ٢٩٥٨.

٤ يحيى بن معاذ الرازي، الواعظ، من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة، وعنه أنه قال مسكين ابن آدم، قلع الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار، انظر: مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٥/١٣ - ١٦ بتصرف.

٥ مرجع سابق، الغزالي، إحياء علوم الدين ٢٣٣/٣.

٦ العلاء بن زياد بن مطر، القدوة العابد، أبو نصر العدوي البصري، كان ريانيا تقياً قانئا لله، بكاء من خشية الله، كان قوته رغيفاً كل يوم، كان له مال ورفيق، فأعتق بعضهم وباع بعضهم، وتعبد وبالغ، فكلم في ذلك فقال : إنما أتدلل لله لعله يرحمني، توفي سنة أربع وتسعين. انظر : مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٠٢/٤ - ٢٠٦ بتصرف .

٧ مرجع سابق، الغزالي، إحياء علوم الدين ٢٣٣/٣ - ٢٣٤.

وقال يحيى بن معاذ : مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته . قيل : وما هما ؟ قال : يؤخذ منه كله، ويُسأل عنه كله (( ١

صدق والله، يؤخذ منه كله، يتقاسمه الورثة، وقد لا يتذكره أحد منهم حتى بالدعاء، ثم يسأل عنه كله يوم القيامة من أين اكتسبه وفيه أنفقه كما في الحديث : (( لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعله وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه )) ٢ .

( فالإسلام يوصي بالاعتدال في ارتداء الملابس، ويكره للرجل أن يباهي بها أو يختال فيها. وإنه لمن الحماقة أن يجعل الشاب من جسمه معرض أزياء يسير بها بين الناس، يرتقب نظرات الإعجاب تنهال عليه من هنا ومن هناك. إن هناك فتیاناً أغراراً يقضون الساعات الطوال في البيوت ليس لهم من عمل إلا استكمال وجاهتهم، والاطمئنان إلى أنافتهم. ولو أنهم كلفوا ببذل هذا الوقت في التزويد من علم ، أو التفقه في دين لنفروا ونكصوا. إنهم يحسبون اتساق الملابس على أجسامهم شارة الكمال وكفى !! )

وقد ندد الإسلام بهذا الطيش ونفر المسلمين منه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة وأهلب فيه ناراً )) ٣

قال بن رسلان : ((لأنه لبس الشهرة في الدنيا ليعزبه ويفتخر على غيره ويلبسه الله يوم القيامة ثوباً يشتهر مذلته واحتقاره بينهم عقوبة له والعقوبة من جنس العمل )) ٤

ولا يستنتج من هذا أن الدين يحب الملابس المزرية ، أو يرحب بالهيايات المستكرهة، أو يندب إلى لبس المرقعات ، كما يفعل جهلة العباد ، كلا كلا .. فقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب دون ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (( ألك مال ؟ قال : نعم قد آتاني الله من كل المال ، قال : من أي المال ، قال : آتاني الله من الخيل والرقيق فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إذا آتاك الله مالاً فلير عليك أثر نعمته وكرامته )) ٥ .

١ المرجع السابق، ص ٢٣٤ بتصرف.

٢ سبق تخريجه ص ١٠٦ .

٣ سنن أبي داود ٤/٤٣، كتاب اللباس، باب لبس الشهرة، رقم ٤٠٢٩، سنن ابن ماجه ٢/١٩٢، كتاب اللباس، باب من لبس لبس شهرة من الثياب، رقم ٣٦٠٧، مسند الإمام الأحمـد ٢/٩٢، رقم ٥٦٦٤، حديث صحيح انظر : صحيح سنن ابن ماجه للألباني ٢/٢٨٤، رقم ٢٩٠٦ .

٤ مرجع سابق، صفاء الضوي العدوي، إهداء الديباجة ٣٤/٥ .

٥ سنن أبي داود ٤/٥١، كتاب اللباس، باب في غسل الثوب والخلقان، رقم ٤٠٦٣، سنن النسائي ٨/١٨١، كتاب الزينة، باب الجلجل، رقم ٥٢٢٤، المعجم الكبير ١٩/٢٧٨، حديث رقم ٦١٠، سبل السلام ٢/٦٨، باب اللباس، حديث صحيح، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني ٢/٧٦٧، رقم ٣٤٨٢ .

فالإسلام يستحب لأتباعه التجميل وحسن السمات، والفرق كبير بين إنسان يزخرف ظاهره ويهمل باطنه، وينفق خير وقته وماله في رياش يلصقها بجسمه، وآخر يجعل همه الأكبر في صيانة حقيقته، واستكمال مروءته، ثم لا ينسى في زحمة الواجبات ارتداء ما يجمل به ويلقى الناس فيه .

وهدد صلى الله عليه وسلم النساء اللاتي يولعن بالذهب والحلي وينشغلن عن الحقوق الجليلة بفنون من الألبسة والألوان فقال صلى الله عليه وسلم: ((ويل للنساء من الأحمريين : الذهب والمعصفر))<sup>١</sup> والثابت من تعاليم الإسلام أن الذهب والحريير محرمان على الرجال، ففي الأنسجة الأخرى متسع لهم ، وليس من شأن الذكور التحلي والتطرية، أما النساء فإنه ، وإن حل لهن الحريير والذهب ، فليس يسوغ لهن أن يجعلن التزين والإغراء شغلن الشاغل الذي يستغرق الأوقات، ويستهلك الثروات.

فالتوسط لب الفضيلة ، وهذا ما عناه النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال : (( أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء ؟ قالوا : أجل يا رسول الله، قال : فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتملككم كما أهلكتهم ))<sup>٢</sup> (٣).

مما سبق يتبين لنا أن الحصول على المال والوصول للثراء بالطرق المشروعة ليس فيه أي إشكال ، ولا عليه أي محذور إذا التزم صاحبه بالإنفاق الصحيح وتجنب السرف والتبذير ، وأعطى حق الله منه ، أما المذموم فهو جمع المال وتكثيره وإنفاقه فيما نهى الله عنه ، ومنع الفقراء من الزكاة ، وقد قال تعالى يذم مثل هذا : ﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴾<sup>٤</sup> . قال ابن كثير : ( أي جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده كقوله تعالى : ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾<sup>٥</sup> قاله السدي وابن جرير، وقال محمد بن كعب في قوله تعالى ( جمع مالاً وعدده .. ) ألهاه ماله بالنهار هذا إلى هذا فإذا كان الليل نام كأنه جيفة منتنة. وقوله تعالى : ( يحسب أن ماله أخلده .. ) أي يظن أن جمعه المال يخلده في هذه الدار ( كلا ) أي ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب. ثم قال تعالى : ( لينبذن في الحطمة ) أي

١ صحيح ابن حبان ٣٠٧/١٣، باب ذكر بعض السبب الذي من أجله يكون عامة فتنة النساء، حديث رقم ٥٩٦٨، حديث صحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٦٦٣/١، برقم ٣٣٩. ونقل المناوي في معنى الحديث عن مسند الفردوس يعني : يتحلين بجلي الذهب، ويلبسن الثياب المزعفرة ويتبرجن متعطرات متبخرات — كأكثر نساء زماننا — فيفتن بهن.

٢ صحيح البخاري ١٤٧٣/٤، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدران، حديث رقم ٣٧٩١، صحيح مسلم ٢٢٧٣/٤، كتاب الزهد والرفاق، باب خشية بسط الدنيا والتنافس فيها، حديث رقم ٢٩٦١

٣ مرجع سابق، الغزالي، خلق المسلم، ص ١٤٢ — ص ١٤٧ بتصرف.

٤ سورة الهمة آية ٢

٥ سورة المعارج آية ١٨.



يليقن هذا الذي جمع مالاً فعدده في الحطمة وهي اسم صفة من أسماء النار لأنها تحطم من فيها (١) ،  
ويذكر سيد قطب — يرحمه الله — في تفسيره كلاماً يوضح الصورة أكثر حيث يقول: ( تعكس هذه  
السورة صورة من الصور الواقعية في حياة الدعوة في عهدها الأول . وهي في الوقت ذاته نموذج  
يتكرر في كل بيئة .. صورة اللئيم الصغير النفس ، الذي يؤتى المال فتسيطر نفسه به، حتى ما يطبق  
نفسه ويروح يشعر أن المال هو القيمة العليا في الحياة. القيمة التي تمون أمامها جميع القيم وجميع  
الأقدار . وأنه وقد ملك المال فقد ملك كرامات الناس وأقدارهم بلا حساب ، كما يروح يحسب  
أن هذا المال إله قادر على كل شيء ، لا يعجز عن فعل شيء، حتى دفع الموت وتخليد الحياة ودفع  
قضاء الله وحسابه وجزاءه، إن كان هناك في نظره حساب وجزاء، ومن ثم ينطلق في هوس بهذا المال  
يعده ويستلذ في تعداده ، فناسب أن يأتي التهديد في صورة مشهد من مشاهد القيامة يمثل صورة  
للعذاب مادية ونفسية ، وصورة للنار حسية ومعنوية صورة هذا المتعالي الساخر المستقوي بالمال ،  
تقابلها صورة المنبوذ المهمل المتردي في الحطمة التي تحطم كل ما يلقي إليها ) ٢ .

وقال تعالى : ﴿ أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۗ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۗ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۗ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۗ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۗ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ  
الْيَقِينِ ۗ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۗ ﴾ ( أي أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها  
عن طلب الآخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها.  
وقال الحسن البصري : ( أهاكم التكاثر ) في الأموال والأولاد. وحدث قتادة عن مطرف يعني ابن  
عبد الله الشخير ٤ عن أبيه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ : ( أهاكم التكاثر )  
قال يقول ابن آدم مالي مالي، قال : وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت أو لبست  
فأبليت أو تصدقت فأمضيت ؟ ) ٥ ، وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عبد الله  
بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول الله عليه وسلم :  
(( يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد : يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى

١ مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٤٩/٤ .

٢ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن ، ٣٩٧٢/٦ — ٣٩٧٣ بتصرف يسير .

٣ سورة التكاثر آية ١ — ٨

٤ مُطَرَّف بن عبد الله ابن الشَّخِير، الإمام، القدوة، الحجة، أبو عبد الله الحُرشي العامري البصري، وكان ثقة له فضل وورع وعقل وأدب. وقال العجلي:  
كان ثقة لم ينح من فتنه ابن الأشعث إلا هو وابن سيرين، وعن غيلان أن مطرفاً كان يلبس المطارف والبرانس، ويركب الخيل، ولد عام بدر أو عام أحد، وموته  
كان في سنة خمس وتسعين. انظر : مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤ / ١٨٧ — ١٩٥ بتصرف.

٥ صحيح مسلم ٢٢٧٣/٤، كتاب الزهد والرفائق، حديث رقم ٢٩٥٨ .

عمله)) ١، وذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة الأحنف بن قيس أنه رأى في يد رجل درهماً فقال :  
لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل : لي فقال إنما هو لك إذا أنفقتة في أجر أو ابتغاء شكر، ثم أنشد  
الأحنف متمثلاً قول الشاعر :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكْتَهُ  
فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة قال صالح بن حيان حدثني عن  
ابن بريدة في قوله ( أهاكم التكاثر ) قال نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار في بني حارثة وبني  
الحارث تفاخروا بالأحياء، وتكاثروا فقالت إحداهما فيكم مثل فلان بن فلان وفلان وقال الآخرون  
مثل ذلك تفاخروا بالأحياء ثم قالوا انطلقوا بنا إلى القبور فجعلت إحدى الطائفتين تقول فيكم مثل  
فلان — يسيرون إلى القبور — ومثل فلان وفعل الآخرون مثل ذلك فأنزل الله (( أهاكم التكاثر  
حتى زرتم المقابر )) لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل، وقال قتادة ( أهاكم التكاثر حتى زرتم  
المقابر ) كانوا يقولون نحن أكثر من بني فلان ونحن أعدُّ ( أي أكثر عدداً ) من بني فلان وهم كل  
يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم .

والصحيح أن المراد بقوله : زرتم المقابر أي صرتم إليها ودفنتم فيها كما جاء في الصحيح أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الأعراب يعودده فقال : (( لا بأس طهور إن  
شاء الله فقال : قلت طهور، كلا بل هي حمى تفور على شيخ كبير، تُزيره القبور، فقال النبي صلى  
الله عليه وسلم : فنعمة إذن )) ٢. (( كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون )) قال الحسن  
البصري هذا وعيد بعد وعيد. (( كلا لو تعلمون علم اليقين )) أي لو علمتم حق العلم لما أهاكم  
التكاثر عن طلب الدار الآخرة حتى صرتم إلى المقابر ) ٣.

١ صحيح البخاري ٢٣٨٨/٥، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، حديث رقم ٦١٤٩، صحيح مسلم ٢٢٧٣/٤، كتاب الزهد والرفاق، حديث رقم ٢٩٦٠.

٢ صحيح البخاري ١٣٢٤/٣، كتاب المناقب، باب علامات النبوة قبل الإسلام، حديث رقم ٣٤٢٠.

٣ مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٤٥/٤ — ٥٤٦ بتصرف.

## صور من القرآن الكريم تحكي فتنة الولد والمال : أولاً : فتنة الولد :

١ — ومنها أيضاً اللهو بالأموال والأولاد عن طاعة الله وذكره ، مما يجعلهم أعداء للوالدين بسبب ما يوقعانها فيه من معاص بسبب تعلقهما بهم وفي هذا يقول تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلَهِكُمُ ءَمْوَالَكُمْ وَلَا ءَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ١ . وقال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ ءَزْوَجِكُمْ ءَأَوْلَادِكُمْ ءَعْدُوًا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ ٢ .

قال ابن كثير : ( يقول تعالى مخبراً عن الأزواج والأولاد إن منهم من هو عدو الزوج والوالد، بمعنى أنه يلتهي به عن العمل الصالح، ولهذا قال تعالى ( فاحذروهم ) قال ابن زيد : يعني على دينكم ، وقال مجاهد ( إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم )) قال يحمل الرجل على قطعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه.

وعن ابن عباس وقد سأله رجل عن هذه الآية : (( إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم )) فقال : هؤلاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم، فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم — أي يعاقبوا أزواجهم وأولادهم — فأنزل الله تعالى هذه الآية (( وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم )) رواه ابن أبي حاتم ، وكذا رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

وقوله تعالى (( إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم )) أي إنما الأموال والأولاد فتنة أي اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقهم ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان فتزل فأخذهما فصعد بهما المنبر ثم قال صدق الله : (( إنما أموالكم وأولادكم فتنة )) رأيت هذين فلم

أصبر)) ٣ ( ٤

١ سورة المنافقون آية ٩ .

٢ سورة التغابن آية ١٤ .

٣ سنن أبي داود ٢٩٠/١ ، كتاب الصلاة، باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث، رقم ١١٠٩ ، سنن الترمذي ٦٥٨/٥ ، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، رقم ٣٧٧٤ ، حديث صحيح، انظر : صحيح سنن أبي داود للألباني ٢٠٦/١

٤ مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٧٧/٤ بتصرف يسير . برقم ٩٨١ .

٢ - ومن الفتنة بالأولاد إقرارهم على معاصي الله ، والتغاضي عن تقصيرهم في طاعة الله ، ومساعدتهم بالمال الذي ينفقونه في فيما يغضب الله ، وفي الإسراف والترف . فكم في بيوت المسلمين اليوم ، بل وفي بيوت الصالحين منهم ، من شباب تاركين للصلاة ، مفطرين في رمضان من غير عذر ، متختمين بالذهب - وهو محرم على الرجال - من غير مبالاة !

و بنات متبرجات أو سافرات ، كاسيات عاريات ، استحللن ما حرم الله !  
كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه (( يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة ويقول لهم الصلاة الصلاة يتلو هذه الآية : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (١) )) .

وهذه قصة عمر بن عبد العزيز مع ابنه يظهر فيها أثر الوالد على أبنائه وواجبه تجاههم حينما تفتتهم الدنيا بزخرفها : (( بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابناً له اشترى فصاً بألف درهم فتختم به فكتب إليه عمر عزيمة مني إليك لما بعث الفص الذي اشتريت بألف درهم وتصدقت بثمنه واشتريت فصاً بدرهم واحد ونقشت عليه : رحم الله امرأً عرف قدره والسلام ))<sup>٣</sup>

١ سورة طه آية ١٣٢ .

٢ شعب الإيمان ١٢٧/٣ .

٣ مرجع سابق ، أبو نعيم ، حلية الأولياء ٣٠٦/٥ .

## ثانياً : فتنه المال :

- ومن الفتنة بالمال ما وقع لقارون حيث غره كثرة ماله فطغى وتكبر ورد الفضل في حصول المال لجهدده وقدرته ناسياً فضل الله ونعمته عليه :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ قَرُونًا كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَأَيَّدُوهُ مِنْ الْكُفُورِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ دُؤَيْبِهِمُ الْمَجْرُومُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَرُونٌ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلِحُهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآتُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآتُهُ لَا يَفْلِحُ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِصِينَ ﴿٨٣﴾ ١ .

لقد أنعم الله سبحانه وتعالى على قارون بنعمة المال ولكنه فتن به، فبدل أن يشكر المنعم على إنعامه، تكبر وطمع وزعم أن حصوله على المال لأنه يستحق ذلك .. وقد فتن الناس بما عنده من مال كثير ومراكب وملابس وخدم وغيره .. وتمنوا مثله ، وكانت نتيجة الطغيان وكفر النعمة أن خسف الله به وبداره وأمواله الأرض ولم ينفعه ماله ولا خدمه ولا غيره .. وندم الذين تمنوا مثله وتأكدوا أن المال لا يكون بديلاً عن رضا الله، وعرفوا أن نعمة الله عليهم بالإيمان وأن عصمتهم من البطر والبغي أفضل مما لو حصلوا المال فافتنوا به فيخسرون الدنيا والآخرة.

• والقصص كثيرة منها ما وقع لأحد الرجلين اللذين وردت قصتهما في سورة الكهف في قوله تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴾ ﴿١﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِتْنَةٌ يَصُرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴾ ﴿١﴾ وقد ذكرت هذه القصة بعد آيات كريمة تحدثت عن المشركين وافتخارهم بأموالهم وأحسابهم على الفقراء والمساكين من المسلمين

ويوضح أحداث القصة ابن كثير مفسراً هذه الآيات الكريمة فيقول : ( ضرب لهم مثلاً برجلين جعل الله لأحدهما جنتين أي بستانين من أعناب محفوفتين بالنخيل المحدقة في جنباتها وفي خالهما الزروع ، وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة ، والأثمار متفرقة فيهما ههنا وههنا ، وكان صاحب الجنتين يجادل صاحبه ويفتخر عليه بقوله : أنا أكثر خدماً وحشماً وولداً ، ثم دخل جنته وهو ظالم لنفسه بكفره وتجبره ؛ اغتراراً منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأثمار ، ظن أنها لا تفتى ولا تهلك ولا تتلف ، وذلك لقلّة عقله وضعف يقينه بالله ، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها ، وكفره بالآخرة ، فوعظه صاحبه المؤمن زاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار ، وقال له : هلا إذ أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك ، وقلت : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وحذره مما قد يصيب ماله من هلاك ودمار ، ولكنه لم يرتدع ، فوقع ما كان حذره منه المؤمن ، حيث أرسل الله عليها حساباً من السماء فدمر بستانه ، فأصبح يصفق بكفيه متأسفاً متلهفاً على الأموال التي أذهبها عليها ، ولم ينفعه إذ ذاك عشيرة أو ولد ، كما افتخر بهم واستعز ) ٢ .

• وما وقع لأصحاب الجنة الذين وردت قصتهم في سورة ( القلم ) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣﴾ وهؤلاء أنعم الله عز وجل عليهم ( ببستان اشتمل على أنواع الثمار والفواكه ، فحلفوا فيما بينهم ليجذّن ثمرها ليلاً لئلا يعلم

١ سورة الكهف من آية ٣٢ — ٤٣ .

٢ مرجع سابق ، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣/٨٤ بصرف .

٣ سورة القلم آية ١٧ — ٣٣ .

بهم فقير ولا سائل، ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ، فأصابها آفة سماوية فأصبحت هشيماً ييبساً . فلما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا لقطع ثمرهم وهم يتناجون فيما بينهم بحيث لا يُسمعون أحداً كلامهم، ومضوا وهم يقولون لا تمكثوا اليوم فقيراً يدخلها عليكم، وغدوا على قوة وشدة وجدٍ وغيظ، فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها فإذا هي على الحالة التي قال الله عز وجل، قد استحالت عن تلك النضارة والزهو وكثرة الثمار، إلى أن صارت سوداء ملهمة لا ينتفع بشيء منها، فاعتقدوا أنهم أخطأوا الطريق، ثم رجعوا وتيقنوا أنها هي فقالوا : نحن لا حظ لنا ولا نصيب، وذكرهم أوسطهم وأعدلهم مؤنباً لهم : ألم أقل لكم أن تسبحوا الله وتشكروه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم، وندموا حيث لا ينفع الندم وقاموا يلومون بعضهم بعضاً على ما أصروا من منع المساكين من حق الجذاذ، وما كان منهم إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب وقالوا : إنا اعتدينا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا، ما أصابنا وهكذا عذاب من خالف أمر الله. (١)

فهذه القصص توضح خطورة التعلق بالمال وترك طاعة الله عز وجل وشكره على نعمه .

- وقال عز وجل : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ ٢ يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية الكريمة: ((ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم من عرض الحياة الدنيا، زهرته لامعة جذابة والزهرة سريعة الذبول على ما بها من رواء. فإنما نمتعهم بها ابتلاء (لنفتنهم فيه) فنكشف عن معادتهم، بسلوكهم مع هذه النعمة وذلك المتاع، وهو متاع زائل كالزهرة سرعان ما تذبل (ورزق ربك خير وأبقى) وهو رزق للنعمة لا للفتنة، رزق طيب خير باق لا يذبل ولا يخذع ولا يفتن)) ٣

### الخلاصة :

لقد حذر سبحانه وتعالى عباده في مواضع متعددة من القرآن الكريم من فتنة المال والانشغال به عن طاعة الله، فهو وحده العليم بطبيعة الإنسان وحبه وتعلقه بالمال وبالولد ، فنبه

١ المرجع السابق ، ٤٠٧/٤ - ٤٠٨ بتصرف.

٢ سورة طه آية ١٣١.

٣ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ٤/٢٣٥٧.

سبحانه إلى أهمها من زينة الحياة الدنيا، التي تكون موضع امتحان للعبد هل يشكر ويؤدي حق النعمة فيها؟ أم يشتغل بها عن أداء حق الله فيها؟ وقد نبه سبحانه أنه واهب الأموال والأولاد وعنده وراء ذلك كله أجر عظيم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ١ ولا يستحق هذا الأجر إلا من استعلى على فتنه المال والولد .

ولا يفهم من هذا أن الإسلام يدعو إلى التخلص من المال والولد بالكلية؛ بل إن الإسلام دين حياة وآخرة، والإسلام هو الدين الوحيد الذي وازن بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد في هذا الكائن البشري، فلم يطغ جانباً على آخر، ولعل الآية التي يقول فيها تعالى: ﴿وَأَبْتَحْ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ ٢ تعكس موقف الإسلام ونظرته إلى حقيقة التكوين البشري، فللروح طلباتها، وللجسد رغباته.

ولو لاحظنا قوله تعالى: ((ولا تنس نصيبك من الدنيا)) لوجدنا أنه يتحدث عن شيء محدود ومعلوم ومقدر، كما أنه ملازم للإنسان ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم: ((أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها..)) ٣

والإسلام يدعو إلى كسب المال، واستثماره وتنميته بالطرق المشروعة، ثم الإنفاق منه في سبيل الله، ومن حقق هذا كان مؤمناً حقاً كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٦٤﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦٥﴾ ٤ ، والإسلام إنما فرض الزكاة ليلفت المؤمنين إلى أهمية العناية في ميدان المال واستثماره وتنميته في حياتهم، وعثمان رضي الله عنه لم يظفر بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم)) ٥، وهذه البشارة حصل عليها نتيجة ما أنفقه من ماله على جيش العسرة .

١ سورة الأنفال آية ٢٨ .

٢ سورة القصص آية ٧٧ .

٣ سنن ابن ماجه ٢/٧٢٥، كتاب التجارات، باب الاقتصاد في طلب المعيشة، حديث رقم ٢١٤٤، حديث صحيح، انظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني ٢/٦، رقم ١٧٤٣، وفي تخریج أحاديث مشكاة الفقر ١٩، رقم ١٥ .

٤ سورة الأنفال آية ٢ - ٤ .

٥ سنن الترمذي ٥/٦٢٦، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان، حديث رقم ٣٧٠١، وقال حديث حسن غريب، مسند الإمام أحمد ٥/٦٣، حديث صحيح، انظر: الألباني في المشكاة ٣/١٧١٣، وصحيح الترمذي ٣/٢٠٩ .



إلا أن المال فتنة هذه الأمة وهلاكها، فعن كعب بن عياض رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (( إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال )) ١ وقد جاء توضيح هذا المعنى في تحفة الأحوذى : ( قوله: ( إن لكل أمة فتنة ) أي: ضلالاً ومعصية ( وفتنة أمتي المال ) أي : اللهو به لأنه يشغل البال عن القيام بالطاعة ويُنسي الآخرة ) ٢ .

وكما نعلم أن لكل أمة من الأمم فتنة، تختص بها وتكون سبباً لضلالها، ومعصيتها، كما أخبر بأن غالب فتنة بني إسرائيل كانت النساء، مع وجود غيرها من الفتن إلا أنها الغالبة عليهم، ( وفتنة أمتي المال ) : أي أكثر ضلالها وعصيانها بسبب المال، فإن الحرص عليه والانشغال بجمعه دون الأخذ بالاعتبار، ما سيؤدي إليه جمع هذا المال، من كثرة الحساب عليه، وتعدد الحقوق فيه مثلاً للفقراء والمستحقين له، فإن صاحب هذا المال يعرض نفسه للهلاك والخسران بسببه، وقد جاء في الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم : (( اثنتان يكرههما ابن آدم : يكره الموت، والموت خير له من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقل للحساب )) ٣ .

ولا يخفى ما يؤدي إليه الحرص على طلب المال، من تضييع حق الله في العبادة، وترك العناية بتربية الأولاد، وإصلاح الأهل حيث لا يجد الرجل وقتاً لتعليم أولاده وتربيتهم وتوجيههم التوجيه السليم.

ومما يدل على أن فتنة هذه الأمة وهلاكها المال، ما رواه ابن مسعود رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (( إن هذا الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم، ولا أراهما إلا مُهلكاكم )) ٤ .

لذا ينبغي الحذر من المال ومن سوء استخدامه، لأنه يؤدي إلى الهلاك والفتنة.

## مآلات الفتنة بالمال :

### ١- عدم مراعاة الكسب الحلال :

يحرص بعض الناس على الحصول على المال دون الاهتمام بمصدره، من أين يحصل عليه ؟ من الحلال أم من الحرام ؟ لا يهم ، المهم أن يصبح غنياً وبأسرع وقت ممكن. وقد حذر صلى الله

١ سنن الترمذي ٥٦٩/٤، كتاب الزهد، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، حديث رقم ٢٣٣٦، حديث صحيح، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١٣٩/٢، برقم ٥٩٢.

٢ تحفة الأحوذى ٥١٨/٦، كتاب الزهد، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، حديث رقم ٢٣٣٦.

٣ مسند الإمام أحمد ٤٢٧/٥، حديث رقم ٢٣٦٧٤، حديث صحيح، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٤٥٢/٢، برقم ٨١٣.

٤ المعجم الكبير ٩٥/١٠، حديث رقم ١٠٠٦٩، حديث صحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٢٧٨/٤، برقم ١٧٠٣.

عليه وسلم من هذا فقال : (( ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام)) ١ .

ومن فقه الإمام البخاري يرحمه الله أنه أورد هذا الحديث تحت باب قول الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ ٢ أي تحت ما يتعلق بالربا، ليبين أن أكل الربا أضعافاً مضاعفة لا يكون إلا عند تساهل الناس وعدم مبالاهم بكيفية جمع المال.

وما أكثر أكلة الربا اليوم، الذين لا يباليون ولا يتحرون بطرق جمع المال والمكاسب فتجدهم يجمعونها بأي طريقة كانت مشروعة أم غير مشروعة ، وما ذلك إلا بتفشي الربا في معاملاتهم، فهي اليوم المصارف الربوية تتصدر الطرقات، وتفتح أبوابها لنشر هذه الفتن العظيمة والله المستعان. وبناء على قوله تعالى : ﴿يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ ٣ فإن هذا يدل على خسران آكل الربا، وأن ماله الفقر والحاجة، من حيث أراد الزيادة بالربا قال تعالى :

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ ٤

٢- أن يصير عبداً للمال :

أي لا يستطيع العيش، بل لا يهنأ له بال إلا إذا جمع أكبر قدر منه، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (( تعس عبد الدينار والدرهم والقטיפفة والخميسة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ..)) ٥، وهذا دعاء من الرسول صلى الله عليه وسلم على عبد الدنيا (عبد الدينار والدرهم)، دعاء على عبد المتاع والمظاهر (عبد القטיפفة والخميسة) دعاء عليه بالتعاسة وعدم السعادة، دعاء عليه أن تنتكس عليه أموره وتتقلب عليه، دعاء عليه أن لا يوفق حتى لإخراج شوكة إن أصابته، لأنه أصبح وأكبر همّه الدنيا، (إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط)، يرضى لوجود الدينار والدرهم، ويسخط لفقدهما، وليس معنى (عبد الدينار والدرهم) أنه يركع ويسجد للدينار والدرهم ، وإنما تعلق قلبه بهذه المظاهر الدنيوية الزائفة الزائلة، فأصبح وأمسى وهي همّه.

١ صحيح البخاري ٧٣٣/٢، كتاب البيوع، باب قول الله عز وجل (( يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا )) ، حديث رقم ١٩٧٧ .

٢ سورة آل عمران آية ١٣٠ .

٣ سورة البقرة آية ٢٧٦ .

٤ سورة البقرة آية ٢٧٥ .

٥ سبق تحريجه ص ١١٥ .

## **الباب الثالث**

### **الوقاية من فتنة الحياة الدنيا**

**الفصل الأول: المنهج الوقائي في القرآن الكريم**

يحتوي على مبحثين:

المبحث الأول : سمات المنهج القرآني وخصائصه .

المبحث الثاني : الصفات والأعمال الواقية من فتنة الحياة الدنيا

كما وردت في القرآن الكريم.

**الفصل الثاني : منهج القرآن الكريم في الوقاية من الفتن.**

## **الباب الثالث**

### **الوقاية من فتنة الحياة الدنيا**

**الفصل الأول: المنهج الوقائي في القرآن الكريم**

يحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: سمات المنهج القرآني وخصائصه .

المبحث الثاني: الصفات والأعمال الواقية من فتنة الحياة

الدنيا كما وردت في القرآن الكريم.

## المبحث الأول: سمات المنهج القرآني وخصائصه

إن المنهج القرآني هو أفضل منهج للوقاية من الفتن، وخاصة فتنة الشهوات " موضوع بحثي " والسبب في ذلك يعود إلى السمات التي تميز بها هذا المنهج، والخصائص التي انفرد بها عن أي منهج في العالم.

ولقد كان القرآن الكريم مصدر الهداية للأمة في صدر الإسلام، استمدت منه قوتها، فكانت الصورة المتألية التي طالما قرأناها في كتب السيرة، وسيظل القرآن بتعاليمه القوية الثابتة هو المؤثر في حياة الأمة المحمدية لأنه قد احتوى على النظم والمبادئ التي لها أكبر الأثر في إعادة المسلمين إلى مكانتهم الأولى إن هم اتخذوه منهجاً لهم، ودليلاً في كل شؤون حياتهم، كما فعل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسوف أستعرض هنا بعض السمات والخصائص للمنهج القرآني التي جعلته ينفرد عن أي منهج آخر في أي زمان ومكان وهي ( سمات عديدة منها:

١ - **العالمية:** هذه الشريعة في كل أحكامها وأنظمتها ومبادئها ذات صبغة إنسانية، وخصيصة عالمية .. فهي رحمة للعالمين، وهداية للناس كافة، وهي منهاج للبشرية عامة، فليست تشريعاً لجنس خاص من البشر، أو لإقليم معين من الأرض، أو لفئة خاصة من الناس .. بل هي للإنسان من حيث هو إنسان بغض النظر عن لونه أو جنسه أو لغته أو أرضه .. فلا عنصرية في هذه الدعوة، ولا عصبية في هذا التشريع، ولا طبقية في هذا الإسلام .. وإنما الناس فيه سواء، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى. وهذه العالمية للتشريع قد بينها الله عز وجل في أكثر من آية قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ١، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا

كَاغَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٢

وأكدتها عليه الصلاة والسلام في أكثر من مناسبة:

١ سورة الأنبياء آية ١٠٧.

٢ سورة سبأ آية ٢٨.

— روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من امتي أدركته الصلاة فليُصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة))<sup>١</sup> .

— وثبت في الصحيح أنه صلوات الله وسلامه عليه أرسل إلى الملوك والرؤساء في عصره كالنجاشي، وكسرى، وقبصر، والمقوقس، كتباً يدعوهم فيها إلى الإسلام، وكان شعاره في ذلك: ((أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين))<sup>٢</sup> أي العامة من الفلاحين وغيرهم .

ومن المؤيدات العالمية للتشريع تكليف الله عز وجل أمة الإسلام في كل زمان ومكان أمانة الدعوة، ورسالة التبليغ، حتى يصل الإسلام إلى كل بلد في العالم.

قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾<sup>٣</sup> ، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾<sup>٤</sup> .

صرح أحد أساتذة علم الاجتماع بجامعة كاليفورنيا — بعد أن اطلع على علاج الإسلام لمشكلة الفقر والعجز — فقال: ((إن هذا العلاج الإسلامي لا يصلح للعرب فقط، بل يصلح علاجاً في كل جهات العالم المتمدن. وقال أيضاً: أنا لم أر علاجاً أمثل من علاج الإسلام، ولا تصوراً أولى من تصوره للتعاون بين آحاد المجتمع))<sup>٥</sup> .

فانطلاقاً من هذه التوجيهات الربانية في عالمية الدعوة انطلق المسلمون في أرجاء الأرض يبلغون رسالات الله وشعارهم الذي رفعوه على مسامع الدنيا: (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ..)<sup>٦</sup> .

١ صحيح البخاري ١/١٦٨، كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، حديث رقم ٤٢٧، صحيح مسلم

١/٣٧٠، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم ٥٢١.

٢ صحيح البخاري ٩/٩، باب كيف كان بدء الوحي، حديث رقم ٧.

٣ سورة آل عمران آية ١١٠.

٤ سورة البقرة آية ١٤٣.

٥ أبو زهرة، محمد، نظم الإسلام، ص ٤٣، نقلاً عن محمد السيد يوسف منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع ص ٣٨.

٦ ابن كثير، أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم، د. علي نجيب عطوي، أ. فؤاد السيد، أ. مهدي ناصر الدين، أ.

علي عبد الستار، طربدو، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ٤٠/٧

فهو منهج رباني منزل من لدن حكيم خبير يعلم ما يصلح للنفوس وما يفسدها ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ١، ولذا فهو منهج مبرؤ من الهوى والميل والضعف، كما أنه مبرؤ من الجهل والقصور والغلو والتفريط، الأمر الذي لا يمكن أن يتوافر في أي منهج، أو في أي شرع من صنع الإنسان ذي الشهوات والميول، والضعف والهوى، فوق ما به من الجهل والقصور. بالإضافة إلى أن هذه العالمية جعلته يتميز بالعتاء والتجدد حتى يفي بمحاجات الزمن المتطور ويواكب حضارات العصور المتجددة حتى يرث الله الأرض ومن عليها. يقول المستشرق (فميري) في كتابه الإسلام: ((إن فقه الإسلام واسع جداً لدرجة أنني عجت كل العجب كلما فكرت في أن المسلمين لم يستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لزمانهم وبلادهم)) ٢. هذا وشهادات المنصفين من المستشرقين وغيرهم كثيرة جداً في هذا المقام ٣. فكيف لا نفخر بمنهج هذه مميزات

### ٣ - الأصالة والخلود في نصوص الشريعة:

ومن أميز خصائص شريعة الإسلام أنها تتصف بالأصالة الباقية، والخلود الأبدي في نصوصها ومصادرها دون أن يتطرق إليها تحريف، أو يطرأ عليها تبديل أو تغيير. فالقرآن الكريم الذي هو المصدر الأول من مصادر التشريع قد تكفل الله بحفظه وبقائه إلى يوم البعث والنشور دون أن تناله يد بتحريف أو تبديل، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ٤ وقد شهد لأصالة القرآن وخلوده الأبدي على مدى الأجيال منصفون من رجالات الغرب، فقد قالوا كلمة الحق بتراهة وتجرد ووضوح الحقيقة بدقة وأمانة منهم البروفيسور (رينولد نيكلسون) حيث يقول في كتابه "التاريخ الأدبي للغرب" بالحرف الواحد: (القرآن الكريم وثيقة إنسانية رائعة توضح بدقة سر تصرفات محمد (صلى الله عليه وسلم) في جميع أحداث حياته، حتى إننا لنجد فيه مادة فريدة لا تقبل الشك ولا الجدل، نستطيع خلالها أن نتبع سير الإسلام منذ نشأته وظهوره في التاريخ المبكر، وهذا ما لا تجد له مثيلاً في البوذية أو المسيحية أو أي دين من الأديان القديمة) ٥.

١ سورة الملك آية ١٤.

٢ مجلة الوعي الإسلامي الكويتية عدد ٤٤، ص ٣٥. نقلاً عن يوسف، د. محمد، السيد، منهج القرآن في إصلاح المجتمع، ط ١، دار السلام، القاهرة - مصر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ص ٣٨.

٣ مرجع سابق، محمد السيد يوسف منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، ص ٣٦ - ٣٨ بتصرف.

٤ سورة الحجر آية ٩.

٥ رينولد نيكلسون، التاريخ الأدبي للغرب، نقلاً عن عبد الله ناصح علوان، محاضرة في الشريعة الإسلامية وفقهها ومصادرها، ط ١، دار السلام، القاهرة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

أ والسنة النبوية التي هي المصدر الثاني من مصادر الشريعة، بل هي المبينة للقرآن الكريم، والمكملة لأنظمة الإسلام .. هذه السنة قد هيأ الله لها من يحفظها من عبث العابثين، ووضع الملفقين، ودس المغرضين.. هيأ لها علماء أثباتاً، ومحدثين أفذاذاً، ورجالات ثقات.. لم يشهد التاريخ الإنساني أبه منهم، ولا أدق في بيان درجة الحديث ومعرفة أحوال السند والمتن وأصول الرواية والدراية.. حتى وصلت السنة إلينا نقية خالصة لم يعتورها أية شبهة، ولم يطرأ عليها أية علة، وكل إنسان حين يرجع إلى أسفار السنة، ومراجع الحديث الكبرى يعرف درجة أي حديث يريد التحقق منه من حيث الصحة أو الضعف، ويتحقق من كل سند من حيث التعديل أو الجرح' .. وما ذاك إلا بجهود أهل الحديث الثقات الأفذاذ .. على مدى العصور .

ب وإذا كان الله عز وجل قد تكفل بحفظ القرآن الكريم إلى يوم الدين .. فمن الطبيعي أن يتكفل بحفظ السنة النبوية إلى قيام الساعة باعتبارها المبينة للقرآن، والمكملة لأنظمة الإسلام كما سبق ذكره. فالقرآن والسنة إذن شيان متلازمان لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر، فحفظ الله للقرآن الكريم معناه ضمناً حفظاً للسنة، وهذا الحفظ قائم لازم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ج ولأن هذا المنهج صادر من عند الله تعالى؛ فهو يُحترم ويطاع طاعة اختيارية تنبعث من النفوس، وتقوم على الإيمان، ولا يقسر عليها الإنسان.

### ٣ - التيسير ورفع الحرج:

إن المتتبع لتعاليم الشريعة السمحاء يجدها تمتاز بالتيسر والتسامح ورفع الحرج، بل يجد أن القصد من التشريع ليس هو إيقاع الحرج بالناس، والتشديد عليهم، وإرهاقهم بالتكاليف؛ وإنما هو تحقيق مصالح معاشهم وآخرتهم بما يتفق مع طاقتهم وحدود فطرتهم، وإليكم النصوص التي تؤكد هذا المعنى:

- قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ٢ .
- وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ٣ .
- وقال جل جلاله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ٤ .

<sup>١</sup> إذا كانت لديه الأهلية العلمية للاستفادة من جهود العلماء في هذا المجال .

٢ سورة البقرة آية ١٨٥ .

٣ سورة الحج آية ٧٨ .

٤ سورة البقرة آية ٢٨٦ .



فهذه النصوص وغيرها تؤكد تأكيداً جازماً أن الإسلام بمبادئه السمحة لا يكلف الإنسان فوق طاقته، لكي لا يكون لهذا الإنسان أي عذر أو حجة في التخلي عن أمر شرعي، أو ارتكاب محذور ديني.

(( ولقد حصر الفقهاء أسباب التخفيف عن المكلف في سبع مسائل:

➤ السفر: ومن أجله أبيض الفطر في رمضان، وقصر الصلاة الرباعية، وسقوط الجمعة والجماعة...

➤ المرض: ومن أجله أبيض الفطر في رمضان، والتميم، والصلاة قاعداً ..

➤ الإكراه: ومن أجله أبيض للمكروه التلطف بكلمة الكفر، وترك الواجب، وإتلاف مال الغير، وأكل الميتة، وشرب الخمر ..

➤ النسيان: ومن أجله رفع الإثم عن ارتكاب معصية ناسياً، ولم يبطل صوم من أكل في نهار رمضان أو شرب ناسياً، ولم تحرم ذبيحة من ترك التسمية عليها عند ذبحها ناسياً ..

➤ الجهل: ومن أجله ساغ رد المبيع بالعيب لمن اشتراه جاهلاً بعيبه، وساغ فسخ الزواج بالعيب لمن تزوج جاهلاً به ..

➤ عموم البلوى: ومن أجله عفي عن رشاش النجاسات من طين الشوارع وغيره مما لا يمكن الاحتراز عنه ..

➤ النقص: ومن فروعه: رفع التكليف عن فاقد الأهلية كالطفل والمجنون))<sup>١</sup>.

ويجب أن يلاحظ أنه لا يجوز أن يُتخذ مبدأ التيسير ورفع الحرج وسيلة لإسقاط التكاليف بغير مسوغ شرعي كأن يترك المسلم بعض الصلوات لزحمة أعماله، وكثرة مشاغله زاعماً أن الدين يسر وليس فيه حرج .. فهذه مغالطة فيها إثم كبير لأن معنى أن الدين يسر أن ما شرعه الدين هو اليسر بعينه، وليس التساهل والتقصير عن بعض ما شرعه أو عن بعض ما أمر به !!

## ٤ - رعاية مصالح البشر:

المقصد العام للتشريع الإسلامي — كما هو معلوم — هو: (رعاية مصالح البشر بكفالة ضرورياتهم، وتوفير حاجياتهم، وتأمين تحسيناتهم .

فكل حكم شرعي من أحكام الشريعة ما قصد إلا واحداً من هذه الثلاثة التي تتكون منها مصالح الناس.

ولكن ما المراد عند العلماء بالضروري وبالحاجي وبالتحسيني ؟

<sup>١</sup> خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، ط ٢، دار القلم، الكويت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ٢٠٩.

فأما الضروري: فهو ما تقوم عليه حياة الناس، ولا بد منه لإقامة مصالحهم، وإذا فقد اختل نظام حياتهم، ولم تستقم مصالحهم، وعمت فيهم الفوضى والمفاسد .. والأمور الضرورية للناس بهذا المعنى ترجع إلى حفظ خمسة أشياء:

الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، فحفظ كل واحد منها ضروري للناس. وأما الأمر الحاجي: فهو ما يحتاج إليه الناس لليسر والسعة، واحتمال مشاق التكليف، وأعباء الحياة .. وإذا فقد لا يختل نظام حياتهم، ولا تعم فيهم الفوضى كما إذا فقد الضروري، ولكن إذا فقد ينالهم الحرج والضيق، والأمور الحاجية بهذا المعنى ترجع إلى رفع الحرج عنهم، والتخفيف عليهم، ليحتملوا مشاق التكليف، وتيسر لهم طرق التعامل والتبادل وسبل العيش . وأما الأمر التحسيني: فهو ما تقتضيه المروءة والآداب وسير الأمور على أقوم منهاج، وإذا فقد لا يختل نظام حياتهم كما إذا فقد الأمر الحاجي، ولكن — عند فقد التحسيني — تكون حياتهم غير مقبولة وغير سعيدة في تقدير أصحاب العقول الراجحة والفطر السليمة .. والأمور التحسينية للناس بهذا المعنى ترجع إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات وتوفير أسباب السعادة والهناء .. وكل ما يقصد به سير الناس في حياتهم الدنيوية على أحسن منهاج<sup>1</sup> .

ولنضرب على هذه الأمور الثلاثة من الضروري والحاجي والتحسيني مثلاً:

الضروري: لسكن الإنسان مأوى يقيه حر الشمس، وزمهرير البرد ولو مغارة في جبل .. والحاجي: أن يكون المسكن مما يسهل فيه السكن بأن تكون له نوافذ تفتح وتغلق حسب الحاجة ..

والتحسيني: أن يُجمل المسكن ويؤثث وتوفر فيه وسائل الراحة والهناء فإذا توفر ذلك فقد تحققت مصلحة الإنسان في سكنه.

وقس على ذلك طعام الإنسان ولباسه وعمله .. وكل شأن من شؤون حياته، فلا تتحقق مصلحته وسعادته إلا إذا توفرت له هذه الأمور الثلاثة، ومثل الفرد المجتمع ككل، فإذا توافر لأفراد المجتمع ما يكفل تأمين ضرورياتهم وحاجياتهم وتحسيناتهم، فقد تحقق لهم ما يكفل مصالحهم، ويؤمن سعادتهم ..

ومن قاعدة: أن المقصد من التشريع هو رعاية مصالح البشر بكفالة ضرورياتهم وتوفير حاجياتهم، وتأمين تحسيناتهم، وضعت المبادئ الشرعية الخاصة برفع الحرج، ونذكر على سبيل المثال:

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص ١٩٩ — ٢٠٠ بتصرف.

○ الضرر يزال شرعاً: كثبوت حق الشفعة في شراء الدار، أو الأرض للشريك أو الجار .  
○ الضرر لا يزال بالضرر: كعدم الجواز في أن يدفع الإنسان الغرق عن أرضه بإغراق أرض غيره.

○ يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام: كقتل القاتل لتأمين الناس على نفوسهم، وقطع يد السارق لتأمين الناس على أموالهم ..  
○ يُرتكب أخف الضررين لاتقاء أشدهما: كأن يجبس الزوج إذا ماطل في القيام بنفقة زوجته، وتطلق الزوجة لإيقاع الضرر بها أو إعسار الزوج.  
○ الضرورات تبيح المحظورات: كاضطرار الجائع المشرف على الهلاك أن يأكل الميتة أو محرماً..  
○ لدفع الهلاك عن نفسه .

○ الضرورات تقدر بقدرها: كأن يكشف الطبيب عن عورة المريض بقدر ما يشخص المرض إلى غير ذلك من القواعد والمبادئ التي تدل على يسر الشريعة ورعايتها مصالح البشر .  
بالإضافة إلى العلم المطلق بحقيقة الإنسان وحاجاته، وحقيقة الكون الذي يعيش فيه والسنن التي تحكمه فلا ينشأ تصادم بين ذلك كله وإنما توازن واعتدال ، وهذا لا يكون إلا لمنهج إله عظيم خبير عليم.

## ه - التوازن بين المادة والروح:

ومن عظمة التشريع الإسلامي أنه لا يباعد بين المادة والروح، ولا يفصل بين الدنيا والآخرة، بل ينظر إلى الحياة على أنها وحدة متكاملة في أداء الحقوق سواء ما يتعلق بأداء الإنسان حق ربه أو حق نفسه أو حق غيره . وبهذا يتسنى للإنسان أن يمارس الحياة العملية الواقعية بكل طاقاته على أسس من المبادئ الإسلامية التي توافق الفطرة وتتلاءم مع واقعية الحياة .. بل تهيئ للإنسان أن يتوازن مع هذا وذاك، وأن يؤدي حق الله، وحق الغير، دون أن يُغلب حقاً على حق، أو يقصر في مسؤولية على حساب مسؤولية أخرى .

وقد حض القرآن الكريم على هذا التوازن بين المادة والروح في كثير من آياته التي تلامس المشاعر والوجدان قبل أن تخاطب عقل الإنسان .

ففي تذكير القرآن بأداء حق الله في العبادة في غمرة الاهتمام في الأعمال الدنيوية يقول تعالى:  
﴿رَجَالٌ لَا نُلِهِم بِحَجَرٍ وَلَا بَيْعٍ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ

الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ ﴿٣٧﴾ ١ . وفي تذكيره بأداء حق النفس في التكسب وابتغاء الرزق في غمرة المناجاة الربانية يقول تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ ٢ . وفي تذكيره بأداء حق الغير في البر والإحسان والتكافل يقول تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ ٣ . ومن الأصول التي وضعها الإسلام في هذه الموازنة:

أ - ابتغاء الدار الآخرة مع الأخذ بحظوظ الحياة قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ ٤ .  
 ب - الاستنكار على من يجرم على نفسه الزينة والطيبات قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ٥ .

ج - الاستنكار على من يترهبين بنية التفرغ للعبادة قال صلى الله عليه وسلم للنفر الثلاثة الذين كانوا يغالون بالعبادة: ((.. أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وافطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)) ٦ .  
 د - الاستنكار على من يعتزل الحياة ويفر من تكاليف الجهاد قال صلوات الله وسلامه عليه للشخص الذي أراد العزلة والفرار من الجهاد: ((لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلواته في بيته سبعين عاماً ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟ اغزوا في سبيل الله من غزا في سبيل الله فواق ناقة (زمن ما بين الحربين) وجبت له الجنة)) ٧ .

١ سورة النور آية ٣٧ .

٢ سورة الجمعة آية ١٠ .

٣ سورة البقرة آية ١٧٧ .

٤ سورة القصص آية ٧٧ .

٥ سورة الأعراف آية ٣٢ .

٦ صحيح البخاري ١٩٤٩/٥، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم ٤٧٧٦، صحيح مسلم ١٠٢٠/٢، كتاب النكاح، باب استحباب

النكاح لمن تافت نفسه إليه، حديث رقم ١٤٠١ .

٧ سنن الترمذي ١٨١/٤، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله، حديث رقم ١٦٥٠، مسند الإمام أحمد ٥٢٤/٢، برقم

١٠٧٩٦، صحيح غيره، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج ٢، برقم ٩٠٢ .

وما هذه الأصول التي وضعها الإسلام إلا ليوازن الإنسان بين المادة والروح، والدين والدنيا، والعبادة والحياة، فلا يزيد حب الشهوات على حب الله ورسوله؛ بل يسخرها في مرضاة الله ويجعلها وسيلة لا غاية.

والإسلام يعترف بنوازع الإنسان الفطرية الطبيعية وفي نفس الوقت لاحظ استعداده للتعالي، فجاهه بشرائع تهدب هذه الغرائز وتجعل منها دوافع تدفع الإنسان إلى ما فيه خيره وصلاحه وصالح مجتمعه.

## ٦ - التلازم بين العقيدة والحياة:

من المعلوم يقيناً أن العقيدة إذا ترسخت في النفس ولدت الشعور بالمراقبة، ودفعت إلى القيام بالمسؤولية، وأحبطت مكائد الشيطان، ووقفت سداً منيعاً بين الإنسان وبين المعصية.

وهذا الانبعاث من الشعور بالمراقبة واستشعار معنى المسؤولية مما يقوي الإرادة الذاتية لدى المؤمن فلا يكون أسيراً لشهوته ولا عبداً لأطماعه وأهوائه، بل ينضبط بحساسية التقوى، ويتزجر بوازع الإيمان بل يندفع إلى إتقان العمل وتحسينه محتسباً الأجر والثواب من الله وحده.

هذه العقيدة ترفع أصحابها من أحوال الأرض ومستنقع الطين فيقف صاحبها في المرتقى السامي ينظر إلى الأرض من علٍ مع التواضع، وبالعزة مع المحبة والتطامن دون استطالة ولا بغى على الناس، يود لو يرفعهم إلى هذا المستوى الذي رفعه الله إليه .

ولاشك أن المؤمن حين يضع نصب عينيه قول الحق سبحانه: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾<sup>١</sup>

وحين يضع في مخيلته قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك))<sup>٢</sup>، فبهذا التخيل وهذا التذكر وهذا الشعور .. يتحرر المؤمن — كما أئحنا — من ربة الهوى ونزعات النفس الأمارة، وهمزات الشياطين، وفتنة المال، ويتحلى بالمراقبة لله والإخلاص له، والاستعانة به، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع، بل يندفع بكليته إلى العمل بأمانة وجديّة وإتقان .. بل يكون إذا مشى في الناس كالمملك يمشي على الأرض طهراً وصفاءً وامتنالاً لأمر الله .

والشريعة في مفهومها لا يمكن أن تفصم بين العقيدة والحياة ولا يمكن أن تفصم بين العقيدة والسلوك، ولا يمكن أن يكون المسلم مسلماً حتى تنعكس عقيدته الربانية على سائر تصرفاته الفردية والاجتماعية .

١ سورة المجادلة آية ٧.

٢ صحيح البخاري ١٧٩٣/٤، كتاب التفسير، باب ((إن الله عنده علم الساعة))، حديث رقم ٤٤٩٩، صحيح مسلم ٣٧/١، كتاب الإيمان، باب بيان

الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم ٨.

فعدنذ يكون الإنسان السوي المتوازن المتمثل لمنهج الله، الذي يشار إليه بالبنان . وصدق الله حين يقول: ﴿ وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ ( ١ ) ٢ . ولن يتمكن الناس من التواصي بالصبر إلا بعقيدة راسخة وإيمان بالله قوي ثابت لا تهزه أي شهوة أو فتنة قد تعرض له أثناء انطلاقه.

## V - الواقعية:

ومعنى واقعيته أنه قابل للتحقيق في الحياة، وأنه يتفاعل مع حقائق موضوعية ذات وجود حقيقي، وأنه جاء مراعيًا لواقع الكون والحياة والإنسان.

فهو ليس نظرية عقلية منشؤها خيال جامع، ولكنه منهج وثيق الصلة بالواقع البشري، كما أنه ليس قوالب نظرية سرعان ما تتحطم على أرض الواقع، وليس مثلاً وجدانياً تدركه الاشواق وتقتصر دونه الأعمال، بل هو منهج يتزل إلى أرض الواقع ويعالج هذا الواقع، انطلاقاً من طبيعته وظروفه ومعطياته.

يقول الاستاذ سيد قطب — يرحمه الله —: ((إن الإسلام منهج واقعي للحياة لا يقوم على مثاليات خيالية جامدة في قوالب نظرية، بل هو يواجه الحياة البشرية كما هي بعوائقها وجواذبهـا وملابسها الواقعية. يواجهها ليقودها قيادة واقعية إلى السير، وإلى الارتقاء في آن واحد، يواجهها بحلول عملية تكافئ واقعياتها، ولا تترف في خيال حالم، ورؤى مجنحة لا تجدي على واقع الحياة شيئاً)) ٣ .

وهذا مما تفرّد به المنهج القرآني عن غيره من كل المناهج والأفكار، وليس أدل على ذلك من تجربة المنهج الشيوعي في العصر الحديث فقد قامت الشيوعية في عام ١٩١٧م، وبنيت قواعدها على صرح هائل من الأماني والأحلام، ولم تمض أعوام حتى انهار هذا الصرح وانتهى الحلم واستيقظ أصحابه على الحقائق المرة، فقد سقطت الشيوعية في التسعينات من نفس القرن، بعد أن اصطدمت بواقع الفطرة الإنسانية التي لم تصمد أمامها طويلاً .

وغير الشيوعية الكثير من المذاهب والأفكار التي سارت في نفس الطريق وانتهجت ذات النهج، وانتهت إلى نفس النهاية.

أما المنهج الإسلامي فهو منهج واقعي، وتتجلى هذه الواقعية في الفروق الواضحة بين القرآن المكّي والمدني من حيث الأسلوب، ونوعية التشريع وطبيعة الموضوعات، فالقرآن المكّي يركز

١ سورة العصر ١ — ٣

٢ مرجع سابق، عبد الله ناصح علوان، محاضرة في الشريعة الإسلامية وفقهها ومصادرها، ص ١٢ — ٣٨ بصرف.

٣ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ١/٢٢٦.

على موضوعات العقيدة بأصولها وفروعها وجملتها وتفصيلها، كما يفصل الحديث عن قصص الأنبياء، ويكثر الترغيب والترهيب، ويكثر من الأمر بالصبر، إلى آخر هذه الموضوعات. أما القرآن المدني ففيه الأمر بالقتال والحث عليه، وفيه تفصيل الحديث عن التشريع، والحديث عن أهل الكتاب وكيفية التعامل معهم، والحديث عن المنافقين والتحذير من خطرهم، وفيه تفصيل الحديث عن البيت المسلم وآدابه، والحديث عن تنظيم العلاقة بين المجتمع المسلم وغيره من المجتمعات... وغير ذلك من الموضوعات.

وهذه الفروق الجلية بين القرآن المكّي والمدني أكبر دليل وأوضح برهان على واقعية القرآن الكريم، فهو يراعي طبيعة المرحلة وطبيعة المكان والزمان، ويراعي الأطوار التي تمر بها الدعوة والظروف التي يعيشها المخاطبون بهذا القرآن.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ١ . وحول واقعية الإسلام يقول سيد قطب — يرحمه الله —: (إن الإسلام دين للواقع، دين للحياة، دين للحركة، دين للعمل والنتاج والنماء، دين تطابق تكاليفه فطرة هذا الإنسان، بحيث تعمل جميع الطاقات الإنسانية عملها الذي خلقت من أجله، وفي الوقت ذاته يبلغ الإنسان أقصى كماله البشري المقدر له عن طريق العمل والحركة وتلبية الطاقات والأشواق، لا كتبها أو كفها عن العمل. ومن ثم تتحقق صفة الواقعية للمنهج الإسلامي الموضوع للحياة البشرية، ويتسنى للإنسان أن ينطلق بكل طاقاته، يعمر في هذه الأرض ويغير، وينمي في موجوداتها ويطور، ويدع في عالم المادة ما شاء الله له أن يبدع بدون حواجز أو قيود متناسقاً و متمشياً مع: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ اللَّيْلِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢) (٣) ٤ .

ثم إنه منهج مرن، ليس جامداً، وإلا لما صلح إلا لزمان معين، كما أن فيه ثباتاً يعطيه الجدية وهذا ما سنلاحظه من خلال هذه الصفة ( الثبات والمرونة):

## ٨- الثبات والمرونة:

وهذا من أجلى مظاهر عظمة هذا المنهج، ففي ظله لا يوجد تعارض بين وجود الثواب وتحقق التطور الدائم.

١ سورة النساء آية ٨٢.

٢ سورة الروم آية ٣٠.

٣ قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ط (بدون)، دار الشروق، بيروت/القاهرة، ص ٢١٢ — ص ٢١٣ بتصرف..

٤ مرجع سابق، محمد السيد يوسف، منهج القرآن في إصلاح المجتمع، ص ٣٩٩ — ص ٤٠٨ بتصرف.

( الثبات فيما يجب أن يخلد ويبقى، والمرونة فيما ينبغي أن يتغير ويتطور وهذا من روائع الإعجاز في هذا الدين، وآية من آيات عمومته وخلوده وصلاحيته لكل زمان ومكان ) ١

أهمية الثبات والمرونة في المنهج الإسلامي:

جاء المنهج الإسلامي جامعاً بين الثبات والمرونة، فهناك ثبات في مقوماته الأساسية فهي لا تتغير ولا تتطور، ولا يقتضي هذا تجميد حركة الفكر والحياة ولكنه يسمح لها بالحركة داخل هذا الإطار الثابت) ٢ .

وثبات المنهج مع مرونته يعطيه القدرة على إيجاد الحلول لمشكلات كل عصر ومصر، وتعطيه الكفاءة والصلاحية للتطبيق في كل مجتمع، ومواجهة الجديد من الوقائع والأحوال. (وبالثبات يستعصي المجتمع المسلم على عوامل الانهيار والفساد أو الذوبان في المجتمعات الأخرى.

وبالثبات يستقر التشريع، وتتوافر الثقة، وتبنى المعاملات والعلاقات على دعائم مكينة، وأسس راسخة، لا تعصف بها الأهواء، أو التقلبات السياسية والاجتماعية.

وبالمرونة يستطيع هذا المجتمع أن يكيف نفسه وعلاقاته حسب تغير الزمن، وتغير أوضاع الحياة دون أن يفقد خصائصه ومقوماته الذاتية) ٣

والمندبر للقرآن الكريم يجد في نصوصه الكريمة دلائل حجة على هذه السمة البارزة من سمات المنهج القرآني، سمة الجمع بين الثبات والمرونة،

**وفيما يلي نذكر بعض الأمثلة التي يشتمل كل مثال منها على جانب ثبات وجانب مرونة في المثال الواحد :**

أ - الشورى :

يتمثل الثبات في مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ ٤ وقوله تعالى: ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

٥. ففي هذا تأصيل لمبدأ الشورى الذي لا يجوز لحاكم ولا مجتمع أن يتخلى عنه، وتمثل المرونة في عدم تحديد شكل معين للشورى يلتزم به الناس جميعاً في كل زمان ومكان، فيتضرر المجتمع بهذا التقييد إلا بدي إذا تغيرت الظروف بتغير البيئات والأعصار. وفي هذا يقول سيد قطب يرحمه الله: ( وبهذا النص الجازم يقرر الإسلام هذا المبدأ في نظام الحكم حتى ومحمد رسول

١ القرطبي، د. يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ط ١٠، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٢١٦ وما بعدها بتصرف يسير.

٢ مرجع سابق، سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص ٨٥.

٣ مرجع سابق، يوسف القرطبي، الخصائص العامة للإسلام، ص ٢١٩ بتصرف يسير.

٤ سورة الشورى آية ٣٨.

٥ سورة آل عمران آية ١٥٩.



الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يتولاه وهو نص قاطع لا يدع للأمة المسلمة شكاً في أن الشورى مبدأ أساسي لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه، أما شكل الشورى والوسيلة التي تتحقق بها فهذه أمور قابلة للتحوير والتطوير وفق أوضاع الأمة وملازمات حياتها) ١ .

ب - العدل :

يتمثل الثبات في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ ٢ وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ٣

فأوجب القرآن الكريم هنا التقييد بالعدل والالتزام بكل ما أنزل الله، والحذر من اتباع الأهواء وكل هذا مما لا مجال للتساهل فيه، فهو يمثل جانب الثبات قطعاً في مجال الحكم والقضاء، وتمثل المرونة في عدم الالتزام بشكل معين للقضاء والتقاضي، فهذا أمر متروك للظروف والمقتضيات.

وإذا تأملنا في السنة المطهرة وجدناها حافلة بشتى الأمثلة والدلائل التي يتمثل فيها الثبات والمرونة جنباً إلى جنب ومن ذلك:

أ - المساواة أمام القانون :

يتمثل الثبات في موقفه صلى الله عليه وسلم من القرشية المخزومية التي سرقت ومحاولة قريش تخليصها من العقوبة عن طريق الوساطة والشفاعة، وتوسلهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بحبه وابن حبه أسامة بن زيد وغضبه صلى الله عليه وسلم في ذلك وقيامه بينهم خطيباً: ((إنما أهلك من كان قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو سرق فاطمة بنت محمد لقطعت يدها)) ٤ .

ويتمثل جانب المرونة في قوله صلى الله عليه وسلم: ((أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا

الحدود)) ٥

١ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ١/ ٥٠١

٢ سورة النساء آية ٥٨.

٣ سورة المائدة آية ٤٩.

٤ صحيح البخاري ٢/ ٢٤٩١، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، حديث رقم ٦٤٠٦، صحيح مسلم ٣/ ١٣١٥، كتاب

الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، حديث رقم ١٦٨٨.

٥ سنن أبي داود ٤/ ١٣٣، كتاب الحدود، باب في الحد يشفع فيه، برقم ٤٣٧٥، حديث صحيح، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٢/ ٢٣١، رقم

٦٣٨.

قال الألباني معلقاً على هذا الحديث : (( وذووا الهيئات الذين يقولون عثرأهم : الذين ليسوا يعرفون بالشر، فيزل أحدهم الزلة. ويستفاد منه جواز الشفاعة فيما يقتضي التعزير، ويدخل فيه سائر الأحاديث الواردة في ندب الستر على المسلم، وهي محمولة على ما لم يبلغ الإمام ))<sup>١</sup>

ب- عدم التنازل عن الأمور الكبرى مقابل التنازل عن الوسائل الصغرى :  
ويتمثل الثبات والمرونة معاً في موقفه صلى الله عليه وسلم من وفد ثقيف وقد عرضوا عليه أن يدخلوا في الإسلام ولكنهم سألوه : ( أن يدع لهم الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى رسول الله صل الله عليه وسلم ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة، ويأبى عليهم حتى سألوا شهراً واحداً بعد مقدمهم، فأبى عليهم، وسألوه أن يعفيهم من الصلاة وألا يكسروا أوثانهم بأيديهم فقال رسول الله عليه وسلم: أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه ) ٢ .

وهكذا نلاحظ ثبات رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر المقاصد الكبرى؛ حيث رفض التسامح في هدم اللات، وكذلك ترك الصلاة، ونلاحظ مرونته صلى الله عليه وسلم في الجزئيات وطريقة التنفيذ؛ فقد رضي أن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم. فهو إذاً لم يتسامح في المبدأ وإنما في طريقة التنفيذ.

وهكذا بعد هذه الجولة في بيان خصائص وسمات المنهج القرآني، يتبين لنا قيمة هذا المنهج، وأهميته، وأن فيه الخلاص من كل ما تعانیه البشرية، في كل زمان ومكان..

<sup>١</sup> مرجع سابق، الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٢٣١.

٢ السهيلي، الإمام عبد الرحمن، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ٧/٤١٦ - ٤١٧، وكان مقدم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان من العام التاسع الهجري.

## المبحث الثاني: الصفات والأعمال الواقية من فتنة الحياة الدنيا كما وردت في القرآن الكريم.

إن من يقرأ كتاب الله عز وجل تمر به مواضع قد اجتمعت فيها أوصاف كريمة وخصال لطيفة هي أعمال مفروضة أو آداب محمودة يقتضيها الإيمان الذي هو اعتقاد وقول وعمل يحقق بها المسلم رضى ربه سبحانه وتعالى وتوضح لنا علاقته بدنياه وأنه اتخذها معبراً للآخرة فقام فيها بما يحبه الله ويرتضيه سبحانه وتعالى . ومن هذه الصفات :

### أولاً : الصفات الإيمانية : وتشتمل الآتي :

#### ١ - توحيد الله وعدم الإشراك به عز وجل :

إن توحيد الله عز وجل هو أساس دعوة جميع الرسل، فما من نبي إلا قال لقومه : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>١</sup> ، ولهذا نجد أن أول ما يدخل الإنسان به في الإسلام هو شهادة التوحيد، وهو أول ما يخرج به من الدنيا، لقوله صلى الله عليه وسلم : (( من كان آخر كلامه لا إله إلا الله : دخل الجنة ))<sup>٢</sup>. ويذكر لنا الشيخ ابن السعدي فضائل التوحيد وثمراته فيقول : ( وليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة والفضائل المتنوعة مثل التوحيد فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله ومنها :

- ١ - مغفرة الذنوب وتكفيرها .
- ٢ - أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوباتهما.
- ٣ - يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.
- ٤ - يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة.
- ٥ - أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه .
- ٦ - أن أسعد الناس بشفاعه محمد صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه.
- ٧ - أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد.

١ سورة الأعراف آية ٥٩.

٢ سنن أبو داود ١٩٠/٣، كتاب الجنائز، باب في التلقين، برقم ٣١١٦، مسند الإمام أحمد ٢٣٣/٥، برقم ٢٢٠٨٧، المعجم الكبير ١١٢/٢٠، برقم

٢٢١، حديث صحيح انظر : صحيح سنن أبي داود للألباني ٦٠٢/٢، برقم ٢٦٧٣.

٨ - يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات؛ فالمخلص لله في توحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي لما يخشى من سخطه وعقابه.

وغير ذلك من الفضائل العظيمة .))<sup>١</sup>

ولله عز وجل صفات كمال ليست لغيره، فهو وحده المستحق للعبادة دون سواه. والشرك أعظم الذنوب بل هو ذنب قد حُرِّم صاحبه المغفرة وحيل بينه وبين الجنة لما اتخذ الله شريكاً. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾<sup>٢</sup>.

يقول الشيخ ابن سعدي: ( والشرك المنافي للتوحيد كل المنافاة نوعان : شرك أكبر جلي، وشرك أصغر خفي، فأما الشرك الأكبر فهو أن يجعل لله نداً يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه أو يرجوه أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة، فهذا الشرك لا يبقى مع صاحبه من التوحيد شيء. وأما الشرك الأصغر فهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة، كالحلف بغير الله ويسير الرياء، ونحو ذلك فإذا كان الشرك ينافي التوحيد ويوجب دخول النار والخلود فيها وحرمان الجنة إذا كان أكبر، وأنه لا تتحقق السعادة إلا بالسلامة منه كان حقاً على العبد أن يخاف منه ويسعى في الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه ويسأل الله العافية، وأن يجتهد في تنمية الإخلاص الذي يدفع الشرك الأكبر والأصغر<sup>٣</sup>

فعلى من يريد أن يدخل ضمن عباد الرحمن الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾<sup>٤</sup>، أن يخلص لله في توحيده ولا يتعلق قلبه بغير الله، مهما كان السبب.

## ٢ - الإيمان بالغيب :

الإيمان الصحيح متى استقر في القلب لا بد أن تظهر آثاره في السلوك، ونجد كثيراً من الذين يقولون إنهم مؤمنون بالغيب، ولكنه قول بلا مدلول فلا يظهر في سلوكهم أي تغيير. وحتى نقف على حقيقة هذا الأمر لا بد أن نعرف ما هو الغيب : عن ابن عباس وابن مسعود: (( الغيب ما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار وما ذكر في القرآن )) وعن عبد الرحمن بن يزيد قال : (( كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً ، فذكرنا أصحاب النبي صلى الله عليه

<sup>١</sup> السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، العقيدة الإسلامية، ط٢، مركز صالح بن صالح الثقافي، عبيدة، ١٤٢١هـ - ١٩٩٢م، ص١٢ - ١٣ بتصرف.

<sup>٢</sup> سورة النساء آية ٤٨.

<sup>٣</sup> مرجع سابق، السعدي، العقيدة الإسلامية، ص١٤ - ١٥ بتصرف.

<sup>٤</sup> سورة الفرقان آية ٦٨.

وسلم وما سبقونا به، فقال عبدالله : إن أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بيناً لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمان غيب ثم قرأ (( الذين يؤمنون بالغيب — إلى قوله — المفلحون )) ١ .

والغيب المطلوب الإيمان به كالإيمان بالرسول والكتب والمعجزات وخلق السموات والأرض وهذه من الأمور الماضية فهي غيب ولم نشهدها، وكذلك الإيمان بالأجل والرزق والقضاء والقدر والملائكة وهذه من الأمور الحياتية اليومية الحاضرة، والإيمان بالبرزخ والبعث والحساب والنار مما لم يأت بعد من الأمور الغيبية المستقبلية

ويوضح ذلك الطبري بقوله : ( عن قتادة في قوله تعالى (( الذين يؤمنون بالغيب .. )) قال : آمنوا بالجنة والنار والبعث بعد الموت ويوم القيامة وكل هذا غيب. وعن الربيع بن أنس : آمنوا بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه وآمنوا بالحياة بعد الموت فهذا كله غيب. والمؤمنون بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل من قبله هو الإيمان بالغيب )<sup>٢</sup>

فالإيمان بكتابة الأعمال مثلاً يجعل المؤمن في حذر مستمر وتيقظ تام، فلا ينخدع بزينة الحياة الدنيا، ولا يغرر بكثرة ماله، أو غير ذلك من المتع ولا يقع فيما حرم الله، بل يستخدمه في طاعة الله عز وجل، والإيمان باليوم الآخر ذلك اليوم العظيم، الذي يترقبه العبد لأن الأصل في سعي العبد تَرَقُّبُ الآخرة، والمؤمن يعمل للآخرة وبتربتها بيقين تام في حصولها، ومن أيقن بذلك قام بالاستعداد لذلك اليوم بإصلاح الدنيا والدين، وأحسن المعاملة مع الله ومع العباد رجاء النفع في ذلك اليوم.

وقد ثبت أن الحساب يوم القيامة موعود من الله عز وجل لجميع خلقه لذا ينقسم الناس يومها إلى عدة أصناف :

أ الذين يدخلون الجنة بغير حساب : (( عرضت علي الأمم فأجد النبي يمر ومعه الأمة والنبي يمر معه النفر والنبي يمر معه العشرة والنبي يمر معه الخمسة والنبي يمر وحده فنظرت فإذا سواد كثير قلت يا جبريل هؤلاء أمي قال لا ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير قال هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب قلت ولم قال كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام إليه عكاشة بن محصن فقال ادع الله أن

١ مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٢/١ بتصرف.

٢ مرجع سابق، الطبري، جامع البيان ٧٨/١ — ٧٩ بتصرف

يجعلني منهم قال اللهم اجعله منهم ثم قام إليه رجل آخر قال ادع الله أن يجعلني منهم قال  
سبقك بما عكاشة))<sup>١</sup>

ب الذين يحاسبون حساباً يسيراً : وهم أهل اليمين قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ

﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾<sup>٢</sup> .

وفي تفسير الآية يقول السعدي يرحمه الله : ( وهو العرض اليسير على الله فيقرره بذنوبه حتى إذا  
ظن العبد أنه قد هلك قال الله تعالى له : إني قد سترتها عليك في الدنيا فأنا أسترها لك اليوم )<sup>٣</sup> قال  
صلى الله عليه وسلم : (( يُدْنِي الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عِزًّا وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيَقْرُرُهُ  
بِذُنُوبِهِ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُ فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ أَعْرِفُ قَالَ فَإِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ  
الْيَوْمَ فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ  
كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ ))<sup>٤</sup> .

ج الذين يحاسبون حساباً عسيراً : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرِيْبَةٍ عَنَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا

شَدِيدًا وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا ثُكْرًا ﴾<sup>٥</sup> . أي أن الله تعالى يخبر ( عن إهلاكه الأمم العاتية والقرون

المكذبة للرسول أن كثرتهم وقوتهم لم تنفعهم شيئاً حين جاءهم الحساب الشديد والعذاب  
الأليم)<sup>٦</sup> ويدل على شدة الحساب يوم القيامة حديث المفلس حيث قال صلى الله عليه وسلم  
: (( أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال صلى الله عليه  
وسلم : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا ،  
وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا  
من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ، ثم  
طرح في النار ))<sup>٧</sup> .

<sup>١</sup> صحيح البخاري ٢٣٩٦/٥ ، كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، برقم ٦١٧٥ ، صحيح مسلم ١/١٩٨ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل  
على دخول طوائف من المسلمين الجنة بدون حساب ، برقم ٢١٧ .

<sup>٢</sup> سورة الانشقاق آية ٧ - ٨ .

<sup>٣</sup> مرجع سابق ، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٩١٧ .

<sup>٤</sup> صحيح البخاري ٢٧٢٩/٦ ، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، برقم ٧٠٧٦ ، صحيح مسلم ٤/٢١٢٠ . كتاب  
التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثرت قتلته ، برقم ٢٧٦٨ ، واللفظ له .

<sup>٥</sup> سورة الطلاق آية ٨ .

<sup>٦</sup> مرجع سابق ، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٨٧٢ .

<sup>٧</sup> صحيح مسلم ٤/١٩٩٧ ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ، برقم ٢٥٨١ .

إن ترقب يوم الحساب والتفطن له يجعل العبد يستصغر العمل الذي يعمل به ويخشى أن لا تكون فيه نجاته : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ ١ .

وهذه الآية يتضح منها شعور المؤمنين الدائم أنهم مقصرون في حق ربهم عز وجل

### ٣ - عدم الخوف من لوم الناس :

وهذه الصفة أيضاً مأخوذة من آية سورة المائدة، فهذه العصبية المؤمنة التي يستبدل الله بها الموجودين، ويمكن لها في الأرض لا تخاف لومة لائم، لقوله تعالى : ﴿يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ ٢، ولم الخوف ؟ ! لأن القيم قد انقلبت في المجتمع، فمن يتصرف وفق شرع الله ، وما يحبه الله ويرضاه، فإنه يلقي اللوم؛ لأنه خالف ما اعتادوه من عرف، أو عادة . وقد أثنى الله عز وجل على هؤلاء القابضين على دينهم، المستمرين على طاعتهم لربهم، ولرسوله صلى الله عليه وسلم أنهم لا يخافون لومة لائم، باقون على العهد مع الله تعالى .

يقول سيد قطب يرحمه الله : ( وفيم الخوف من لوم الناس، وهم قد ضمنوا حب رب الناس؟ وفيم الوقوف عند مألوف الناس، وعرف الجليل، ومتعارف الجاهلية، وهم يتبعون سنة الله، ويعرضون منهج الله للحياة؟ إنما يخشى لوم الناس من يستمد مقاييسه وأحكامه من أهواء الناس؛ ومن يستمد عونه ومدده من عند الناس؛ أما من يرجع إلى موازين الله ومقاييسه وقيمه ليجعلها تسيطر على أهواء الناس وشهواتهم وقيمهم، وأما من يستمد قوته وعزته من قوة الله وعزته، فما يبالي ما يقول الناس وما يفعلون. كائناً هؤلاء الناس ما كانوا؛ وكائناً واقع هؤلاء الناس ما كان، وكائنة حضارة هؤلاء الناس وعلمهم وثقافتهم ما تكون !

إننا نحسب حساباً لما يقول الناس؛ ولما يفعل الناس؛ ولما يملك الناس؛ ولما يصطلح عليه الناس؛ ولما يتخذ الناس في واقع حياتهم من قيم واعتبارات وموازين .. لأننا نغفل أو نسهو عن الأصل الذي يجب أن نرجع إليه في الوزن والقياس والتقويم .. إنه منهج الله وشريعته وحكمه .. فهو وحده الحق وكل ما خالفه فهو باطل؛ ولو كان في عرف ملايين الملايين ؛ ولو أقرته الأجيال في عشرات القرون ! ) ٣، هذه صفة لمن اختارهم الله، لهم سمات خاصة تجعل لهم طابعاً فريداً، فهم لا يشبهون أحداً، ولا يتشبهون بأحد؛ لأنهم قوم مميزون ..

### ٤ - القنوت لله :

١ سورة آل عمران آية ٣٠ .

٢ سورة المائدة آية ٥٤

٣ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢/٢٩٢٠ بتصرف.

صفة من الصفات التي تدل على مدى صلة صاحبها بربه عز وجل، وهي دليل كمال الإيمان، وبالتالي طريق يوصل إلى الجنة، وعندما وصف سبحانه عباده المؤمنين قال تعالى: ﴿الْصَّادِقِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُنَفِقَاتِ وَالْمُتَكَبِّرِينَ﴾<sup>١</sup>، وقد عرفه الشيخ ابن السعدي بقوله: (( هو دوام الطاعة مع مصاحبة الخشوع والخضوع ))<sup>٢</sup>، فهو المحرك لأداء الأعمال في أوقاتها المعلومة واستباق الخير.

و عندما وصف الله سبحانه إبراهيم عليه السلام قال عز وجل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>٣</sup>. وقد اشترطه الله عز وجل على نساء نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾<sup>٤</sup> ونجد أن القنوت من الركائز المهمة لتحسين البيت المسلم:

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾<sup>٥</sup>، وفيها يقول سيد قطب يرحمه الله: ( فمن طبيعة المؤمنة الصالحة، ومن صفتها الملازمة لها بحكم إيمانها وصلاحها، أن تكون قانته .. مطيعة . والقنوت : الطاعة عن إرادة وتوجه ورغبة ومحبة، لا عن قسر وإرغام وتفلت، ومن ثم قال : قانتات ولم يقل طائعات؛ لأن مدلول اللفظ الأول نفسي، وظلاله رغبة ندية .. وهذا هو الذي يليق بالسكن والمودة والستر والصيانة بين شطري النفس الواحدة . في المحضن الذي يرضى الناشئة، ويطبعمهم بجوه وأنفاسه وظلاله وإيقاعاته. )<sup>٦</sup>

ما أجمله من اتصال إذا كان برب العزة والجلال، فدوام الاتصال به سبحانه، اتباع لطرق النبيين والصالحين.. والاتصال به عز وجل عن طريق طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، دليل من العبد على إيمانه بالله عز وجل ورضاه به سبحانه، وبالرسول الذي أرسله، وبالدين الذي ارتضاه. ومن هنا وجب على المسلمين أن يلتزموا ما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد قرن الله بين طاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم بل وربطهما بالفلاح في الدنيا والآخرة فقال سبحانه وتعالى :

١ سورة آل عمران آية ١٧.

٢ مرجع سابق، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٢٤.

٣ سورة النحل آية ١٢٠.

٤ سورة الأحزاب آية ٣١.

٥ سورة النساء آية ٣٤.

٦ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ٦٥٢/٢.



﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ ١ .

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ٢ .

﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ ٣ . وطاعة الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم هي أس كل الأعمال، وهي سبيل النجاة في الدنيا والآخرة.

### ثانياً : الصفات التعبدية :

ومن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، القيام بالعبادات، المفروضة، والنوافل التي تزيد القرب من الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولذلك نجد أن هذه الصفة ليست لأي أحد، وإنما هي لأصحاب النفوس التي تحشع لله بكثرة الأعمال التعبدية فلا يملون من الصلاة والصيام والذكر والدعاء بل يستزيدون من الخير ما استطاعوا إليه سبيلاً، وفيهم قول الله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ ٤ .

وكذلك يفعل العباد من السلف الصالح :

فهذا بقي بن مخلد<sup>٥</sup> ( كان إذا صلى الصبح قرأ حزبه من القرآن في المصحف سدس القرآن وكان يختم القرآن في الصلاة في كل يوم وليلة ويخرج كل ليلة في الثلث الأخير إلى مسجده فيختم قرب انصداع الفجر وكان يصلي بعد حزبه من المصحف صلاة طويلة جداً ثم ينقلب إلى داره وقد اجتمع في مسجده الطلبة فيجدد الوضوء ويخرج إليهم فإذا انقضت الدروس صار إلى صومعة المسجد فيصلي إلى الظهر ثم يكون هو المبتدئ بالأذان ثم يهبط ثم يُسمع إلى العصر ويصلي ويُسمع وربما خرج في بقية النهار فيقعد بين القبور ويبكي ويعتبر فإذا غربت الشمس أتى مسجده ثم يصلي ويرجع إلى بيته فيفطر وكان يسرد الصوم إلا يوم الجمعة ويخرج من المسجد فيخرج إليه جيرانه فيتكلم معهم في دينهم ودنياهم ثم يصلي العشاء ويدخل بيته فيحدث أهله ثم ينام نومة قد أخذتها نفسه ثم يقوم هذا دأبه إلى أن توفي ... ) ٦

١ سورة النساء آية ١٣ .

٢ سورة الأحزاب آية ٧١ .

٣ سورة النساء آية ٨٠ .

٤ سورة الزمر آية ٩ .

<sup>٥</sup> بقي بن مخلد بن يزيد، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن الأندلسي القرطبي، الحافظ، صاحب التفسير والمسند اللذان لا نظير لهما، كان أول من كثّر الحديث بالأندلس ونشره، وكان من عقلاء الناس وأفاضلهم، توفي سنة ست وسبعين ومئتين. انظر : مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٨٥/١٣ - ٢٩٦ بتصرف.

٦ مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٩٥/١٣ .

## والعبادات أنواع كثيرة منها : ١ - إقامة الصلاة :

الصلاة من أعظم أركان الإسلام، فهي تأتي بعد الشهادتين مباشرة، وهي الصلة بين العبد وربّه، وقد فرضت في السماء السابعة حينما عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم.

والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى : ﴿ أَتَلُمَا مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

١، يقول سيد قطب يرحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة : ( حين تقام الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهي اتصال بالله ينجل صاحبه ويستحي أن يصطحب معه كبائر الذنوب وفواحشها ليلقى الله بها، وهي تطهر وتجرد لا يتسق معها دنس الفحشاء والمنكر وثقلتهما. وما أقام الصلاة كما هي من فعل الفحشاء إنما أداها أداء ولم يقمها .. و فرق كبير بينهما ، فهي حين تقام ذكر لله . ( ولذكر الله أكبر ) . أكبر إطلاقاً أكبر من كل اندفاع ومن كل نزوع ) ٢ .

على المسلم أن يعتني بها ويحافظ عليها ويديم على إقامتها؛ ففي ذلك حماية له من الوقوع في الشهوات المحرمة.

ويقول سيد قطب في موضع آخر : ( القلب الذي يسجد لله حقاً ويتصل به على مدار الليل والنهار، يستشعر أنه موصول السبب بواجد الوجود، ويجد حياته غاية أعلى من أن تستغرق في الأرض، وحاجات الأرض، ويحس أنه أقوى من المخاليق لأنه موصول بمخالق المخاليق، وهذا كله مصدر قوة للضمير، كما أنه مصدر تخرج وتقوى، وعامل هام من عوامل تربية الشخصية، وجعلها ربانية التصور، ربانية الشعور، ربانية السلوك ) ٣ .

ونلاحظ تكرار ذكر الصلاة في سورة المؤمنون حيث قال تعالى في أول صفات المؤمنين ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿ ثم قال في آخر الصفات : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ؛ والسبب في ذلك يوضحه لنا سيد قطب بقوله : (( ولقد بدأت صفات المؤمنين بالصلاة وختمت بالصلاة للدلالة على عظيم مكانتها في بناء الإيمان، بوصفها أكمل صورة من صور العبادة والتوجه إلى الله )) ٤

١ سورة العنكبوت آية ٤٥ .

٢ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ٥/ ٢٧٣٨ .

٣ المرجع السابق، ١/ ٤٠ .

٤ المرجع السابق، ٤/ ٢٤٥٧ .

وعندما وصف الله عز وجل عباده المؤمنين، لم يكتف بوصفهم بأنهم يقيمون الصلاة فقط، بل أكد أنهم يقيمونها بخشوع، وهذا يؤكد أنهم لا يعتبرونها حملاً ثقیلاً يؤديونه وينتهون منه، لا بل هي راحة لهم ولذا كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وقال: ((يا بلال أرحنا بالصلاة))<sup>١</sup> وللصلاة أركان ظاهرة وركن باطن، وركنها الباطن هو الخشوع بين يدي رب السماوات والأرض. والخشوع كما يقرره صاحب المدارج: (قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل، والجمعية عليه. وأجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب وثمرته على الجوارح وهي تظهره، رأى عمر رضي الله عنه رجلاً طأطأ رقبته في الصلاة فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب)<sup>٢</sup>.

وليس هناك وقت أفضل ليجد المؤمن لذة الخشوع من صلاة الليل، وقيام الليل من أفضل النوافل التي يتقرب المؤمنون بها إلى الله، وقد امتدح الله عز وجل المؤمنين بأنهم: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾<sup>٣</sup> وفيها يقول سيد قطب يرحمه الله: ((فهم الأيقاظ في جنح الليل والناس نيام، المتوجهون إلى ربهم بالاستغفار والاسترحام لا يطعمون الكرى إلا قليلاً، يأنسون برهم في جوف الليل فتجافي جنوبهم عن المضاجع، ويخف بهم التطلع فلا يثقلهم المنام. قال الحسن البصري: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾<sup>٤</sup> كابدوا قيام الليل، فلا ينامون من الليل إلا أقله، ونشطوا فمدوا إلى السحر، حتى كان الاستغفار بسحر.))<sup>٤</sup>

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((... وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل))<sup>٥</sup>.

وكلما زادت صلة العبد بربه، زاد حبه سبحانه له وبذلك حفظه من شياطين الجن والإنس، ومن نفسه التي بين جنبيه.

فإذا وقفوا بين يدي رب العالمين انقطع تفكيرهم عن الدنيا وما فيها بمجرد نطقهم بقول: (الله أكبر)، فهو سبحانه أكبر من كل شواغل الدنيا، وهذا الذي يميز المؤمن الصادق من غيره، فمن صلى بهذه الصورة لا بد أن يظهر ذلك واضحاً في سلوكه وتصرفاته بعد صلاته..

١ مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/٣٦٤، برقم ٢٣١٣٧، حديث صحيح، انظر صحيح سنن أبي دارد للألباني ٣/٩٤٢، برقم ٤١٧٢.

٢ ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، ط (بدون)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ١/٥٢١، بصرف.

٣ سورة الذاريات آية ١٧.

٤ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ٦/٣٣٧٧.

٥ صحيح مسلم ٢/٨٢١، كتاب الصيام، باب فضل صوم يوم الأخم، برقم ١١٦٣.

## ٢ - إيتاء الزكاة والإنفاق في سبيل الله:

الزكاة ركن من أركان الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ١، ولم ترد في القرآن (أقيموا الصلاة) إلا وبعدها (وآتوا الزكاة)، ولن أخوض هنا في مقدارها ونصابها، وغيره من التفاصيل وإنما أحب أن أورد بعض الحكم لفرضيتها: (من الحكم الجليلة للزكاة: — تطهر المزكي من الشح والبخل، وأرجاس الذنوب.

تدرب المسلم على البذل والإنفاق في سبيل الله.  
في أدائها شكر الله على ما أسبغ على المسلم من نعم ظاهرة وباطنة.  
تعالج قلب المؤمن من الطمع في الدنيا والحرص على جمع المال.  
تتمي شخصية الغني، وذلك باستشعاره أنه تغلب على هواه.  
تجلب بين الغني والمجتمع حقيقة المحبة والأخوة، وتحقق التكافل والإخاء.  
تحرر أبناء الأمة من الحسد والبغضاء والشحناء.

تحمي المجتمع من الثالث المخيف: الفقر، والجهل، والمرض) ٢

والزكاة طهارة للقلب والمال (( طهارة للقلب من الشح واستعلاء على حب الذات، وانتصار على وسوسة الشيطان بالفقر، وثقة بما عند الله من العوض والجزاء. وطهارة للمال تجعل ما بقي منه بعدها طيباً حلالاً، لا يتعلق به حق — إلا في حالات الضرورة — ولا تحوم حوله شبهة. وهي صيانة للجماعة من الخلل الذي ينشئه العوز في جانب والترف في جانب، فهي تأمين اجتماعي للأفراد جميعاً، وهي ضمان اجتماعي للعاجزين، وهي وقاية للجماعة من التفكك والانحلال)) ٣.

والإسلام دين يقوم على البذل والعطاء، لذا حث بنيه على تقديم الخير للناس في كل وقت، وشجع المؤمن على أن يقتصد في مطالب نفسه، وأن يسعف المحتاجين والمنكوبين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتِّمَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٤

قال سيد قطب — يرحمه الله — : (( فهم يعترفون ابتداءً بأن المال الذي في أيديهم هو من رزق الله لهم لا من خلق أنفسهم، ومن هذا الاعتراف بنعمة الرزق ينبثق البر بضعاف الخلق، والتضامن بين

١ سورة النور آية ٥٦.

٢ علوان، عبدالله ناصح، أحكام الزكاة على ضوء المذاهب الأربعة، ط٧، دار السلام، القاهرة — مصر، ١٤٢٢هـ — ٢٠٠٢م، ١١٢ — ١١٣ بصرف

يسير.

٣ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ٤/٢٤٥٥.

٤ سورة البقرة آية ٢٧٤.

عيال الخالق، والشعور بالآصرة الإنسانية وبالأخوة البشرية .. وقيمة هذا كله تتجلى في تطهير النفس من الشح، وتركيتها بالبر، وقيمتها أنها ترد الحياة مجال تعاون لا مُعترك تطاحن، وأنها تؤمن العاجز والضعيف والقاصر، وتشعرهم أنهم يعيشون بين قلوب ووجوه ونفوس، لا بين أظافر ومخالب ونيوب . والإنفاق يشمل الزكاة والصدقة، وسائر ما ينفق في وجوه البر. (( ١ .

ونجد أن القرآن الكريم قد قرن النهي عن التبذير بالأمر بالإنفاق على المحتاجين، فالمبذر يضيع المال في شهواته الخاصة، قال تعالى : ﴿وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ بَذِيرًا﴾ ﴿٦٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ٢ ، بالإضافة إلى أن الصدقة والبذل في سبيل الله فرصة لغسل الذنوب والتجاوز عن الخطايا، قال تعالى : ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿٦٧﴾ عَلَيْهِ الْعَيْبُ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٨﴾ ٣ .

والإسلام لا يطلب من المرء أن يحرم نفسه، بل أن يكرم نفسه ثم أهل بيته وذوي رحمه، وسائر الناس حوله، وذلك كله في نطاق القصد الذي لا إسراف فيه، فيصل إلى بر الأمان. فإذا أدينا حق الله تعالى في الزكاة، وقدمنا ما نستطيعه من الصدقات حمانا الله بفضله من فتنة حب المال، والتعلق به.

### ٣ - الذكر :

إن ذكر الله تعالى من الأمور التعبديّة التي حثنا عليها الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، حيث امتدحهم بقوله عز وجل ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٢٥﴾ ٤ وللذكر أنواع كثيرة منها :  
أ - الاستغفار :

رغب الله عز وجل المؤمنين في الاستغفار للخير الجزيل الذي ينال المستغفرين في الدنيا والآخرة، حيث قال تعالى : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ﴿٦٧﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٦٨﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿٦٩﴾ ٥ ، فكل الخيرات تحصل بالاستغفار، ولذا ليس له وقت مخصص، ولكن المؤمن يتحين الأوقات الفاضلة ليزيد الخير، فليست

١ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن ٤٠/١ .

٢ سورة الإسراء آية ٢٦ - ٢٧ .

٣ سورة التغابن آية ١٧ - ١٨ .

٤ سورة الأحزاب آية ٣٥ .

٥ سورة نوح آية ١٠ - ١٢ .

كل الأوقات لها نفس الفضيلة، فقد اصطفى الله عز وجل بعض الأوقات ليُعلي لعباده فيها أجرهم كاصطفائه ليوم الجمعة، وللساعة فيها، ولليلة القدر، ولرمضان، وللثلث الأخير من الليل، ولعشر ذي الحجة، والعشر الأواخر من رمضان، وغيرها، وهنا خص وقت السحر الذي هو: (قيل الصبح) ١، وقيل هو الثلث الأخير من ثلث الليل الأخير. وخصه بالاستغفار دون سائر العبادات ليكون ختام أعمال الليلة من قيام وتهجد وغيره بالاستغفار؛ لأنه أدعى للإنسان أن يغفر له بعد تلك الأعمال المتنوعة الصالحة.

ولقد مدح الله الاستغفار بالأسحار في موضعين الأول هذا من سورة آل عمران والثاني في سورة الذاريات بقوله عن المحسنين: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِذُوا بِاللَّيْلِ إِذَا سَأَلَكُمْ رَبُّكُمْ بِمَا فَعَلَ الْأَيْدِي مِنْ ذُنُوبِكُمْ لَتَهْتَكُنَّ مِنْهُ آيَاتُهُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ٢.

ولقد جاء التأكيد على فضله بفعل يعقوب عليه السلام إذ قال لبيته: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ٣. قال المفسرون: ((أخروهم إلى السحر)) ٤.

وعلى هذا كان فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فعن نافع أن ابن عمر كان يحي الليل صلاة ثم يقول: ((يا نافع أسحرنا؟ فيقول لا فيعاود الصلاة فإذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصبح)) ٥.

عن جعفر بن محمد قال: ((من صلى من الليل ثم استغفر في آخر الليل سبعين مرة كتب من المستغفرين بالأسحار)) ٧.

وقال لقمان لابنه: ((يا بني لا يكن الديك أكيس منك يُنادى بالأسحار وأنت نائم)) ٨. والاستغفار مع ترك الذنب، وعدم الإصرار عليه هو الذي يمنع العذاب عن صاحبه، لقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ٩.

٩

١ مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب، ٣٥١/٤ بتصرف..

٢ سورة الذاريات آية ١٨.

٣ سورة يوسف آية ٩٨.

٤ مرجع سابق، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٢٣٧/٢.

٥ مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣/٣٥٥.

٦ جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله الملقب بالصادق، كان من أجلاء التابعين. وله منزلة رفيعة في العلم. ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. انظر: مرجع سابق، الأعلام للزركلي، ١٢٦/٢.

٧ مرجع سابق، الطبري، جامع البيان ٣/١٣٩.

٨ مرجع سابق، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ١٤٨/١.

٩ سورة الأنفال آية ٣٣.

فلنكثر من الاستغفار، خاصة بالأسحار، لتشملنا هذه الصفة، مع المؤمنين الأبرار.

## ب - الحمد :

إن نعم الله على العبد لا تعد ولا تحصى، وقد أرشدنا سبحانه وتعالى إلى ما يوازي هذه النعم بأن نحمده ونثني عليه سبحانه.

( وحمد الله مطلوب في عدة مواضع :

١ - يستحب البدء بالحمد لله لكل مصنف، ودارس، ومدرس، وخطيب، وخاطب، وبين يدي سائر الأمور المهمة<sup>١</sup>.

٢ - ويستحب الحمد لله بعد الفراغ من الطعام والشراب، لقوله صلى الله عليه وسلم : (( إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها ))<sup>٢</sup>.

٣ - ويستحب الحمد لله عند العطاس، وعند خطبة المرأة، وكذا عقد النكاح، وبعد الخروج من الخلاء.

٤ - وحمد الله تعالى ركن في خطبة الجمعة وغيرها ولا يصح شيء منها إلا به.

٥ - يستحب أن يختم دعاءه بالحمد لله رب العالمين، وكذلك يبتدئه بالحمد لله.

٦ - يستحب حمد الله تعالى عند حصول نعمة أو اندفاع مكروه، سواء حصل ذلك لنفسه أو لصاحبه أو للمسلمين. وكذلك فعل سليمان عليه السلام لما رأى عرش ملكة سبأ بين يديه قال : ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ ﴾<sup>٣</sup>

٧ - ويستحب الحمد لله عند البلاء فإنه لا يحمد على مكروه إلا الله قال صلى الله عليه وسلم :

(( إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم فيقول : قبضتم

ثمرة فؤاده؟ فيقولون : نعم فيقول : ما ذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع فيقول الله تعالى

<sup>١</sup> أما الحديث الذي يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد فهو أقطع )) فهو حديث ضعيف، انظر ضعيف

سنن ابن ماجه للألباني ، ص ١٤٦ ، برقم ٤١٥ . أحببت التنويه على ذلك لاشتهاره بين الناس .

٢ صحيح مسلم ٢٠٩٥/٤ ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب ، برقم ٢٧٣٤ .

٣ سورة النمل آية ٤٠ .

: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد)) (١) ٢

فالحمد والشكر لله عز وجل دليل على اعتراف العبد بنعم ربه عليه، ثم هو يحمده عز وجل في جميع الحالات، في السراء شكراً على ظاهر النعمة، وفي الضراء يكون الحمد إدراكاً من العبد برحمة الله عز وجل بعباده وأنه سبحانه لا يريد بهم إلا الخير مهما خفي على العبد ولم يدركه.

### ج - التسبيح :

التسبيح من أهم أنواع القرب لله عز وجل، وهو من الذكر المضاعف، كما ورد في الحديث عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال : (( ما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟ قالت : نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات ولو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته )) ٣ هذه الطريقة التي دلنا عليها صلى الله عليه وسلم تخفيفاً علينا وتكثيراً لأجورنا من غير تعب ولا مشقة. كلمات قصيرة جامعة يكتب الله بها ثواباً لا يحصى.

### د - الخشية من الله عز وجل :

هذه صفة تبين الحس المرهف عند المؤمن، فهو يخاف من ربه وبذلك فهو على مراقبة دائمة له، فلا يعمل عملاً إلا ويستحضر مراقبة الله له، وحضوره معه، فإذا هم بمعصية وجل قلبه عندما يذكر رؤية الله عز وجل له، ومراقبته له فيستحي من ربه ويرجع عنها، وقد يكون الوجل لإحساسهم بالتقصير في حق الله ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ٤ ، لذا لما نزلت قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله في هذه الآية ( والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ) يا رسول الله هو الذي يسرق ويزني ويشرب

١ سنن الترمذي ٣/٣٤١، كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب، برقم ١٠٢١، وقال حديث حسن، صحيح ابن حبان ٧/٢١٠، كتاب الجنائز، باب ذكر بناء الله جل وعلا بيت الحمد في الجنة لمن استرجع وحمد الله عند فقد ولده، برقم ٢٩٤٨، حديث حسن، انظر : صحيح سنن الترمذي ١/٢٩٨، برقم ٨١٤.

٢ النووي، الإمام الحافظ شيخ الإسلام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف، الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم، ط (بدون)، مكتبة الجمهورية العربية، مصر، ١٠٣ - ١٠٥ ص بتصرف.

٣ صحيح مسلم ٤/٢٠٩٠، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، برقم ٢٦٢٧.

٤ سورة المؤمنون آية ٥٧ - ٦٠.



الخمر وهو يخاف الله؟ قال: (( لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات )) ١ .

والخوف من الله يختلف عن أي خوف، فأنت إذا خفت من أي شيء هربت منه، ولكنك كلما خفت من الله تقربت منه، ولذت به سبحانه .

والمؤمن إذا ذُكر بالله في موطن المعصية كف عنها ورجع إلى إيمانه ويقينه وذلك حين يقال له اتق الله والمنافق إذ ذكر بالله في موطن العصيان أخذته العزة بالإثم، وذلك في قصة الثلاثة الذين أغلق عليهم الغار فإن أحدهم طلب من ابنة عمه التي أحبها أن تمكته من نفسها، ففعلت وها هو يحكي ويقول :

( فلما وقعت بين رجليها قالت يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه ففقت عنها .. ) ٢

والمسلم يخشى ربه، حين يقع فيما حرمه تعالى، فيكون عرضة لسخطه وعقابه. لذا نجد أن خشية الله تعني: الرهبة من سخطه وعقابه وناره وأخذه لمن تطاول على محارمه.

قال ابن تيمية: (( الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله )) ٣ .

وأفضل الخشية ما كانت في حال العبد في الظاهر والباطن فذلك الخير كله قال سبحانه

وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ ٤ .

ونحن نلاحظ أن آثار الخشية تظهر في سلوك الفرد؛ فتراه يعمد إلى فعل الفرائض

والطاعات، ويمتنع عن المعاصي والمحرمات.

ولقد تنوع التعبير عن الخشية في القرآن على خمسة ألفاظ : الخوف والرهبة والإشفاق

والوجل والهيبة؛ ولكل واحد منها معنى يسند بعضه بعضاً قال ابن القيم يرحمه الله : ( والوجل

والخوف والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة قال أبو القاسم الجنيد : ( الخوف توقع

العقوبة على مجاري الأنفاس..

١ سنن الترمذي ٣٢٧/٥، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة المؤمنون، برقم ٣١٧٥، مسند الإمام أحمد بن حنبل

٢٠٥/٦، برقم ٢٥٧٤٦، حديث صحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٣٠٤/١، برقم ١٦٢ .

٢ صحيح مسلم ٢٠٩٩/٤، كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، برقم ٢٧٤٣ .

٣ مرجع سابق، ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ٥١٤/١ .

٤ سورة الملك آية ١٢ .

٥ الجنيد بن محمد بن الجنيد البهاونديشم البغدادي القواريري، والده الخزار. هو شيخ الصوفية، ولد سنة نيف وعشرين ومئتين، وتفقه على أبي ثور، وصحب الحارث الخاسبي، كان نقش خاتمه : إن كنت تأملهُ فلا تأمُنهُ. انظر مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦٦ / ١٤ - ٧٠ بتصرف.

والخشية أخص من الخوف فإنها للعلماء بالله قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ١ . وأما الرهبة فهي الإمعان في الهرب من المكروه وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه ..

وأما الوجل فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يُخاف سلطانه وعقوبته أو لرؤيته .  
وأما الهيبة فخوف مقارن للتعظيم والإجلال وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة ..  
فالخوف لعامة المؤمنين ، والخشية للعلماء العارفين ، والهيبة للمحبين ، والإجلال للمقربين .  
والخشية تتمثل في قول النبي صلى الله عليه وسلم : (( لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً )) (٢) ٣ .

نجد أن الخوف مفيد في حمل المرء على الصبر عن المعاصي والبعد عنها وبالتالي البقاء على الإيمان وحفظه لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

## ٥ - التوكل على الله عز وجل :

من تمام توحيد العبد توكله على الله عز وجل ، لأن اعتماده عليه وحده ، وإن أخذ بالأسباب فهو لا يتعلق بها وإنما بالله عز وجل ؛ لأن الله سبحانه وتعالى بيده مقاليد السموات والأرض ، متصرف في كل شيء ، ومن هنا فرض الله على عباده أن يعتمدوا عليه ويتوكلوا عليه : فقال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ ٤ .

( والتوكل على الله هو الثقة به والاعتماد عليه وتفويض الأمر إليه والاستعانة به في كل شأن والإيقان بأن قضاءه نافذ مع السعي فيما لا بد منه من مطعم وملبس ومسكن والتحرز من العدو ، كما فعله الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ) ٥ .

وللتوكل درجات ذكرها صاحب المدارج فقال : ( وحقيقة الأمر أن التوكل حال مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها :

١ - معرفة بالرب وصفاته : من قدرته ، وكفايته ، وانتهاء الأمور إلى علمه وصدورها عن مشيئته .

٢ - إثبات في الأسباب والمسببات . ومن تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب ، وقطع علاقة القلب بها ، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها ، وحال بدنه قيامه بها .

١ سورة فاطر آية ٢٨ .

٢ صحيح البخاري ٢٣٧٩/٥ ، كتاب الرقاق ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم ، برقم ٦١٢٠ ،

٣ مرجع سابق ، ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ١/٥١٢ - ٥١٣ بتصرف .

٤ سورة الفرقان آية ٥٨ .

٥ سابق ، السيد ، إسلامنا ، ط (بدون) ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ص ٤٧ .

٣ - رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل. فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيدده.  
بل حقيقة التوكل : توحيد القلب.

٤ - اعتماد القلب على الله، واستناده إليه، وسكونه إليه. كما قال بعض العارفين : المتوكل كالطفل لا يعرف شيئاً يأوي إليه إلا ثدي أمه، كذلك المتوكل لا يأوي إلا إلى ربه سبحانه.

٥ - حسن الظن بالله عز وجل. فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له، يكون توكلك عليه .  
٦ - استسلام القلب له، وانجذاب دواعيه كلها إليه، وقطع منازعته.

٧ - التفتويض. وهو روح التوكل ولبه وحقيقته، وهو إلقاء أموره كلها إلى الله، وإنزالها به طلباً واختياراً، لا كرهاً واضطراراً.

وثمره التوكل : الرضى، ومن فسر التوكل بها، فإنما فسره بأعظم ثمراته، وأجل فوائده، فإن العبد إذا توكل حق التوكل رضى بما يفعله وكيهه<sup>١</sup>.

وإذا رضى العبد بما قدره له مولاه سبحانه وتعالى عاش سعيداً هانئاً، ويكفيه عزاً وفخراً حب الله عز وجل له فقد قال تعالى : ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِيَن ت لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِن حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ

٢ ﴿١٥٩﴾

## ٦ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، من صفات المؤمنين الصادقين، يقول تعالى : ﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

٣، وعلى نقيضهم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى : ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ

بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ

٤، فقد عرف المؤمنون ربهم فاستجابوا لأمره، وانقادوا لحكمه،

وهو من مقومات الجماعة الإسلامية الذي يحافظ عليها، ( وهو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وفشت الضلالة، واستشرى الفساد، وهلك العباد. )<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> مرجع سابق، ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ١١٤/١ - ١٢٢ بتصرف.

٢ سورة آل عمران آية ١٥٩

٣ سورة آل عمران آية ١٠٤.

٤ سورة التوبة آية ٦٧.

<sup>٥</sup> مرجع سابق، الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين ٣٠٦/٢ بتصرف.

وفضله في كتاب الله واضح جلي : قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ١ .  
وقال صلى الله عليه وسلم : (( من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلمه وذلك أضعف الإيمان )) ٢ .

إن التواصي بالحق إذا ساد في مجتمع، أمن المجتمع وشعر أفرادها بالطمأنينة، ولأن الإنسان معرض للمصائب والأكدار، فإن التواصي بالصبر يؤدي أن يشد أفراد المجتمع بعضهم أزر بعض، وبهذا يقوى المجتمع ويتألف أفرادها، ويتعاونوا على البر والتقوى وما فيه صلاحهم، فيندفع عنهم الشر، ويزول الخطر قال تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ ٣  
( إن سورة العصر تحدد للإنسان شخصيتين :

الأولى : شخصية مستقلة بما يخاطب، وبها يكلف.  
والثانية : شخصية اجتماعية بما يكون لبنة في بناء المجتمع الذي يعيش فيه.  
فالأولى تسمو وترتقي وتقوى بالإيمان الذي يحدد لها منهج السلوك التطبيقي في الحياة ، و يكون لها قواعد الأخلاق التي يجب أن يسير عليها .

والثانية تتكون وتظهر بمساهمة الفرد مع إخوانه المؤمنين في بناء المجتمع الذي يعيش فيه، ويتم ذلك بالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، الذي يعود بالخير والصلاح على الفرد والأسرة والمجتمع ويصور هذا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : (( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً )) ٤ .  
وقال صلى الله عليه وسلم : (( والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه )) ٥ .

والأمة التي يعين فيها قوتها ضعيفها، وغنيها فقيرها، وسليمها مريضها، وعالمها جاهلها، هي أقوى الأمم، وهي أمة متماسكة لا يستطيع عدوها أن ينال منها شيئاً، أو يسلبها حريتها أو كرامتها أو أرضها أو مقدساتها أو ثرواتها أو خيراتها ) ٦ .

١ سورة آل عمران ١١٠ .

٢ صحيح مسلم ٦٩/١، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، برقم ٤٩ .

٣ سورة العصر آية ٣ .

٤ صحيح البخاري ١٨٢/١، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، برقم ٤٦٧، صحيح مسلم ١٩٩٩/٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم ٢٥٨٥ واللفظ له.

٥ صحيح مسلم ٢٠٧٤/٤، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، برقم ٢٦٩٩ .

٦ عمير، محمد محمود، المؤمنون كما وصفهم الله في القرآن الكريم، ط (بدون)، دار الطباعة، القاهرة، ص ٢١٥ — ص ٢١٦ بتصرف.

إن التواصي بالحق والتواصي بالصبر ضرورة، لأن المعوقات عن التزام الحق كثيرة، على رأسها هوى النفس، وحب المصلحة، والصبر عن ذلك عسير، فإذا قام كل منا بواجب النصح وأخذنا بأيدي بعضنا للتحقق انتصرنا على ما في النفس من هوى، وعلى غيرها من المعوقات، فالإنسان وحده ضعيف، وبإخوانه قوي. إن التآخي في دين الله، من أصفى ألوان المحبة وأصدقها، وأدومها؛ لأنه مبني على حب الله تعالى، والأخوة الإيمانية من أبرز الطرق التي سلكها المؤمنون في تربية النفوس. وهذا هو شيخ التابعين الإمام الحسن البصري يرحمه الله يقول: ((إن المؤمن شعبة من المؤمن، إن به حاجته، إن به علته، إنه يفرح لفرحه، ويجزن لجزنه، وهو مرآة أخيه إن رأى منه ما لا يعجبه سدده وقومه ووجهه، وحاطه، وحفظه في السر والعلانية)) ١

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ٢ .  
ذكر الله سبحانه وتعالى الأخوة في الدين على أنها أمر طبيعي من مستلزمات الإيمان، فأنت تحب في أخيك المؤمن إيمانه، وعبادته، وطاعته لربه، واستسلامه لخالقه، وسلوكه في سبيل الله تعالى.

وبهذا تكون الأخوة في الله رباطاً أبدياً لا يزول بعد موت صاحبه بل يبقى حتى في أشد المواقف قال تعالى: ﴿ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ٣ .

وقد امتن الله سبحانه وتعالى على المؤمنين بأن جعلهم إخواناً متحابين، كما امتن عليهم بأن جعلهم مؤمنين مخلصين. قال تعالى: ﴿ وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ ٤ .

يقول سيد قطب: ( هذه الأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتن الله بها على الجماعة المسلمة الأولى، وهي نعمة يهبها الله لمن يجهم من عباده دائماً. وهو هنا يذكرهم كيف كانوا في الجاهلية أعداء، وما كان أعدى من الأوس والخزرج في المدينة أحد، وهما الحيان العربيان في يثرب، يجاورهما اليهود الذين كانوا يوقدون حول هذه العداوة وينفخون في نارها حتى تأكل روابط الحيين جميعاً، فألف الله بين قلوب الحيين من العرب بالإسلام، وما كان إلا حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحوا بنعمة

١ ابن المبارك، المروزي، الإمام شيخ الإسلام عبد الله، كتاب الزهد ويليهِ كتاب الرقائق، حققه وعلق عليه الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، ط(بدون)،

دار الكتب العلمية، ص ٢٣٢ بتصرف يسير.

٢ سورة الحجرات آية ١٠.

٣ سورة الزخرف آية ٦٧.

٤ سورة آل عمران آية ١٠٣.

الله إخواناً، وما يمكن أن يجمع القلوب إلا أخوة في الله، تصغر إلى جانبها الأحقاد التاريخية، والثارات القبلية، والأطماع الشخصية، ويتجمع الصف تحت لواء الله الكبير المتعال<sup>١</sup> وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تأكيد هذا الأمر، وزرع المحبة بين نفوس أصحابه، لأن المحبة إذا انتشرت في مجتمع انتهت بالناس إلى السعادة وزالت عنهم كل مظاهر الشقاء، واستطاعوا القيام بالأمر والنهي بسهولة وبهذا يقل خطر الوقوع في فتن الدنيا.

## ٧- السياحة (( السائحون ... )) :

وتختلف الأقوال فيها، فمنهم من يقول سائحات (( صائمات؛ قاله ابن عباس والحسن وابن جبير ))<sup>٢</sup> ومنهم من يقول إنهم المجاهدون لقوله صلى الله عليه وسلم: ((سياحة أمتي الجهاد))<sup>٣</sup>، وقيل: المنتقلون في طلب العلم، ومنهم وهو النسفي من يقول إنهم: ( طلبية العلم لأنهم يسيحون في الأرض يطلبونه في مظانه، أو السائرون في الأرض للاعتبار )<sup>٤</sup>. فتكون المعاني على النحو التالي :

أ - الصيام : لأن السائح لا زاد معه، وإنما يأكل من حيث يجد الطعام.

ب - الجهاد : لأن المجاهد يسيح في الأرض ويتجول فيها .

ج - المسفر والتجوال في الأرض بقصد التفكير والاعتبار كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا

فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

د - طلب العلم : لأن طالب العلم يسيح في الأرض من بلد إلى بلد .

أما السياحة العامة من أجل المتعة أو اللهو فإنها لا تدخل ضمن هذه المعاني لأنها مما لا يتعبد الله به لذاتها، بل هي من الأمور المباحة في أصلها، فإن قصد بها الحرام حرمت وإن قصد بها الطاعة ندبت وإن لم يقصد بها شيء فهي مباحة كسائر المباحات .

<sup>١</sup> مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ٤٢٢/١ بتصرف يسير.

<sup>٢</sup> مرجع سابق، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٩٣/١٧

<sup>٣</sup> سنن أبي داود ٥/٣، كتاب الجهاد، باب في النهي عن السياحة، برقم ٢٤٨٦، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني ٤٧٢/٢، برقم ٢١٧٢، وهو حديث صحيح.

<sup>٤</sup> مرجع سابق، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ١٤٧/٢.

<sup>٥</sup> سورة العنكبوت آية ٢٠.

والذي أميل إليه قول من قال أنه الصيام، لأنه أقرب معنى إلى موضوع البحث، حيث أن الصيام جنة ووقاية، ثم إنه قول ابن عباس رضي الله عنه الذي دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بالعلم والفقه والتأويل. والله أعلم.

### ثالثاً : الصفات الخلقية :

تعتبر الأخلاق في الإسلام من أهم الأمور التي يبحث عليها القرآن والسنة، لما لها من أثر واضح في المجتمع ، ومن أهم هذه الصفات :

#### ١ - اكتساب محبة الله :

كون العبد يحب الله عز وجل خالقه والمنعم عليه، فهذا أمر ممكن ومعقول، لكن أن يحب الله عبده، فهذه مرتبة عالية، يحرص عليها المؤمن الفطن، ولا تعطى إلا لمن كان من أولياء الله، وحتى يصل العبد لهذه المرتبة هناك شروط اشترطها الله على أوليائه ليستحقوا هذا اللقب، ومن أهم هذه الشروط محبتهم لله سبحانه وتعالى بعد الإيمان العميق به وموالاته، ولهذا يصف عز وجل هؤلاء بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ ۝١ ﴾ ، قدم محبته لهم لأن محبة الله فضل منه على عباده وفضله مقدم على عملهم وتعبدهم.

وفي معنى قوله تعالى : (( يحبهم ويحبونه )) يقول سيد قطب : ( فالحب والرضى المتبادل هو الصلة بينهم وبين ربهم، وحب الله لعبد من عبده أمر لا يقدر على إدراك قيمته إلا من يعرف الله سبحانه بصفاته كما وصف نفسه، وإلا من وجد إيقاع هذه الصفات في حسه ونفسه وشعوره وكيونته كلها. أجل لا يقدر حقيقة هذا العطاء إلا الذي يعرف حقيقة المعطي .. الذي يعرف من هو الله .. من هو صانع الكون الهائل، وصانع الإنسان ، من هو في عظمته، ومن هو في قدرته، ومن هو في تفرده، ومن هو في ملكوته، من هو ومن هذا العبد الذي يتفضل الله عليه منه بالحب .. والعبد من صنع يديه سبحانه وهو الجليل العظيم، الحي الدائم، الأزلي الا بدي، الأول والآخر الظاهر والباطن. وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد لا يدركها كذلك إلا من ذاقها، وإذا كان حب الله لعبد من عبده أمراً هائلاً عظيماً، وفضلاً غامراً جزيلاً، فإن إنعام الله على العبد بهدايته لحبه وتعريفه هذا المذاق الجميل الفريد، الذي لا نظير له في مذاقات الحب كلها ولا شبيه .. هو إنعام هائل عظيم .. وفضل غامر جزيل. وهذا الحب من الجليل للعبد من العبيد، والحب من العبد للمنعم

المتفضل، يشيع في هذا الوجود ويسري في هذا الكون العريض، وينطبع في كل حي وفي كل شيء، فإذا هو جو وظل يغمران هذا الوجود، ويغمران الوجود الإنساني كله ممثلاً في ذلك العبد المحب المحبوب<sup>١</sup> فإذا وصل العبد إلى هذه الدرجة صار من المقربين، ومن أولياء الله وذلك قول الله عز وجل في الحديث القدسي: (( فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ))<sup>٢</sup> ولا يصل العبد لهذه الدرجة إلا بالإيمان والعمل الصالح، ومن مقتضيات الإيمان حب الله عز وجل حباً يفوق كل حب.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( ثلاث من كن فيه وجد بمن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار ))<sup>٣</sup>.

وتأتي محبة العبد لربه وتنمو حين ينظر في نعم الله عليه التي لا تعد ولا تحصى، وقد لخص الجنييد مظاهر حب العبد لربه حين سئل عن ذلك وهو في مكة وكان في مجلس جرت فيه مسألة في المحبة فأطرق رأسه، ودمعت عيناه، ثم قال: (( عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله والله ومع الله ))<sup>٤</sup>

ولا يصل العبد لهذه المحبة الحقيقية إلا بتقديم حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على كل حب، ولهذا قال تعالى: قال الله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾<sup>٥</sup> وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ أُفْتَرَقْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾<sup>٦</sup>. وفي هذه الآية يقول سيد قطب يرحمه الله: ( يأخذ السياق في استعراض ألوان الوشائج والمطامع واللذائذ؛ ليضعها كلها في كفة ويضع العقيدة ومقتضياتها في الكفة الأخرى: الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة )

<sup>١</sup> مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢/٩١٨ بتصرف.

<sup>٢</sup> صحيح البخاري ٥/٢٢٨٤، كتاب الرقاق، باب من جاهد نفسه في طاعة الله، برقم ٦١٣٧.

<sup>٣</sup> صحيح البخاري ١/١٤، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، برقم ١٦، صحيح مسلم ١/٦٦، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بمن وجد حلاوة الإيمان، برقم ٤٣.

<sup>٤</sup> مرجع سابق، ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ٣/١٦.

<sup>٥</sup> سورة البقرة آية ١٦٥.

<sup>٦</sup> سورة التوبة آية ٢٤.



وشيجة الدم والنسب والقرابة والزواج) والأموال والتجارة (مطمع الفطرة ورغبتها) والمساكن المريحة (متاع الحياة ولذتها)، وفي الكفة الأخرى: حب الله ورسوله وحب الجهاد في سبيله.. وما يكلف الله الفئة المؤمنة هذا التكليف إلا وهو يعلم أن فطرتها تطيقه — فالله لا يكلف نفساً إلا وسعها — وإنه لمن رحمة الله بعباده أن أودع فطرتهم هذه الطاقة العالية من التجرد والاحتمال، وأودع فيها الشعور بلذة علوية لذلك التجرد لا تعدلها لذائد الأرض كلها.. لذة الاتصال بالله، ولذة الرجاء في رضوان الله عز وجل) ١ فإذا أراد العبد السعادة والتوفيق وتدبير أموره فعليه بالدليل على صدق حبه لله عز وجل، وهو اتباع أوامره، والانقياد له بالطاعة، وترك التعلق بشهوات الدنيا، بل جعلها معبراً يوصله لخبوبه.

## ٢- الوفاء بالعهد:

إذا أعطى المؤمن عهداً فلا بد أن ينفذه.

والعهود التي يرتبط بها المسلم درجات، أعلاها العهد الذي بين العبد وربّه؛ قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ أُمَّةً مُّسْتَقِيمَةً إِلَّا إِذَا أُتِيَ بِعَهْدٍ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَعْدِ﴾ ٢

فلا تغره شهوات الدنيا ولا تلهيه عن عهده مع ربه عز وجل، وقد امتدح الله المؤمنين بعدة صفات ذكر منها الوفاء بالعهد فقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ٣.

يقول سيد قطب: (( الوفاء بالعهد، إنه سمة الإسلام التي يحرص عليها، ويكررها القرآن كثيراً، ويعدها آية الإيمان، وآية الأدمية، وآية الإحسان. وهي ضرورية لإيجاد جو من الثقة والطمأنينة في علاقات الأفراد وعلاقات الجماعات وعلاقات الأمم والدول. تقوم ابتداء على الوفاء بالعهد مع الله. وبغير هذه السمة يعيش كل فرد فزعاً قلقاً لا يركن إلى وعد، ولا يطمئن إلى عهد، ولا يشق

١ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ١٦١٥/٣ - ١٦١٦ بتصرف.

٢ سورة يس آية ٦٠ - ٦١.

٣ سورة البقرة آية ١٧٧.

بإنسان، ولقد بلغ الإسلام من الوفاء بالعهد لأصدقائه وخصومه على السواء قمة لم تصعد إليها البشرية في تاريخها كله، ولم تصل إليها إلا على حذاء الإسلام وهدى الإسلام<sup>١</sup>.  
ومن نقض عهده ولو مع المشركين يرفع له يوم القيامة لواء قال صلى الله عليه وسلم: (( لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان ))<sup>٢</sup>.  
فمن وفي بعهده مع الناس فمن باب أولى أن يفي مع الله عز وجل فيلتزم بشرعه ويجتنب ما نهى عنه فيكون سياجاً مانعاً له من الوقوع في فتن الدنيا ومغرياتها.

### ٣ - الأمانة:

الأمانة بمعنى حفظ الودائع من أضييق معاني الأمانة، وحقيقة الأمانة في الدين الإسلامي أعظم من ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾<sup>٣</sup>. يقول سيد قطب: (الأمانة تبدأ من الأمانة الكبرى والتي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، وهي أمانة الهداية والإيمان بالله عن قصد وإرادة، فهذه أمانة الفطرة الإنسانية خاصة. ومن هذه الأمانة تنبثق سائر الأمانات التي يأمر الله أن تؤدى: ومن هذه الأمانات: أمانة الشهادة لهذا الدين، الشهادة له في النفس أولاً بمجاهدة النفس حتى تكون ترجمة حية في شعورها وسلوكها، حتى يرى الناس صورة الإيمان في هذه النفس، فيقولوا: ما أطيب هذا الإيمان وأحسنه؛ وهو يصوغ نفوس أصحابه على هذا المثال من الخلق والكمال، فتكون هذه شهادة لهذا الدين في النفس يتأثر بها الآخرون. والشهادة له بدعوة الناس إليه، وبيان فضله بعد تمثيل هذا الفضل في نفسه، ثم الشهادة لهذا الدين بإقراره منهجاً للبشرية جمعاء، ومن الأمانات أمانة التعامل مع الناس ورد أماناتهم إليهم: أمانة المعاملات والودائع المادية، وأمانة النصيحة للراعي والرعية، وأمانة القيام على الأطفال الناشئة، وأمانة المحافظة على حرمان الجماعة وأموالها وثغراتها، وسائر ما يجلوه المنهج الرباني من الواجبات والتكاليف في كل مجالات الحياة على وجه الإجمال، فهذه من الأمانات التي أمر الله أن تؤدى؛ ويجملها النص هذا الإجمال)

ومن معاني الأمانة وضع كل شي في مكانه الصحيح اللائق له، فلا تعطى وظيفة مثلاً إلا لمن يستحقها، ولا نميل لآخر بسبب هوى أو رشوة أو قرابة، فهذه خيانة.  
ومن معاني الأمانة أن يحرص كل فرد على أداء واجبه كاملاً ويخلص في عمله المنوط به.

<sup>١</sup> مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ١/١٦١.

<sup>٢</sup> صحيح البخاري ٣/١١٦٤، كتاب الجهاد والسير، باب إثم الغادر للبر والفاجر، برقم ٣٠١٦، صحيح مسلم ٣/١٣٦٠، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، رقم ١٧٣٦..

<sup>٣</sup> سورة النساء آية ٥٨

<sup>٤</sup> مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢/٦٨٩ بتصرف يسير.

ومن معاني الأمانة ألا يستغل الشخص منصبه أو سلطته للحصول على منفعة لشخصه، أو لقرابته، ومن معاني الأمانة عدم إفشاء أسرار المجالس، قال صلى الله عليه وسلم: (( إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهو أمانة ))<sup>١</sup>. وهي من أعظم تحملات القلوب قال صلى الله عليه وسلم: ((أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال))<sup>٢</sup> لأنها لا تكون أمانة إلا إذا استقرت في الوجدان.

## ٤ - الصبر :

الصبر محمود في جميع الأحوال وهو على أقسام صبر على طاعة الله وصبر عن معصية الله وصبر في قضاء الله. وله عدة حالات لقوله تعالى: ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾<sup>٣</sup> ، والإنسان في ابتداء حياته لا يحتاج إلى الصبر، لذا هو لم يخلق فيه، ولم يطلب منه، يوضح هذه المسألة الإمام الغزالي ويقول: ( إنَّ الإنسان خلق في ابتداء الصبا ناقصاً مثل البهيمة لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه، ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة، ثم شهوة النكاح، وليس له قوة الصبر البتة؛ إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما، وليس في الصبا إلا جند الهوى كما في البهائم ولكن الله تعالى — بفضله وسعة جوده — أكرم بني آدم ورفع درجاتهم عن درجة البهائم وأعطاه نور الهداية، فصار بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة، ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر.

فإذا سمينا هذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها : باعثاً دينياً، وسمينا مطالبة الشهوات بمقتضياتها : باعثاً الهوى، يفهم أن القتال قائم بين باعث الدين وبعث الهوى، والحرب بينهما سجال، ومعركة هذا القتال قلب العبد.

فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة. فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين، وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين. وثبات باعث الدين حالاً تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضاداتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة .<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> سنن أبي داود ٢٦٧/٤، كتاب الأدب، باب في نقل الحديث، برقم ٤٨٦٨، سنن الترمذي ٣٤١/٤، كتاب البر والصلة، باب ما جاء أن المجالس أمانة، برقم ١٩٥٩، حديث حسن، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٨١/٣، برقم ١٠٩٠، بلفظ ( إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة).

<sup>٢</sup> صحيح البخاري ٢٣٨٢/٥، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، برقم ٦١٣٢، صحيح مسلم ١٢٦/١، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب، برقم ١٤٣.

<sup>٣</sup> سورة البقرة آية ١٧٧

<sup>٤</sup> مرجع سابق، الغزالي، إحياء علوم الدين، ٦٢/٤ — ٦٣ بتصرف.

والإنسان يحتاج الصبر ليستطيع مواصلة الطريق، وليصل إلى الإمامة في الدين، فقد قال تعالى

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾<sup>١</sup>

## ٥ - الصدق :

الاستمساك بالصدق وتحريه في كل كبيرة وصغيرة في حياة المسلم، من أهم الدعائم في خلق المسلم، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (( دع ما يريك إلى ما لا يريك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة ))<sup>٢</sup>، وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : (( ما كان خلقاً أبغضَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب، ولقد كان الرجل يحدث عند النبي صلى الله عليه وسلم بالكذبة فما يزال في نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة ))<sup>٣</sup>

والصدق في ثلاثة أمور : القول والعمل والحال، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ

بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾<sup>٤</sup>

وفي توضيح ذلك يقول ابن القيم : ( فالذي جاء بالصدق هو مَنْ شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله . فالصدق يكون في هذه الثلاثة. فالصدق في الأقوال : استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها، والصدق في الأعمال : استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد، والصدق في الأحوال : استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة، فبذلك يكون العبد من الذين جاؤوا بالصدق.

وأعلى مراتب الصدق : مرتبة الصديقية، وهي كمال الانقياد للرسول صلى الله عليه وسلم مع كمال الإخلاص للمرسل عز وجل. والصادق حقيقة هو الذي انجذبت قوى روحه كلها إلى إرادة الله وطلبه، والسير إليه، والاستعداد للقائه، وهو لا يجب أن يعيش إلا ليشبع من رضا محبوبه ، ويقوم بعبوديته، ويستكثر من الأسباب التي تقربه إليه، لا لعله من علل الدنيا، ولا لشهوة من شهواتها، كما قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : (( لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله لولا أن أضع جبهتي لله أو أجلس في مجلس ينتقى فيه طيب الكلام كما ينتقى جيد

١ سورة السجدة آية ٢٤ .

٢ سنن الترمذي ٦٦٨/٤، برقم ٢٥١٨، وقال حديث حسن صحيح، سنن النسائي ٣٢٧/٨، كتاب الأشربة، باب الحث على ترك الشبهات، برقم

٥٧١١، حديث صحيح، انظر : غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام للألباني ص ١٣٠، برقم ١٧٩ .

٣ سنن الترمذي ٣٤٨/٤، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الصدق والكذب، برقم ١٩٧٣، حديث صحيح، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني

٨٠/٥، برقم ٢٠٥٢ .

٤ سورة الزمر آية ٣٣ .

التمر أو أن أسير في سبيل الله عز وجل))<sup>١</sup> يريد رضي الله عنه : الجهاد والصلاة والعلم النافع، وهذه درجات الفضائل وأهلها هم أهل الدرجات العليا. وأيضاً : فإن الصادق مضطر إلى متابعة الأمر، والتسليم للرسول صلى الله عليه وسلم في ظاهره وباطنه، والافتداء به، والتعبد بطاعته في كل حركة وسكون، مع إخلاص القصد لله عز وجل.<sup>٢</sup>

وقد امتدح الله الصادقين بقوله : ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾



والعمل الصادق هو الذي لا تكون فيه الريبة لأنه وليد اليقين، ولا هوى معه لأنه مقترن بالإخلاص، ولا يكون فيه عوج لأنه ينبع من الحق. وفي الحديث : (( إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ))<sup>٤</sup>.

## ٦ - الإحسان :

وللإحسان عدة معان منها : (( الإحسان الذي هو بمعنى الإتقان وإتيان العمل على الوجه الأمثل، والإحسان قسمان :

الأول : مع الله بحسن التعبد بين يديه كما فسره الرسول صلى الله عليه وسلم : (( أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ))<sup>٥</sup>.

الثاني : الإحسان مع الخلق ويدخل فيه بر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار وغير ذلك من معاملات الخلق.

وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٤﴾ قال القرطبي في تفسير الآية : ( الإحسان أن تحسن وقت

الإمكان، فليس كل وقت يمكنك الإحسان ؛ قال الشاعر :

بادر بخير إذا ما كنت مقتدراً  
فليس في كل وقت أنت مقتدر<sup>٦</sup>

<sup>١</sup> مرجع سابق، أبو نعيم، حلية الأولياء، ٥١/١.

<sup>٢</sup> مرجع سابق، ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ٢٧٠/٢ - ٢٨٣ بتصرف.

<sup>٣</sup> سورة التوبة آية ١١٩.

<sup>٤</sup> صحيح البخاري ٢٢٦١/٥، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين )) وما ينهى عن الكذب ، برقم ٥٧٤٣.

<sup>٥</sup> صحيح البخاري ١٧٩٣/٤، كتاب التفسير، باب (( إن الله عنده علم الساعة ))، برقم ٤٤٩٩، صحيح مسلم ٣٩/١، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، برقم ٩.

<sup>٦</sup> سورة آل عمران آية ١٣٤.

<sup>٧</sup> مرجع سابق، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٠٨/٤ - ٢٠٩ بتصرف. والبيت لأحمد بن طيفور الخراساني المتوفى سنة ٢٨٠هـ.

وقال القرطبي موضحاً معنى المقصود بالحسن : (( والحسن من صح عقد توحيده، وأحسن سياسة نفسه، وأقبل على أداء فرائضه، وكفى المسلمين شره ))<sup>١</sup>

وقد تعامل السلف الصالح بمقتضى هذا الكلام فهذا الموقف لابن عون المحدث<sup>٢</sup> دليل على هذا : (( كان لابن عون — المحدث — ناقة يغزو عليها ويحج وكان بها معجباً فأمر غلاماً له يستقي عليها، فجاء بها وقد ضربها على وجهها، فسالت عينها على خدها فقلنا: إن كان من ابن عون شيء فاليوم ! قال فلم يلبث أن نزل فلما نظر إلى الناقة قال سبحان الله، أفلا غير الوجه، بارك الله فيك، اخرج عني، اشهدوا أنه حر ))<sup>٣</sup>

ويتبع الإحسانَ مقابلةَ السيئة بالحسنة : وهي صفة لا تكون إلا لمن سمت نفوسهم، وتعالى عن الشهوات، فمقابلة السيئة بالحسنة تكسر حدة النفوس، وتطفى جذوة الشر، قال تعالى مادحاً المؤمنين : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾<sup>٤</sup> .

وفيها يقول سيد قطب يرحمه الله : (( ودرء السيئة بالحسنة يكون غالباً في المعاملة الشخصية بين المتماثلين، فأما في دين الله فلا، فالمفسدون في الأرض لا يجدي معهم إلا الأخذ الحاسم ))<sup>٥</sup>

والإنسان هنا يدفع ظلم الناس له بالإحسان إليهم، وعدم الاقتصاص لنفسه منهم، كذلك إذا وقع في معصية وارتكب سيئة فإنه يدفعها بحسنة تمحوها لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيئَاتِ ﴾<sup>٦</sup> .

## ٧ - الإعراض عن اللغو :

الإعراض عن اللغو من دلائل اكتمال الإيمان، ولأهميته ذكره الله تعالى بين فريضتين، فقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>١</sup> الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ

<sup>١</sup> المرجع السابق ١/٤١٥ .

<sup>٢</sup> هو عبد الله بن عون بن أرتبان، الإمام القدوة، عالم البصرة، أبو عون المزني. مولاهم البصري الحافظ. كان بحير موسعاً عليه في الرزق، وكان إذا جاءه إخوانه كان على رؤوسهم الطير، لم خشوع، مات في شهر رجب سنة إحدى وخمسين ومئة. انظر مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء ٦/٣٦٤ - ٣٧١ بتصرف.

<sup>٣</sup> المرجع السابق، ص ٣٧١ .

<sup>٤</sup> سورة الرعد آية ٢٢ .

<sup>٥</sup> مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ٤/٢٠٥٨ بتصرف.

<sup>٦</sup> سورة هود آية ١١٤ .

مُعْرَضُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿١﴾ ، وأكثر ما يشغل الناس هذه الأيام اللغو، سواء ما يشاهدون، أو يسمعون، أو حتى يقولونه.

واللغو في اللغة : ما لا يعتد من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع. ٢ .

وهذا اللغو من اشتغال الإنسان بما لا يعنيه ، وهو يجلب لصاحبه مضرة عاجلة أو آجلة ، ولذلك يترفع عباد الرحمن عن محاوراة الجاهلين وعن اللغو؛ لأن وقتهم ثمين وليس فيه محل للغو، ولأنهم لا يشغلون أنفسهم إلا بما يفيدهم، ولذا قال عنهم سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا

﴿٧٢﴾ ٣ ، فهم يكرمون أنفسهم عن التزول إلى مستوى الجاهلين والخورض معهم في أحاديث فيها تجريح للدين أو تطاول على أحد من الصالحين؛ متمثلين قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى

يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ ٤ ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ ٥ . كما أنهم حريصون أشد الحرص على أن لا يكتب في صحائفهم شيء لا ينتفع به . وقد كره الإسلام اللغو، وحذر منه ، وبقدر ما يتره المؤمن نفسه عن اللغو، تكون منزلته عند الله تعالى .

## ٨ - التواضع :

التواضع خلق كريم من أخلاق المؤمنين، وهو دليل على حب رب العالمين، وطريق لمرضاته عز وجل. وللمتواضعين صفات تظهر على جوارحهم، فهم الذين يمشون على الأرض هوناً لقوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ ﴿٦٦﴾ ٦ ، قال النسفي في تفسيرها : (( أي يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح

واختيال وتكبر فلا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشراً وبطراً )) ٧ .

وعكس الذين يمشون على الأرض هوناً هم الذين يمشون مشية الخيلاء تكبراً، فهذا قارون خرج على قومه في زينته خيلاءً وبطراً ورياء الناس واستكباراً على الخلق فكانت عاقبته كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا

١ سورة المؤمنون آية ١ - ٤ .

٢ مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب، ٢٥٠/١٥ بتصرف.

٣ سورة الفرقان آية ٧٢ .

٤ سورة النساء آية ١٤٠ .

٥ سورة الأنعام آية ٦٨ .

٦ سورة الفرقان آية ٦٣ .

٧ مرجع سابق، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج ٣/١٧٤ .

كَانَ مِنَ الْمُتَّصِرِينَ ﴿٨١﴾ ١. وَعَقَّبَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَائِلًا: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِذِينَ ﴿٨٢﴾﴾ ٢.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجلاً جُمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة)) ٣.

ومشية التواضع لا تعني أن يتماوت المسلم، فهناك فرق واضح بين مشية التواضع ومشية التماوت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((كان إذا مشى تكفاً تكافراً كأنما انحط من صيب)) ٤ وقال مرة إذا مشى تقلع ٥.

يقول ابن السعدي: (من تواضع لله ولعباد الله كانت جميع اجتماعاته بالناس على اختلاف درجاتهم مغنماً يكسب بها الخيرات والمثوبة من الله، فإنه يلاقي الناس ويخاطبهم ويجمع بهم ويعاشرهم بهذه النية الصالحة الفاضلة، وبالكلام اللين الطيب اللغني والفقير، لا يرى لنفسه عليهم فضلاً، ويوطن نفسه على ما استطاع من نفع من اجتمع به، وهذا كله قرينة يتقرب بها إلى الله عز وجل، ثم ينال بعدها حب الناس) ٦.

لقد سعد المتواضعون في الدنيا والآخرة، ونالوا المنازل العالية بتواضعهم وانقيادهم لأمر الله عز وجل، ورجع المتكبرون بالصفقة الخاسرة.

## ٩ - الحلم :

إن نفس المؤمن تسمو بإيمانها عن حظوظ النفس ورددود الفعل الاستفزازية حين تصدر نحوها من ناقص عقل أو جاهل أو سفیه قوم ؛ حيث تقابل السيئة القولية بالرد الجميل، وتعرض عن جهالة

١ سورة القصص آية ٨١.

٢ سورة القصص آية ٨٣.

٣ صحيح البخاري ٢/١٨٢، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، برقم ٥٤٥٢.

٤ تكفاً : التكلفى التمايل إلى قدام، وروي مهموزاً وغير مهموز، ومعنى كأنما ينحط من صيب : أراد أنه قوي البدن فإذا مشى فكأنما يمشي على صدور قدميه من القوة. انظر : مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب ١/١٤٢ بتصرف.

٥ سنن الترمذي ٥/٥٩٨، كتاب المناقب، باب ما جاء في صفة النبي صلى الله عليه وسلم، برقم ٣٦٣٧، وقال حديث حسن صحيح، مسند الإمام أحمد ١/١٢٧، برقم ١٠٥٣، حديث صحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ج ٥، برقم ٢٠٨٣.

٦ تقلع : أي قوة مشيه وأنه كان يرفع رجله من الأرض إذا مشى رفعاً بانناً بقوة لا كمن يمشي اختيلاً وتنعماً ويقارب خطاه. انظر : مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب ٨/٢٩١ بتصرف.

٧ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج ٥/٢٥٧٧.

٨ السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، ط ٢، مركز صالح بن صالح الثقافي، عتيزة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ١/٤٤٥ - ٤٤٦ بتصرف يسير.



الجاهلين، بل وتقابلها بالطيب من القول، كأنها تتأول قول الله عز وجل : ﴿ وَيَدْرُؤُنَّ بِالْحَسَنَةِ  
السَّيِّئَةَ ﴾ ١ .

وهذا التسامي عن الجاهلين هو إعراضُ نفسٍ قادرةٍ على الانتقام، وليس ضعفاً ولا تخاذلاً،  
فإن الله يقول: ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ ٢ .  
وللدكتور حبنكة كلام جميل في الحلم حيث يقول : (( وباستطاعتنا أن نصور الحلم بأنه  
فضيلة خلقية نافعة، تقع في قمة عالية دونها منحدرات. فهو أناة حكيمة بين التسرع والإهمال أو  
التواني، وضبطٌ للنفس بين الغضب وبلادة الطبع، ورزانة بين الطيش وجمود الإحساس، وهكذا))<sup>٣</sup>،  
وكلما صفت نفس المؤمن، وزاد إيمانه، وقوي صبره، استطاع أن يكتسب هذه الصفة، والمؤمن  
الذي يعلم فضيلة الحلم عند الله والجزاء العظيم عليه فلا بد أن يغالب نفسه ويكون حليماً  
باستمرار.

#### ١٠ - تحقيق الشورى :

الشورى صفة مهمة، وتعتبر أصلاً من أصول الشريعة الإسلامية، وهي تؤدي إلى إظهار  
أفضل الحلول للمسائل العامة، على ضوء أحكام الشريعة الإسلامية، كما أنها مهمة للحفاظ على  
تضامن المجتمع الإسلامي، ففي أمورنا الدينية والدينية أمور توضح مصلحتها فنبادر إلى فعلها،  
وأمر وضحت مضرقتها فيجب تركها، والذي نحتاج فيه للمشاورة هو ما اشتبه منها ، لمعرفة  
الصواب يقول ابن السعدي : (( ولا يستريب عاقل أن هذا الأصل العظيم الذي أمر الله به ومدحه  
— وهو المشاورة في الأمور— هو السبيل الوحيد لصلاح الأحوال كلها، وأنه كما تدخل فيه العلوم  
والأعمال الشرعية فكذلك العلوم والأعمال المادية، وكما تدخل فيه أمور الأفراد تدخل فيه أمور  
الجماعات، وفوائد المشاورة الضرورية والكمالية لا تعد ولا تحصى، وتوقف كثير من الأمور عليها  
أمر معلوم لكل أحد، وكل أمر من الأمور يشاور فيه أهله وأهل الخبرة به والمعرفة والقوة عليه. ))<sup>٤</sup>  
وقد امتدح الله عز وجل عباده المؤمنين بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ

شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ٥

١ سورة الرعد آية ٢٢ .

٢ سورة النساء آية ١٤٨ .

٣ الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط١، دار القلم، دمشق، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٣٢٥/٢ .

٤ السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخل في الدين الإسلامي، ط٢، مركز صالح بن صالح  
الثقافي، عنيزة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ٢٨٥/١ .

٥ سورة الشورى آية ٣٨ .

ونحتاج المشورة لأنه لا يوجد في حياة الأمة الرجل الكامل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يأخذ الناس رأيه بالتسليم المطلق، وقد شاور الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته، وشاور الصحابة بعضهم بعضاً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما عزم على قيادة جيش القادسية وجيش اليرموك وقد تجهز لذلك قال له الصحابة بل تبقى هنا وترسل من قبلك فإن هلك أرسلت آخر، وإنك إن خرجت فهلكت انفرط عقد الناس، أو نحو من هذا فرجع إلى قولهم.

وقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المؤيد بالوحي نجده يوم بدر يأخذ برأي أصحابه رضوان الله عنهم في الخروج فأشاروا عليه وأيدوه في الخروج<sup>١</sup>، ويوم الخندق بعدما سمع صلى الله عليه وسلم باجتماع أهل الكفر استشار أصحابه، فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق في المنطقة الوحيدة المكشوفة أمام الغزاة، فوافق الجميع وشرعوا في الحفر<sup>٢</sup>، ويوم الحديدية يتزل على الرأي الميمون لزوجته أم سلمة رضي الله عنها وذلك حين أمر الصحابة أن ينحروا الهدى ويحلقوا رؤوسهم فلم يقيم منهم أحد إلى ذلك فدخل على أم سلمة رضي الله عنها وحكى لها ما حدث من المسلمين، فأشارت عليه بأن يبدأ هو بما يريد ففعل وفعلوا<sup>٣</sup>.

ولقد أثنى الإسلام على المشورة فيما مضى وأثم كل إنسان يخون في مشورته لأنها أمانة، قال صلى الله عليه وسلم : (( المستشار مؤتمن ))<sup>٤</sup> ..

فإذا طبقنا مبدأ التشاور فإنه أدعى للبعد عن الفتق، حيث يتضح الطريق للمرء ويتبين الرشد بإذن الله.

<sup>١</sup> أحمد، الأستاذ الدكتور مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة توثيقية تحليلية، ط٢، دار إمام الدعوة، الرياض، ١٤٢٤هـ، ٤١١/١ بتصرف.

<sup>٢</sup> المرجع السابق ٥٥٠/١ بتصرف.

<sup>٣</sup> المرجع السابق ٤٢/٢ بتصرف.

<sup>٤</sup> سنن أبي داود ٣٣٣/٤، باب في المشورة، برقم ٥١٢٨، سنن الترمذي ٥٨٤/٤، كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، برقم ٢٣٦٩، سنن ابن ماجه ١٢٣٣/٢، كتاب، باب المستشار مؤتمن، برقم ٣٧٤٥، حديث صحيح، انظر : صحيح سنن ابن ماجه للألباني ٣٠٨/٢، برقم ٣٠١٩.

## **الباب الثالث**

### **الوقاية من فتنة الحياة الدنيا**

**الفصل الثاني : منهج القرآن الكريم في الوقاية من الفتن.**

## الفصل الثاني منهج القرآن الكريم في الوقاية من الفتن.

إن المنهج القرآني منهج رباني فريد من نوعه في إصلاح الفرد وتهذيب نفسه، وبالتالي إصلاح المجتمع كله، ووقايته من الفتن والتعرض للشهوات. وهو يشمل الآتي :

- ١ - التدابير الوقائية الخلقية والاجتماعية لإصلاح حياة البشر وتعميرها.
- ٢ - الخطوات العملية للنجاة من الفتن.
- ٣ - العوامل المساعدة على ضبط شهوات النفس ورغباتها.

**أولاً: التدابير الوقائية الخلقية والاجتماعية لإصلاح حياة البشر وتعميرها، ومنها :**

### ١ - الإيمان بالله واليوم الآخر:

إن خير ما يقوم بتربية الضمير الحي، ويعتبر المحرك للفضائل، والواقى من الفتن هو الإيمان بالله عز وجل، والإيمان باليوم الآخر.

إن الإيمان الصادق هو الذي يعطي لصاحبه إرادة قوية تجعله يتحلى بالفضائل الخلقية، ومحاسناته إذا جنح، ويجعل ضميره حياً، مستيقظاً، يحميه من الزلات الخلقية، والسقطات البشرية، فإذا ضعف في لحظة من اللحظات، ومال عن الجادة، وخزه ضميره وأيقظ نفسه اللوامة، خوفاً من سخط الله وعقوبته.

والتذكير بحال الإنسان في الحساب يجعل النفس تستقيم، وتراقب تصرفاتها، وتجعل سيرها موافقاً لشرع الله عز وجل خوفاً من الحساب يوم القيامة، فمثلاً إذا عرفنا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ

مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾، وفيها يقول ابن كثير: ((أي لا يقي المرء من عذاب الله ماله ولو افتدى بملء الأرض ذهباً ((ولا بنون)) أي ولو افتدى بمن على الأرض جميعاً ولا ينفع يومئذ إلا الإيمان بالله وإخلاص الدين له والتبري من الشرك وأهله ولهذا قال: ((إلا من أتى الله بقلب سليم)) أي سالم من الدنس والشرك. وقال محمد بن سيرين: القلب السليم أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة قائمة، وأن الله يبعث من في القبور.)) ٢.

١ سورة الشعراء آية ٨٨ - ٨٩.

٢ مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣/٣٤٠.

وقال القرطبي في معنى الآية : ( ولا بنون : الأعوان، لأن الابن إذا لم ينفع فغيره متى ينفع ؟، وقيل ذكر البنين لأنه جرى ذكر والد إبراهيم، أي لم ينفعه إبراهيم. ( إلا من أتى الله بقلب سليم ) هو استثناء من الكافرين؛ أي لا ينفعه ماله ولا بنوه. وخص القلب بالذكر؛ لأنه الذي إذا سلم سلمت الجوارح، وإذا فسد فسدت سائر الجوارح. واختلف في القلب السليم فقيل : من الشك والشرك، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد؛ قاله قتادة وابن زيد وأكثر المفسرين. وقال سعيد ابن المسيب : القلب السليم : الصحيح هو قلب المؤمن؛ لأن قلب الكافر والمنافق مريض؛ قال الله تعالى : (( في قلوبهم مرض )) وقال أبو عثمان السيارى : هو القلب الخالي عن البدعة المطمئن إلى السنة. وقال الحسن : سليم من آفة المال والبنين. وقال الجنيد : السليم في اللغة اللديغ؛ فمعناه أنه قلب كاللديغ من خوف الله. وقال الضحاك : السليم الخالص. قلت : وهذا القول يجمع شتات الأقوال بعمومه وهو حسن، أي الخالص من الأوصاف الذميمة، والمتصف بالأوصاف الجميلة؛ والله أعلم.<sup>١</sup>

وحين يتذكر وقوفه بين يدي الله يوم الحساب والجزاء، يوم توزيع الصحائف، وحين يتذكر هول ذلك اليوم الذي قال تعالى عنه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾<sup>٢</sup> يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٦﴾<sup>٣</sup>، فهذا مشهد حافل بالهول والفرع، فمن تصور نفسه في ذلك اليوم فلاشك أنه سيكون حافراً له على الاستقامة، وترك شهوات الدنيا.

## ٢ - العبادات:

إن القلب الإنساني دائم الشعور بحاجته إلى الله، ولا يمكن أن يملأ هذا الفراغ، إلا حسن الصلة بالله عز وجل، وهذا هو دور العبادة.

( فالقلب لا يفلح ولا ينعم ولا يبتهج ولا يلتذ ولا يطمئن ولا يسكن إلا بعبادة ربه وحبه، والإنابة إليه. قال الإمام فخر الدين الرازي: اعلم أن من عرف فوائد العبادة طاب له الاشتغال بها، وثقل عليه الاشتغال بغيرها )<sup>٣</sup>.

وتكون ثمرة العبادة الحقة الخالصة لله عز وجل صلاح النفس، وزكاة الضمير، واستقامة الأخلاق. ((فالصلاة لا تكون محمودة إلا إذا هذبت النفس وطهرتها، وجعلت صاحبها ربانياً لا

<sup>١</sup> مرجع سابق، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٣/ ١١٤ - ١١٥ بتصرف.

<sup>٢</sup> سورة الحج آية ١ - ٢.

<sup>٣</sup> القرطبي، الدكتور يوسف، العبادة في الإسلام، ط ٢٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص ٩٩ - ١٠٠ بتصرف.

يعمل إلا لله تعالى، وقد بين الله تعالى أن غايتها وخاصيتها أن تمنع الفساد قال تعالى: ﴿إِن

الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾<sup>١</sup>.

وفي الصوم تربية للضمير، وائتلاف روحي، وتعاون اجتماعي، والزكاة فريضة ربانية، تطهر النفس والحس من الشح والبخل وتنتجه إلى إيجاد مجتمع فاضل متعاون أديباً ومادياً والحج عبادة اجتماعية ويكون بالمال والبدن، فهو عبادة تهذب الروح وتوحد بين المسلمين في مؤتمهم السنوي الكبير))<sup>٢</sup>، ولذا فرض الله العبادات لمصلحة المتعبد ولفلاحه ونجاته.

### ٣ - الأخلاق:

مراعاة المنهج القرآني للجانب الأخلاقي، والآداب العامة الاجتماعية في شكل أوامر ونواهٍ وقوانين إلهية، جاءت في آيات واضحات بيّنت لتكون سبباً واثماً للمسلمين، يطبعهم على الإيمان والافتناع بفضائل الأخلاق ( فيحملهم إيمانهم في أعمالهم ومعاملتهم وجميع علاقاتهم بغيرهم على رعاية الأمانة، وتحري الصدق، والوفاء بالعهد، واحترام حقوق الآخرين، وغير ذلك من الفضائل الخلقية، التي تتمثل أصولها في طهارة القلب وسلامة الصدر، وعفة اللسان واستحياء النفس من فعل ما يوجب اللوم والتأنيب .

وإن من أعظم أهداف الرسالة المحمدية بناء الفرد الصالح، والمجتمع الفاضل وفق المنهج الرباني. بالتحلية بالفضائل والتخلية من الرذائل لإيجاد الأمة الربانية المتألّفة التي يعمل فيها الفرد لمصلحة الجماعة، والجماعة لمصلحة الفرد، في توازن وتناسق يؤدي إلى إيجاد المجتمع الفاضل)<sup>٣</sup>، وهذا ما قام به الجيل الأول خير قيام، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

### ٤ - المعاملات:

أما المعاملات فقد بينها المنهج القرآني بأحسن بيان، وفصلها، وأعطاه أعلى درجة الإتقان حتى وصلت لدرجة الإحسان، وذلك من خلال سن قوانين تنظم حياة الأسرة سواء فيما يتعلق ( بالزوجين، أو الوالدين، أو الأولاد ) . وقوانين تنظم المجتمع من الجانب المالي: ( البيع، الشراء، القروض، الكفالة، الرهن، الوديعة، الحجر، التفليس، الوقف، الهبة، وغيرها من الأمور المالية ) ومن الجانب الاجتماعي: ( علاقات ذوي القربى، والتكافل، والتراحم ) ومن الجانب الإنساني: ( البر، والمعروف، وكل أنواع الخير ) .

وقد ربط كل هذه الأمور بالإحسان الذي هو قمة العطاء والفضل والإيثار.

١ سورة العنكبوت آية ٤٥ .

٢ نصيف، الدكتورة فاطمة عمر، أخلاقنا في الميزان، ط ١، دار الحمدي، جدة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٧.

٣ المرجع السابق ص ٨ - ١٨ بتصرف.

## ٥ - العقوبات:

إن قانون العقوبات وضع حتى يضمن سلامة التعامل، لتكون هذه العقوبات زواجر وروادع عن فعل ما هو محظور، قال الماوردي: ((والحدود زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر به لما في الطبع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة، فجعل الله تعالى من زواجر الحدود ما يردع به ذا الجهالة حذراً من ألم العقوبة وخيفة من نكال الفضيحة ليكون ما حظر من محارمه ممنوعاً وما أمر به من فروضه متبوعاً فتكون المصلحة أعم والتكليف أتم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ١: يعني في استنقاذهم من الجهالة وإرشادهم من الضلالة وكفهم عن المعاصي وبعثهم على الطاعة)) ٢.

هذا ونجد أن المنهج القرآني يعمل على الحماية من الفساد والجريمة بوسيلتين: ((الأولى: تذيب النفس عن طريق العبادات التي فرضها الله سبحانه وتعالى على عباده، وبذلك يتكون مجتمع فاضل يسود فيه الخير ويقبل فيه الفساد. والثانية: بفرض العقوبة .

والغاية من فرض العقوبة في الشريعة الإسلامية أمران:

الأول: حماية الفضيلة ودفع الفساد.

والثاني: المنفعة العامة أو المصلحة.

والفضيلة والمصلحة متلازمتان تترتب إحداهما على الأخرى، والمصالح المعتبرة في الإسلام التي تحميها الشريعة بالعقوبة هي:

الحفاظة على الدين، الحفاظة على النفس، الحفاظة على العقل، الحفاظة على النسل، الحفاظة على المال)) ٣.

كما أن العقوبات في الإسلام زواجر فهي أيضاً جواجر ، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط فقال : أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في

١ سورة الأنبياء آية ١٠٧.

٢ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط (بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٢٢١.

٣ عتبية، المستشار محمد مجت، محاضرات في الفقه الجنائي الإسلامي لطلبة معهد الدراسات الإسلامية، ط (بدون)، دار الشباب، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ١٧.

---

---

مَعْرُوفٌ فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَاخَذَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ  
وَيُطَهَّرُ وَمَنْ سَتَرَهُ اللَّهُ فَذَلِكَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذِبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ<sup>١</sup>  
وَبِهَذَا نَجِدُ أَنَّ الْعُقُوبَةَ تَكُونُ حِمَايَةً لِلْفَضِيلَةِ، تَحْمِيهَا وَتَذُودُ عَنْهَا، كَمَا تَقْضِي عَلَى الرِّذَائِلِ وَتَمْنَعُهَا.

---

<sup>١</sup> صحيح البخاري ٢٤٩٤/٦، كتاب الحدود، باب توبة السارق، رقم ٦٤١٦، صحيح مسلم ١٣٣٣/٣، كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، رقم ١٧٠٩.



## ثانياً : الخطوات العملية للنجاة من الفتن :

سأحاول في هذا المبحث أن أذكر أهم الأساليب العملية التي يستطيع المرء بها أن يقى نفسه

شر الفتن وهي:

### ١ - تقوية الإيمان بالله عز وجل: عن طريق: أ - الارتباط الدائم بكتاب الله تلاوة وتدبراً:

إن تلاوة القرآن أثناء الليل وأطراف النهار من أهم الأسباب الواقية من الفتن، فهي تهدب النفس، وتنير القلب، وتذكره بالله عز وجل.

ولا ينفع القرآن قارئه إلا إذا رافقت تلاوته آداب الباطن وهي التأمل، والخشوع، والتدبر.

وقد امتدح سبحانه عباده الذين يحرصون على تلاوة القرآن ووعدهم بالأجر العظيم فقال تعالى: ﴿

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجْرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٧١﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٧٢﴾﴾ ١.

وهنا نقطة رائعة ذكرها الشيخ عبد الحميد البلالي في حديثه عن القرآن فقال: (عندما يقوم أي مصنع بصناعة آلة أو جهاز ما، فإنه يرفق مع هذا الجهاز كتيباً صغيراً يرشدك إلى كيفية استخدامه، وطرق إصلاح الأعطال التي تبدو في أثناء التشغيل، ويحذرك من استخدام (فولت volt) أكبر مما يتحمل لكي لا يحترق أو عدم استخدام (فولت volt) أقل مما يحتاج فلا يعمل، ويذكر في هذا الكتيب أيضاً خطوات التشغيل، ومحتويات ذلك الجهاز، والمميزات التي يختلف بها عن غيره من الأجهزة، وكيفية الاستفادة من هذه المميزات، وغيرها من التفاصيل التي يحتاجها المشتري لكي ينتفع الانتفاع الكامل بما اشترى، وهذا تماماً ما حدث للقرآن الكريم مع الفارق الكبير في التشبيه.

فالله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان أرسل كتيباً وكان ختامها القرآن الكريم والذي بين فيه العناصر التي خلق منها الإنسان، والفرق بينه وباقي المخلوقات، ومميزاته التي يمتاز فيها عن غيره من باقي المخلوقات، وعيوبه، وكيف يصل إلى إصلاحها، وبين في هذا الكتاب تفاصيل دقيقة عن طرق الابتعاد عما يضعف هذا المخلوق، وطرق الدفاع عن النفس في حالة هجوم الأعداء سواء الداخليين كالنفس، والشهوة، والهوى، والشيطان. أو الخارجيين كالدينا، وأصحاب السوء، والفسقة، والكفار، وبين صفات المناخ الذي يقوي من أداء هذا المخلوق، والمناخ الذي يضعف من

أدائه وربما يؤدي لموته وهو يمشي، وأرشد في هذا الكتاب عن الجهاز الصغير الذي خلقه ضمن هذا الجهاز الكبير والذي يسير باقي ما في هذا الجهاز الكبير وهو القلب، وبين الكثير من الأمثلة لأجهزة مماثلة في الصنع كيف حدث بها عندما أسئى استغلالها وجهل بكيفية تشغيلها، فكما أننا كبشر نرجع إلى كتاب الجهاز الذي اشتريناه عندما نجهل بعض أمور التشغيل أو الإصلاح فنهتدي بذلك للطريقة المثلى للتشغيل، لأن صانع ذلك الجهاز هو أدرى الناس به، وبما يشغله ويحطمه، كذلك الله سبحانه وتعالى — والله المثل الأعلى — هو الأعلم بما خلق وبما يسعد ذلك المخلوق، وبما يفسده ويحطمه، فأنزل هذا الكتاب ليكون المرجع لكل حركة من حركات هذا المخلوق، وإلا فإنه سيتيه في خضم الاجتهادات الحمقاء من غير الرجوع إلى خالقه الذي هو أعلم منه بما يسعده ويحزنه ويحييه ويميته، ذلك هو القرآن الكريم (١ قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ٢، فهو الخالق العالم بخلقه وبما يصلحهم ويصلح لهم.

وقد أنزل الله عز وجل القرآن الكريم، وشرح فيه تعاليم دينه، وتعبنا سبحانه بتلاوته وتدبره والعمل به، يؤتى الرجل أجره على قراءته بكل حرف حسنة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف

حرف ولام حرف وميم حرف)) ٣

وأفضل أوقات قراءة القرآن وتلاوة آيات الله هو الليل كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ٤. وكان الصحابة أكثر ما يقرأونه بالليل وكان عمر رضي الله عنه يعس بالليل فإذا سمع قارئاً أنصت لقراءته وكذلك من قبل استمع الرسول صلى الله عليه وسلم لقراءة أبي بن كعب بالليل وخرجت زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وسمعن قراءة أبي موسى الأشعري وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل، و بالتأكيد لم يتزل القرآن للتلاوة فقط وإنما للعمل به، لذا يكون تارك التلاوة أو العمل بالقرآن هاجراً له بتركه إياه، يوضح ذلك ابن القيم بقوله: ((هجر القرآن أنواع، أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه، والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به. والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين.

١ البلابي، عبد الحميد، تأملات بعد الفجر، ط ٢، ١٤٢٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٤٤ - ٤٥ بتصرف يسير جداً.

٢ سورة الملك آية ١٤.

٣ سنن الترمذي ١٧٥/٥، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، برقم ٢٩١٠ وقال حسن صحيح.

٤ سورة الإسراء آية ٧٩.

٥ المستدرک علی الصحیحین ٥٢٩/٣، باب ذکر مناقب أبي موسى الأشعري.

والرابع : هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه. والخامس : هجر الاستشفاء والتداوي به.))<sup>١</sup>، وإذا استمع المؤمن للقرآن فإنه يزيد إيمانه وخشوعه وخضوعه لله عز وجل، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ٢، وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ٣ . وانظر إلى الصورة الجميلة لحال القارئ: ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَتَابِعًا يَتَقَشَّرُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ءَمَنَ يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾ ٤ .

هؤلاء المؤمنون حقاً، إذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلودهم خوفاً، وإذا ذكرت آيات الوعد لانت جلودهم وقلوبهم، فهم بين الخوف والرجاء، وهذا التعامل هو المطلوب مع القرآن، قراءته والتفاعل مع آياته ثم العمل بها رغبة فيما عند الله عز وجل.

## ب - النظر في ملكوت السموات والأرض:

إن القرآن الكريم قد حوى فيما حوى تصوراً لجانب من علم الله الشامل، ليهتدي العقل البشري به، فيرتاد آفاق العالم، فتتسع المدارك، ويسطع نور الإيمان المطلق بوحانية الله عز وجل، الذي بيده مفاتيح العلوم كلها. فحين كانت دراسة العلوم الكونية والطبيعية في نظر بعض الشرائع أمراً محرماً في العصور الماضية، جاء الإسلام فأمر بالبحث والدراسة في البر والبحر، والتفكير في النفس البشرية لإدراك عظمة الكون التي هي بلا شك دليل على عظمة خالقه سبحانه وتعالى. وتجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم ليس كتاب نظريات علمية، ولم يأت ليكون بنصه منهجاً للعلم التجريبي، بل هو منهج للحياة كلها، وسبيل لتحريض العقل ليعمل وينطلق، دون أن يدخل في جزئيات وتفصيل علمية بحتة؛ لأن معرفة هذه التفاصيل متروكة للعقل، ويكتفي بالإشارة إلى القضايا الكونية، ليتوصلوا بعقولهم واجتهاداتهم إلى هذه المعارف، فإذا اهتدوا إليها وقد علموا أن القرآن سبقهم في الإشارة إليها، استدلوا على أن القرآن الكريم ليس من كلام البشر، وبذلك يفتح أمامهم باب الهداية والإيمان بالله تعالى، وبهذا الدين الخالد.

<sup>١</sup> ابن قيم الجوزية، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر، الفوائد، ط١، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ١١٢.

٢ سورة الأنفال آية ٢.

٣ سورة التوبة آية ١٢٤.

٤ سورة الزمر آية ٢٣.

وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم أشارت إلى بعض القضايا الكونية، فجاء العلم الحديث مصدقاً لها، ووقف خاشعاً أمام إعجازها الذي أخبر عنه النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم من خلال

كتاب معجز، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ



وقد أمر الله عز وجل عباده في آيات كثيرة أن ينظروا إلى آثار قدرته في الكون، لما في ذلك

من أثر عظيم في تمسكهم بعقيدتهم، وثباتهم على الحق، قال تعالى: ﴿سُنُرِيهِمْ أَيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ

وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ

الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٠﴾

هذا وإن ( لتفسير العلمي للقرآن الكريم أثراً في الجوانب الثقافية والعقدية والسلوكية والخلقية للفرد، كما أن له دوراً كبيراً في هداية المؤمنين وثباتهم على الحق، وحيث إن هناك علاقة مباشرة بين العقيدة والأخلاق، وبالتالي سلوك الإنسان، فإنه على قدر الإيمان ضعفاً أو قوة يكون الخلق والسلوك، وبما أن التفسير العلمي للقرآن الكريم غالباً ما يكون له تأثير طيب على عقيدة المؤمن — وغير المؤمن — فإنه بالطبع يكون له تأثير إيجابي على الأخلاق والسلوك، وهذا يلاحظ عند عصاة المسلمين حيث تأثر الكثيرون منهم من خلال هذا الباب والتزموا أداء الواجبات وانتهوا عن المعاصي والآثام، كما يلاحظ عند المسلمين الجدد حينما يدخلون في الإسلام متأثرين بما وجدوه في التفسير العلمي للقرآن الكريم من دلائل على وجود الله تعالى، فإنه يتحتم عليهم بعد إسلامهم أن يتخلوا عن الرذائل، ويتحلوا بتعاليم الدين الحنيف بما فيه من أخلاق سامية وسلوك حسن، ومن هنا يبدو أثر التفسير العلمي في الأخلاق والسلوك (٤)، فعلى المسلم الأخذ بهذا النوع من التدبر، وهو التعرف على آيات الإعجاز لما له من أثر إيجابي في زيادة الإيمان وزيادة المعرفة الحقبة برب العالمين وتقوية العلاقة به سبحانه وتعالى .

١ سورة فصلت آية ٤٢ .

٢ سورة فصلت آية ٥٣ .

٣ سورة العنكبوت آية ٢٠ .

٤ إبراهيم، فايز عبد العزيز، باحث في التفسير بجامعة الجزيرة بالسودان، مقالة في مجلة الإعجاز العلمي، مجلة فصلية تصدر عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد الرابع عشر، ذو القعدة ١٤٢٣هـ، ص ٥٨ بتصرف يسير.

## ج - التعرف على أسماء الله الحسنى وصفاته العلية:

إن معرفة الله بأسمائه وصفاته هي الطريق الحق إلى معرفته سبحانه، وهذه المعرفة لها آثار عظيمة في تحقيق العبودية لله رب العالمين، والاستقامة على شرعه.

فإكمال العمل وتحسينه على ما أراد الله مرتبط بالحببة القلبية لله تعالى، ولا تكتمل المحبة إلا بمعرفته سبحانه بأسمائه وصفاته، وهذه المحبة تنمر العبادة الحققة لله تعالى من الخوف والرجاء والمهابة والتوكل وغيرها، كما أن هذه المعرفة من أقوى الأسباب لزيادة الإيمان، ودخول الجنة، كما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة))<sup>١</sup>.

ومعنى أحصاها يوضحه لنا ابن حجر في الفتح فيقول: (قال الخطابي: الإحصاء في مثل هذا يجتمل وجوهاً: أحدها أن يعدها حتى يستوفيتها، ثانيها المراد بالإحصاء الإطاقة والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها، فإذا قال الرزاق وثق بالرزق وكذا سائر الأسماء، ثالثها المراد بالإحصاء الإحاطة بمعانيها من قول العرب فلان ذو حصاة أي ذو عقل ومعرفة)<sup>٢</sup>.

وكذلك نجد من يوضح قوله صلى الله عليه وسلم: (من أحصاها) بمعنى: ((حفظها وفهم معانيها ومدلولها، وأثنى على الله بها، وسأله بها، واعتقدها))<sup>٣</sup>.

فالعلم بأسماء الله وصفاته هو العاصم من الزلل، والمقيّل من العثرة، حين تهفو النفوس إلى مقارفة الفواحش والذنوب، فتذكر أن الله يراها ويطلع عليها، وتذكر الحساب والوقوف بين يديه سبحانه؛ فتجانب المعصية، ثم حين يقع في المعصية ويذكر عفو الله ورحمته فيعود إليه بالتوبة؛ لأنه يعلم أنه هو التواب الرحيم.

وقد تحدث ابن القيم يرحمه الله عن الآثار التي يورثها الإيمان بأسماء الله وصفاته، وذكر (أن لكل صفة من صفات الله عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها: . وعلمنا بسمعه تعالى وبصره وعلمه يقتضي بأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور يثمر للعبد حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما

١ صحيح البخاري ٢/٢٩٩، كتاب التوحيد، باب إن الله مائة اسم إلا واحداً، حديث رقم ٦٩٥٧، صحيح مسلم ٤/٢٠٦٣، كتاب الذكر والدعاء

والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، برقم ٢٦٧٧.

٢ مرجع سابق، ابن حجر، فتح الباري ١١/٢٢٨ - ٢٢٩ بتصرف.

٣ القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، ط ٤، جمادى الأولى ١٤١٥هـ، ص ٤.

لا يرضي الله، ويجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، فيثمر له ذلك الحياء باطناً، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبايح (١)

وحيث إن دوام التعبد بأسماء الله وصفاته يثمر شعوراً بالمسؤولية فيكون باعثاً له على الإحسان في كل حال، فيكفي علمه أن الله الرقيب، يراقبه في كل حين، فيجعله حذراً في كل حين، مراقباً لنفسه وجوارحه، فلا يقع فيما لا يرضي ربه العليم الخبير سبحانه وتعالى؛ وبهذا يعصم نفسه من الوقوع في الفواحش والفتن.

## ٢ - تجديد الصلة بالله عن طريق العبادات و التدريب العملي عليها ومنها:

أ - إن العبادة في الإسلام تشمل كيان الإنسان كله، فهو يعبد الله بالفكر والتأمل في النفس والآفاق، ويعبد الله بالقلب كحبه لله تعالى، وخشيته، والرضا بقضائه، والشكر لنعمه، والحياء منه، والتوكل عليه سبحانه، ويعبده باللسان بالذكر والدعاء، وتلاوة القرآن، ويعبده ببذل المال بالزكاة، والصدقات التطوعية، كما يتعبد الله بنفسه وبذل روحه في سبيل الله بالجهاد في سبيله والعبادة المقبولة عند الله هي التي تصاحبها النية الخالصة له وحده، فثمر في السلوك وتذكر صاحبها بحق الله، وتنبه على حقوق الخلق، فليست كل صلاة مقبولة عند الله؛ لأن هناك صلاة يضرب بها وجه صاحبها، فالصلاة المقبولة هي التي قال تعالى عنها: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ٢، فإذا لم تؤد الصلاة مهمتها وهي غرس الخشية من الله، ومراقبته في النفس، فتقودها إلى الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، فإنها بذلك تكون ناقصة.

وكذلك الصيام، فليس كل صيام يرضى عنه الله تعالى، ما لم يؤد إلى التقوى التي قال الله تعالى فيها: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ٣، فإذا صام عن الطعام والشراب والنكاح، ولم يصم لسانه، ولا جوارحه، فصيامه مردود، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)) ٤.

١ ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ط(بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٤٠٩/٢ - ٤١٠ بتصريف يسير.

٢ سورة العنكبوت آية ٤٥.

٣ سورة البقرة آية ١٨٣.

٤ صحيح البخاري ٦٧٣/٢، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، برقم ١٨٠٤.

قال سليمان بن موسى<sup>١</sup> : ((إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمأثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء))<sup>٢</sup>.

وكذلك الزكاة والصدقة، تفسد ويحبط ثوابها، إذا دخلها رياء، أو من أذى، فهمم جداً أن يعطي بإخلاص، ونية صادقة لله، لا فيها من ولا أذى.

وهكذا في سائر العبادات، يجب أن تؤدي كما شرع الله وأراد، حتى تعطي ثمرتها في السلوك والحياة.

### ب - الإكثار من الطاعات:

إذا عرفنا أن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، عرفنا أن الدين كله عبادة، وأنه جاء يرسم للإنسان منهج حياته، ويحدد سلوكه، وعلاقاته، وبهذا نصل إلى أن حياة الإنسان كلها عبادة، فأكله، وشربه، وبناءه للدولة، وسياسته للحكم، وللمال، وكل علاقاته، فقط يبتغي بأي عمل يعمل وجه الله تعالى، فيكتب له عبادة. وبعض الناس يعتقد أن العبادة صلاة، وصيام، وذكر، وغيرها من الشعائر التعبدية، ولا يحسب أن لها علاقة بالأخلاق، والآداب، أو النظم والقوانين.

وبناء على ذلك فكل عمل خير نافع يعده الإسلام عبادة، وكل ذلك طاعة وعبادة، ما دام قصد منه الخير والقرب من الله، ما دام غير مخالف للشرع فكلُّ مساعدة لمنكوب، أو كفالة ليتيم، أو سعي على أرملة، أو إمطة الأذى عن الطريق، أو غير ذلك فهو عبادة إذا صحت نيته فيه لله وحده لا شريك له. وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة))<sup>٣</sup>، قال تعالى: ﴿

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٤﴾

فأين تكون العبادة إذا حصرناها في الشعائر التي لا تستغرق إلا دقائق معدودات من يوم الإنسان وليلته، أما جل وقته فهو في شؤون حياته، لذا فحياة الإنسان كلها وحدة لا تتجزأ، منهجه فيها عبادة الله، وغايته رضوان الله تعالى، ودليله فيها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

<sup>١</sup> هو سليمان بن موسى : الصدوق الأصدق الفقيه الأحقق سليمان بن موسى الأشدق، قال الزهري : إن مكحولاً يأتينا وسليمان بن موسى وإم الله إن سليمان لأحفظ الرجلين. وعن برد قال : ما رأيت سليمان بن موسى إلا مستقبلاً القبلة. انظر : مرجع سابق، أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء ٨٨/٦.

<sup>٢</sup> مرجع سابق، ابن المبارك المروزي، كتاب الزهد ويليهِ كتاب الرقائق، ص ١٥٦، برقم ٤٦٠.

<sup>٣</sup> سنن الترمذي ٦٦٣/٤، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، برقم ٢٥٠٩، حديث صحيح انظر: غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، محمد ناصر الدين الألباني، ص ٢٣٧، برقم ٤١٤.

<sup>٤</sup> سورة الذاريات آية ٥٦.

وقد أمر الله عباده بطاعته، فقال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١، وجعل سبحانه مثوبة الطاعة الفوز بالجنة والنجاة من النار، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ٢، فإذا صدق إيمان العبد لم يسعه بعدها إلا طاعة مولاه سبحانه وتعالى، وإذا صدق إيمانه بعذاب الله وناره، هرب من المعاصي التي توصله إليها، وبادر إلى كل عمل صالح، ليتزود منه لآخرته، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٣ والطاعات كثيرة، ذكر بعضها الحديث الشريف: ((كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته، فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة)) ٤.

فما على العبد إلا أن يقترب من ربه بفعل ما يحبه ويرضاه، ولا بد أن يتأكد أن الفعل الذي يفعله صواب وموافق للشرع وغير مبتدع، وأن يخلص نيته فيه لله حتى يقبله منه عز وجل. وبهذا يجعل لنفسه سياجاً يقيه من الفتن والوقوع في الشهوات.

١ سورة الأنفال آية ١.

٢ سورة النور آية ٥٢.

٣ سورة آل عمران آية ١٣٣.

٤ صحيح البخاري ١٠٩٠/٣، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه، برقم ٢٨٢٧، صحيح مسلم ٦٩٩/٢، كتاب الزكاة، باب بيان أن

اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، برقم ١٠٠٩.



ولكي تحقق هذه الطاعات دورها في تزكية النفس، ووقايتها من الفتن لا بد أن يتوفر فيها ما يلي:

### أ - ترك الإصرار على المعاصي:

لما للإصرار على المعاصي من آثار سيئة على النفس والقلب، فلا يمكن أن يحظى الإنسان بشرف القرب من الله تعالى ويحصل ثمرة العبادة وهو منشغل عنها بالمعاصي. ومن أبرز أضرار الإصرار على المعاصي ظلمة القلب، وحجبه عن التأثير بالذكر والعبادات.

وقد ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِّت في قلبه نُكْتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صُقل قلبه، وإن عاد زيد فيها، حتى تعلق قلبه، وهو الران الذي ذكر الله عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ

عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ١))

ولهذا كان لا بد لمن أراد القرب من الله عز وجل من التخلي عن المعاصي بالكلية، والمبادرة إلى التوبة حين الوقوع في معصية .

### ب - حضور القلب:

ينبغي للعبد أن يستجلب الخشوع في عباداته، ويحضر قلبه ويبعد عنه الغفلة ليحصل مقصوده من العبادة. فالذكر والغفلة لا يجتمعان؛ ولهذا قال الإمام المحاسبي<sup>٣</sup>: ((ونور القلب إنما هو مع تيقظه وحياته، فإذا غفل مات وأظلم، وطفئ نوره))<sup>٤</sup>.

فالذكر حياة للقلب، ولا بد من حضور القلب عند أدائه ليحصل على الفائدة منه. وليستعين على حضور قلبه بالتدبر، وفهم الآيات التي يتلوها إن كان يقرأ القرآن، أو التدبر في الدعاء الذي يدعوه، وأن يعتنم أوقات نشاطه وراحته ليكون أقوى على الخشوع وحضور القلب.

فإذا ما بادر العبد بالإكثار من الذكر وتلاوة القرآن والدعاء وسائر العبادات والنوافل، مع حضور قلب وخشوع حصل له الظفر بالقرب من الله وفاز بمعية الله، كما أنه يحصل له زيادة في

١ سورة المطففين آية ١٤ .

٢ سنن الترمذي ٤/٣٤٤، كتاب التفسير، باب ومن سورة المطففين، رقم ٣٣٣٤، سنن ابن ماجه ٢/١٤١٨، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، رقم ٤٢٤٤، حديث حسن، انظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني ٢/١٧٤، رقم ٣٤٢٢.

٣ أبو عبد الله، الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي، صاحب التصانيف الزهدية، له كتب كثيرة في الزهد، وأصول الديانة، والرد على المعتزلة والرافضة. مات سنة ثلاث وأربعين ومئتين. انظر: مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢/١١٠ - ١١٢ بتصرف..

٤ المحاسبي، أبو عبد الله الحارث بن أسد، بدء من أناب إلى الله ويلي آداب النفوس، تحقيق مجدي فتحي السيد، ط ١، دار السلام، القاهرة، ١٤١٢هـ -

١٩٩١م، ص ٦٨.

الإيمان، وتوجيه للنفس إلى ما فيه صلاحها، وبهذا لا تكون الدنيا وشهواتها شغله الشاغل، ولا يجد الشيطان إليه سبيلاً .

## ج - الإحسان إلى الخلق:

إن التميز الذي في ديننا الإسلامي ينطلق من كونه ديناً يدعو إلى التحلي بكل القيم الإنسانية، من عدل ومساواة، وحب، وإخاء، وبذل، وإيثار، واستقامة في السلوك والمعاملات فيأمر سبحانه بالعدل مع الجميع، مع الصغير والكبير، والعدو والصديق، والغني والفقير، والمسلم والكافر، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٥﴾﴾ ١ .

أما من حيث المساواة، فالناس في ميزان الله سواسية لا يتفاضلون إلا بالتقوى، وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أكرم؟ قال: أكرمهم عند الله أتقاهم)) ٢ ((فصحح صلى الله عليه وسلم ما كان متعارفاً عليه في الجاهلية وحتى يومنا هذا في الجاهلية الحديثة، من تقويم الناس بالمظهر والمكانة والمنصب والغنى، فبين أن كل هذه المظاهر والأشكال لا قيمة لها إنما التقوى والورع هو المعول عليه، فكان هذا توجيهاً نبوياً كريماً للمسلمين للالتزام به، وترك ما كان متعارفاً عليه في المجتمع)) ٣ .

والإخاء من الأمور التي قام عليها المجتمع الإسلامي، فكان قوياً، سعيداً، لأن المحبة والإخاء من أفضل الوسائل إلى تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس، وهي وسيلة لاقتلاع شجرة الشر من النفوس، وتخليص العالم من الفتن، وهذا ما يحفظ للمجتمع وحدته ومودته. وقد جاءت توجيهات نبوية عديدة لتحفظ للمجتمع وحدته وتزيد روابط الأخوة فيه منها قوله صلى الله عليه وسلم ((أيها الناس أفسحوا السلام وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)) ٤ .

١ سورة النساء آية ١٣٥ .

٢ صحيح البخاري ١٧٢٩/٤، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ((لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين))، برقم ٤٤١٢ .

٣ مرجع سابق، د. فاطمة عمر نصيف، أخلاقنا في الميزان، ص ٦٩ .

٤ سنن الترمذي ٦٥٢/٤، كتاب صفة القيامة والورع والرفاق، برقم ٢٤٨٥، سنن ابن ماجه ٤٢٣/١، كتاب الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام الليل، برقم ١٣٣٤، مسند الإمام أحمد ٤٥١/٥، برقم ٢٣٨٣٥، حديث صحيح، أنظر: صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند، محمد ناصر الدين الألباني، ص ٢٢٣، برقم ١٠٧٩ .

والأخوة الإيمانية لها تكاليفها، ومنها البذل والإنفاق، لتحقيق التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع. وهكذا نجد أن المنهج القرآني يحث المسلم على بذل الخير، لكل أفراد المجتمع حتى تسود المحبة والوئام، وهذا يؤدي على حماية المسلم من الفتن والشهوات.

### ٣ - التدرج:

(والتدرج هو المسلك الرائع للقرآن الكريم في إصلاح المجتمع ومحاربة الرذيلة، والقضاء على الأخلاق السيئة التي تأصلت في النفوس، ولقد نزل القرآن الكريم منجماً ليتدرج في تربية الأمة دينياً، وخلقياً، واجتماعياً، وعلمياً وعملاً، وهذا ما أشار إليه الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْتَهُ لِنَقْرَأُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ ١ قال ابن كثير في تفسير هذه الآية ((وقرأنا فرقناه)) أي فصلناه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل مفرداً منجماً على حسب الوقائع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة ((لتقرأه على الناس)) أي: لتبلغه الناس وتتلوه عليهم ((على مكث)) أي: على مهل) ٢.

وقال القرطبي في معنى كلمة ((مكث)) أي: (على تطاول في المدة شيئاً بعد شيء . ((ونزلناه تنزيلًا)) أي: شيئاً بعد شيء، آية آية، وسورة سورة، قال القرطبي: لو أخذ الناس بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا) ٣.

يقول ابن القيم رحمه الله: (إن أول ما أوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقرأ باسم ربه الذي خلق، وذلك أول نبوته، فأمره أن يقرأ في نفسه، ولم يأمره إذ ذاك بالتبليغ ثم أنزل عليه: ﴿يَتْلُهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ٤ ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾ ٥. فنبأه بقوله ((اقرأ)) وأرسله بقوله ((يا أيها المدثر)) ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ٥ ثم أنذر قومه، ثم أنذر من حولهم من العرب، ثم أنذر العرب قاطبة، ثم أنذر العالمين. فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية، ويؤمر بالكف والصبر والصفح، ثم أذن له بالهجرة وأذن له في القتال، ثم أمره الله أن يقاتل من قاتله ويكف عمن اعتزله وسالمه، ثم أمره أخيراً أن يقاتل المشركين كافة حتى يكون الدين كله لله) ٦.

١ سورة الإسراء آية ١٠٦.

٢ مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٦٩ بتصرف يسير.

٣ مرجع سابق، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٣٣٩.

٤ سورة المدثر آية ١ - ٢.

٥ سورة الشعراء آية ٢١٤.

٦ مرجع سابق، ابن القيم، زاد المعاد، ٣/ ١٥٨ - ١٥٩ بتصرف يسير.

والحرمات كذلك لم يأت تحريمها دفعة واحدة، فقد علم الله مدى تأثيرها على النفوس، وتغلغلها في الحياة الفردية والاجتماعية، فأخذهم بقانون التدرج في تحريمها، حتى إذا جاء الأمر الحاسم قالوا: سمعنا وأطعنا. وفي هذا المعنى تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها واصفة تدرج التشريع، ونزول القرآن: ( إنما أنزل أول ما نزل منه سور من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبداً ) ١ .

وهنا مسألة غاية في الأهمية وهي أن التدرج الذي ينبغي أن يراعيه المصلحون اليوم هو التدرج في تطبيق الأحكام لا التدرج في الإيمان بها، والفرق كبير بين الأمرين والذين يستشهدون بقوله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ ٢ على ضرورة أخذ الإسلام جملة أو تركه جملة يخطئون لأن التحذير الإلهي متوجه للإيمان ببعض والكفر بالبعض، لا إلى العمل بالبعض اليوم والبعض الآخر في الغد .

ومن أروع المواقف التي تذكر تدليلاً على فهم هذه السنة الربانية وتطبيقها ( موقف الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز يرحمه الله حينما تولى الخلافة وأراد أن يعود بالحياة إلى هدي الخلفاء الراشدين الأربعة، وذلك بعد أن يتمكن ويمسك بجميع الخيوط في يديه، ولكن كان ابنه الشاب الغيور المتحمس ( عبد الملك ) ينكر على أبيه عدم إسرعه في إزالة كل بقايا الانحراف والمظالم، فقال له يوماً: ما لك يا أبت لا تنفذ الأمور، فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق. فكان جواب الأب الفقيه المؤمن: لا تعجل يا بني فإن الله تعالى ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة. وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدعوه جملة، فيكون من ذا فتنة ) ٣ .

وإذا كان التدرج سنة من سنن الله تعالى في كونه، وخلقه، وسمته بارزة في التشريع الإسلامي، وطريقاً سار فيه النبي صلى الله عليه وسلم، فإن على قادة الإصلاح والدعاة إلى الله أن يعوا جيداً هذه السنة الربانية، وهذه السمة القرآنية وأن يراعوها في حركاتهم الإصلاحية، وجهودهم الدعوية. فيتبنوا سياسة النفس الطويل والصبر الجميل، ولا يعجلوا على أنفسهم ولا على الناس، فكم من مجتمعات حاول المصلحون فيها أن يعطلوا هذه السنة وأن يهملوا هذه السمة ليقفزوا بالناس إلى ما يصبون إليه من أهداف إصلاحية، فوقع من وراء ذلك فتن وفساد كبير.

١ صحيح البخاري ٤/١٩١٠، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، حديث رقم ٤٧٠٧.

٢ سورة البقرة آية ٨٥.

٣ مرجع سابق، الشاطبي، الموافقات، ٢/٦٢.

## ٤ - ضرب الأمثال:

المثل من الأساليب المؤثرة الشيقة التي لها أكبر استجابة في النفس؛ لأنه يربط المعنى المطلوب بالواقع الملموس والبيئة التي يعيش فيها الإنسان.

قال تعالى موضعاً أثر المثل في النفس : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِنَّاسٍ لِّعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١ وقال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٢

والأمثلة في القرآن كثيرة ولكن نأخذ مثلاً يوضح ما نريده وهو قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ

زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ

كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ ٣، يوضح ذلك الدكتور أنس كرزون بقوله: ((شبه الله سبحانه

الوحي الذي أنزله لحياة القلوب والأسماع والأبصار بالماء الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات، وشبه

القلوب بالأودية، فقلب كبير يسع علماً عظيماً كوادٍ كبير يسع ماءً كثيراً، فسالت أودية بقدرها،

واحتملت القلوب من الهدى والعمل بقدرها، وكما أن السيل إذا خالط الأرض ومر عليها احتمل

غناءً وزبداً، فكذلك الهدى والعمل يقتلع الشبهات والشهوات من القلوب ويذهبها)) ٤.

وهذا مثال من السنة النبوية يبين مدى حرصه صلى الله عليه وسلم على أمته فعن جابر

رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً

فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذهن عنها، وأنا آخذ بـجـزكم عن النار وأنتم تفلتون من

يدي)) ٥.

فهو حريص صلى الله عليه وسلم على نجا أمته من النار، ولكن الكفار والعصاة يصرون

جهلاً أو عناداً على اقتحامها ولا يباليون بتوجيهاته صلى الله عليه وسلم وتحذيراته، كما تصر

الجنادب والفراش على اقتحام النار فرحة بنورها، ولا تعتبر بمن يسقط في النار أمامها من مثيلاً.

فهذا مثال حي يبين كيف ينساق الإنسان وراء شهواته ظاناً أنه يحصل السعادة والطمأنينة، ولكنه لا

يصل إلا إلى شقاء في الدنيا والآخرة، بينما لو تمسك بهدي الإسلام لنجا وظفر بسعادة الدارين.

١ الحشر آية ٢١.

٢ سورة إبراهيم آية ٢٥

٣ سورة الرعد آية ١٧

٤ مرجع سابق، بن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ١/١٥٢.

٥ صحيح مسلم ٤/١٧٩٠، كتاب الفضائل، باب شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، حديث رقم ٢٢٨٥.

وبهذا نجد أن ضرب المثل وسيلة مساعدة للتأثير في النفس وإزالة الجهل وحب الشهوات عنها، حتى تعود إلى رشدها وإلى مولاهما.

## ٥ - القصة:

لل قصة أثر كبير على الإنسان؛ لأنها تمثل الحياة بكل معانيها ولأنها محببة إلى النفس؛ فهي تدفع إلى المحاكاة والتقليد لأحداث القصة المختلفة.

وقد حفلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالقصص الهادفة، وبخاصة قصص الأنبياء والمرسلين والأمم السابقة، كما نجد ذلك في التاريخ الإسلامي مما يمكن استغلاله كنموذج للقدوة الحسنة، وللتأثير في النفوس، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>١</sup> والقصص كثيرة في القرآن ولا أجد هنا أفضل من قصة يوسف عليه السلام

مع امرأة العزيز، أخبرنا سبحانه وتعالى عن تفاصيل القصة كاملة في سورة يوسف، وهي توضح لنا بجلاء الاستعلاء عن فتنة النساء، وسأترك الاستاذ عبد الحميد طهماز يحكي لنا القصة: (عاش عليه الصلاة والسلام في قصر عزيز مصر معزلاً مكرماً، ونما وشب أحسن شباب وأجمله وأكمله، وجمع الله تعالى له جمال الخلق وجمال الخلق، وعلمه سبحانه في هذه الفترة من حياته علوماً كثيرة، منها علم تعبير الرؤيا ﴿وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾<sup>٢</sup>، ولما بلغ أشده، أي بلغ الغاية في اشتداد جسمه وقوته، ويكون هذا عادة ما بين الثلاثين إلى الأربعين من عمر الإنسان، آتاه الله عز وجل علم النبوة وحكمتها، وعلمه علوماً كثيرة.

وقد كان عليه الصلاة والسلام وقافاً عند حدود الله المشروعة حتى في أخرج الساعات وأكثرها فتنة وابتلاء.

فأعجبت سيدة البيت زوجة العزيز بجمال يوسف وشبابه ووسامته، وكمال رجولته، ففتنت به، وأحبتة وعشقتة، وشجعها على ذلك كونه عليه الصلاة والسلام يعيش قريباً منها في قصرها، فهو في بيتها يغدو ويروح أمام ناظريها، وهو في ريعان شبابه، وقد حباه الله تعالى نضرة وجمالاً وبهاءً، لا نظير له في زمانه، حتى وصفه صلى الله عليه وسلم عندما رآه ليلة الإسراء والمعراج بقوله: ((... فإذا أنا بيوسف إذا هو قد أعطي شطر الحسن))<sup>٣</sup>.

١ سورة يوسف آية ١١١.

٢ سورة يوسف آية ٦.

٣ صحيح مسلم ١/١٤٦، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم ١٦٢.

ولاشك أن دخول الرجل على المرأة الأجنبية واختلاطه بها من أكبر أسباب الافتتان التي تؤدي إلى الفواحش والزنى ولهذا حرم الإسلام ذلك.

وعندما تفتن امرأة برجل وتشتهي تدنو منه بلطف، وهي تعرض عليه حسناتها وجمالها وتغريه بنفسها؛ ليكون هو المفتون بها والطالب لها.

ولا بد أن تكون امرأة العزيز قد فعلت ذلك، وحاولت أن تلتفت نظر يوسف إلى جمالها ومواضع الفتنة في جسدها. والفرص المواتية لغرضها هذا كثيرة وكبيرة، فقد كانا يعيشان في بيت واحد وتحت سقف واحد، وهي السيدة الآمرة في البيت، مما يدل على طول المحنة التي مر بها يوسف عليه السلام؛ فمدلول كلمة ((وراودته)) يدل على طول المحنة وشدتها، إذ معناها دارت عليه بالخيال، فهي كناية عن المخادعة التي هي لازم معنى: راد يرود، إذا جاء وذهب، فقد دارت عليه بكل حيلة، ونصبت له أشراك الخداع، ولا بد أن يكون عليه السلام قد عرف قصدها وفهم مرادها، فالأنبياء عليهم السلام أذكى الناس وأكثرهم فطنة ونباهة، فكان عليه السلام يسعى ما استطاع أن يفض بصره عنها ويتجاهل نظراتها وحركاتها، ويسعى أيضاً أن يبقى بعيداً عنها.

ومرت أيام، ولعلها شهور وأعوام، على هذه المعركة الصامتة الرهيبة بين الطهر والعفاف، والحياء المتسلح بسلاح الإيمان بالله تعالى من جهة، وبين الشهوة المسعورة المتسلحة بسلاح الفتنة والإغراء والتمكن والسلطان من جهة أخرى.

وكلما ازداد عليه السلام إغراضاً وإباءً ازدادت إقبالاً عليه وشغفاً به، وازدادت هتكاً وإغراءً. وأخيراً فاض بها الكيل، وبلغ السيل الزبي وانتقلت من التلميح إلى التصريح، وقذفت إلى ميدان المعركة كل ما تملك من أسباب الفتنة والإغراء، وأسباب التمكن والسلطان، أمرته بالحضور إلى مخدعها، وضربت عليه الحصار، وطوقته بكل ما عند الأنثى الغنية المترفة من أطواق الإغراء والفتنة، ومن وراء كل ذلك طوقته أيضاً بطوق الحصار المادي عندما غلقت الأبواب، مما يدل على أن ميدان المعركة كان وراء عدة أبواب مغلقة، وقالت: لقد قهيات لك وتزينت لك، فكل ما ترى أمامك لك وحدك. واحتدم الصراع ووصلت المعركة إلى لحظات الحسم، فحسمها عليه الصلاة والسلام بكلمة ((قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي))، وانتصر نبي الله يوسف، انتصرت العفة والبراءة والطهر، على الرذيلة والدناءة والسفاهة، وانتصر من استنصر بالله.

ثم بادر عليه السلام ففر من ميدان المعركة، واتجه مسرعاً نحو أول الأبواب المغلقة، فر عليه السلام وهو المنتصر؛ لأن بقاءه معها وراء الأبواب المغلقة والستائر المسدلة يعرضه للشبهة والتهمة، والعاقل يسعى لدرء الشبهات عن نفسه، ويتجنب مواطن التهمة والريبة.

ولقد علمنا عليه السلام أمراً وهو أن على الإنسان في مثل هذه المواقف أن يتهم نفسه فيفر، ولا يقر مغترّاً بنفسه، زاعماً أنه متمكن منها ومسيطر عليها، فقد يضعف الإنسان أمام نفسه، فتقوده إلى المهالك، وما أكثر الذين انخدعوا بأنفسهم في مثل هذه المواطن فضعفوا وسقطوا.

درسان بليغان وعبرتان كبيرتان فيما فعله يوسف عليه السلام، يحتاج إليهما كل فتى وفتاة في هذا العصر:

**أولهما:** اتهم النفس وعدم الركون إليها والثقة بها.

**وثانيهما:** تجنب مواطن الريبة واتقاؤها، فإذا ما ابتليت ففر ولا تقر، وتذكر نبي الله يوسف عليه السلام، فأنت مهما كنت لست أقوى منه ولا أتقى منه.

ويجب أن يضم إلى فرار الجسد عن مواطن التهمة والريبة وابتعاده عن مواضع الفتنة، فرار آخر بالروح والقلب إلى الله تعالى، كما فعل يوسف عليه السلام.

بعد أن بادر عليه السلام كما قلنا إلى ترك موضع الفتنة، اتجه مسرعاً إلى الباب، واستبدت الشهوة بالمرأة، وطغت على جميع مشاعرها، واندفعت وراءه متهاككة عليه، مع أن المرأة في مثل هذه الحالات تفضل أن تكون مطلوبة لا طالبة، فلا تكتمل لذتها ومتعتها إلا بذلك، وتشبث بشيابه من الخلف وهي تجذبه إليها، فشقت قميصه طولاً من جهة ظهره.

ثم وقعت المفاجأة، إذ فوجئنا بظهور زوجها عند الباب، فبادرت تدفع التهمة عن نفسها وتتهم يوسف عليه السلام، وطلبت أن يسجن أو يعاقب عقاباً أليماً.

مما يدل على أنها أرادت الانتقام من يوسف عليه السلام لكبريائها الجريئة التي مرغها عليه السلام بالتراب، وتبرئة نفسها.

ومن عادة أكثر الناس في مثل هذه المواقف أن تستبد بهم الغيرة فتثور ثائرتهم، وتغلي مراحل الغضب في صدورهم، ويندفعوا دون أدنى تبصر وروية إلى تصديق التهمة، ولكن الله سبحانه أراد أمراً آخر، وهو غالب على أمره، أراد جل وعلا إظهار براءة نبيه يوسف من التهمة التي حاولت هذه المرأة إلصاقها به، وهو سبحانه يدافع عن الذين آمنوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ١، فألهم سبحانه وتعالى زوج المرأة أن يقابل استفزازها له بهدوء وتأن وروية، ويبدو أنه لم يصدق ادعاءها بسبب ما علمه من أخلاق يوسف ونبله وصدقه وأمانته. وبادر عليه السلام إلى الدفاع عن نفسه قائلاً بثبات ورباطة جأش: هي راودتني عن نفسي، فاضطر إلى توجيه التهمة إليها ليدافع عن نفسه، وتدل قرآئن الحال كلها على صدق يوسف



وبراءته، فتغلق أبواب القصر لا يتم إلا بأمرها وإرادتها، وزينتها الكاملة وحرصها على إبداء مفاتيها، ووجودها عند الباب، كل ذلك يدل على كذبها، ولو كان عليه السلام طالباً لها لحاصرها في الداخل لا عند الباب.

وقد قدر الله أن يجعل في قميصه الدليل القاطع على براءته عليه السلام وصدقه، وأن يجيء ذلك على لسان شاهد من أهل امرأة العزيز الذي قال: إن كان قميصه قد من جهة صدره فصدمت في ادعائها، وهو من الكاذبين، لأن تمزيق القميص في هذه الحالة يدل على أنه هو الطالب لها وأنها كانت تدفعه عنها. وإن كان قميصه قد من جهة ظهره فكذبت وهو من الصادقين، لأنه يدل على أنها كانت تطلبه وهو معرض عنها. فلما رأى قميصه قد من دبر، تأكد زوجها من صدق يوسف عليه السلام وبراءته، وعرف كذبها وخيانتها، ومع ذلك لم يفعل شيئاً سوى أن قال على وجه العموم دون أن يوجه كلامه إليها: إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم.

وهذا يعطينا صورة لما يحدث في المجتمعات الغنية المترفة المنحلة البعيدة عن الإيمان بالله تعالى، فالأنهمالك في السرف والترف قد جمد مشاعرهم البشرية، وأضعف الإحساس الفطري الطبيعي في غيرهم على أعراضهم وشرفهم، وهذا ما نشاهده في العصر الحاضر في المجتمعات المادية الغربية من تبلد في المشاعر يصل في كثير من الحالات إلى حد الديانة ١.

واكتفى عزيز مصر بتوجيه بعض اللوم والعتب إلى زوجته بأسلوب الوعظ والنصح بعد أن أمر يوسف عليه السلام بكتمان ما حدث.

ولكنها ما زالت عاشقة له، مشغوفة به، مصممة على أن تنال مرادها منه، ولو بالتهديد والسجن. مما يدل على أن الفضيحة لم تؤثر على مكانتها ولم تضعف سلطانها. ولم تستطع هذه المرأة بكل سلطانها وجمالها وأنوثتها أن تنتصر على نبي الله يوسف عليه السلام، الذي لا يزال يعيش قريباً منها، في قصرها، وتحت أمرها، وسلطانها، وانضم إليها جميع من تعرف من المترفات، يعرض معها كل ما يملكن من أسباب الفتنة والإغراء وأسباب الوعيد والتهديد.

وما كان عليه الصلاة والسلام صخرة صماء، لا إحساس لها ولا شعور، بل كان قلباً إنسانياً كريماً رحيماً، ينبض بأعلى المشاعر وأرفعها، ولهذا اتجه إلى الله تعالى، يدعو، وهو واقف بينهن، وهن يراودنه عن نفسه، ويتبارين في عرض فتنتهن وجمالهن عليه، فاختر السجن رغم أن فيه إضراراً ببدنه ونفسه، ولكن ما يدعونه إليه فيه إضرار بدينه وخلقه، ثم تواضع لله تعالى وأظهر افتقاره لمعونته سبحانه، فجرد نفسه عن كل حول وقوة، فلا حول له إلا بالله تعالى، ولا ثبات له في محنته إلا بتثبته

١ الديانة: فقد الغيرة والحجل، والديوث الذي لا يغار على أهله، انظر مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب، ١٤٩/٢ بتصرف.

سبحانه، فأقبل عليه جل جلاله يناجيه بضراعة وخشوع ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١﴾ ، ونفذت امرأة العزيز تهديدها ووعيدها بعد أن نيست من نيل مرادها ودخل عليه السلام السجن) ٢ .

حقيقة إن السجن بلاء، وضيق، وتعب نفسي وجسدي، ولا أحد يطيقه، لكنه عليه الصلاة والسلام آثره على الفتنة، وارتكاب الفاحشة، مهما كان الثمن. هذا هو الثبات على الحق وعلى الطاعة رغم الابتلاء والمحن.

## ٦ - الترغيب والترهيب:

خلق المولى عز وجل في الإنسان صفات فطرية متعددة ليميز عن باقي المخلوقات، ومنها صفات الخوف والرجاء، ( فهاتان الصفتان تحديداً يحددان مشاعر الإنسان وسلوكه وأفكاره. وهما خطان متقابلان في النفس البشرية، لذا يركز المنهج القرآني عليهما، ويربط بهما توجيهاته وأوامره ونواهيه حتى تتلازم في أعماقه وهذا ما يعرف بالترغيب والترهيب ) ٣

وهو بذلك يتماشى مع طبيعة النفس البشرية التي تحتاج دائماً وأبداً إلى عنصري الترغيب والترهيب. الترغيب في الخير، والحث عليه وبيان أجر فاعله وجزائه في الدنيا والآخرة، والترهيب من الشر، وبيان ما يترتب عليه من العقاب السيئة في الدنيا والآخرة ولذلك جاءت رسالات الأنبياء والمرسلين جميعهم متضمنة هذا الهدف الأساسي والعظيم قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ ﴿١٦٥﴾ ٤ وقال جل شأنه: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ٥. وكذلك جاءت رسالة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ

١ سورة يوسف آية ٣٣ - ٣٤.

٢ طهماز، عبد الحميد، الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف، ط ١، دار القلم، دمشق/الدار الشامية، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ٤٠/١١ - ٦٤ بتصرف، ويمكن الرجوع لقصة يوسف عليه السلام كاملة في سورة يوسف.

٣ قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ط ٤، دار الشروق، بيروت / القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ١/ ١٣٨ بتصرف.

٤ سورة النساء آية ١٦٥.

٥ سورة الأنعام آية ٤٨ - ٤٩.

أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٦﴾ ١ وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١٧﴾ ٢ .

ولقد حفلت آيات الكتاب الحكيم والأحاديث النبوية بالحض على الطاعات والتحذير من المنكرات عن طريق الترغيب والترهيب، لكي تسارع النفس إلى مرضاة الله عز وجل، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١١٨﴾ لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبُدُونَ فَاتَّقُونَ ﴿١١٩﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَكْثَرُ ﴿١٢١﴾ أَفَمَن حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٢٢﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مَالَهُمْ هُمُ عُرْفٌ مِّن فَوْقِهَا عُرْفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿١٢٣﴾ ٣ ، والمتأمل في هذه الآيات الكريمة لا بد أن تفتت أعماق نفسه حين يرى التقابل الواضح بين مشاهد النعيم لأهل الجنة، ومشاهد الشقاء والعذاب لأهل النار .

وروى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد)) ٤ وفي هذا ((تنبيه للمؤمن أن لا يغتر بالرجاء ويترك الخوف فيدعوه ذلك إلى التكاثر عن الطاعات، وترغيب الكافر أن يبادر إلى الإيمان وأن لا يقنط من رحمة الله سبحانه مهما بدر منه، فالإيمان يجب ما قبله، ولعل هذه الومضة من الرجاء تنير قلبه وتكون سبباً في هدايته)) ٥، وهكذا يحقق الترغيب والترهيب دوراً كبيراً في حفظ المؤمن من الوقوع في الفتنة.

مع استخدام الأساليب العملية السابقة يحتاج الإنسان لتزكية نفسه وفلاحها أن يتبع معها الخطوات الآتية:

١ - التوبة :

وحقيقتها الندم على ما فات وما كان منه في الماضي والتخلي عن سائر الذنوب والمعاصي في الحاضر، والعزم على عدم العودة إلى الذنب مستقبلاً. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا

١ سورة البقرة آية ١١٩ .

٢ سورة سبأ آية ٢٨ .

٣ سورة الزمر آية ١٥ - ٢٠ .

٤ صحيح مسلم ٢١٠٩/٤، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأما سبقت غضبه، حديث رقم ٢٧٥٥ .

٥ كرزون، د. أنس، أحمد، منهاج الإسلام في تزكية النفس، ط ٢، دار نور المكتبات، جدة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ١/٤٧٥ .

إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿١﴾

والتخلص من الذنوب بالتوبة يعين القلب والنفس على مواصلة الخير؛ لأن الذنوب تعيق العبد عن ذلك فلا يجد إقبالا على طاعة الله، ولا حضور مجالس الذكر، والإنسان في حياته لا يخلو من الزلل أو الوقوع في صغير أو كبير من الذنوب يوسوس له الشيطان بها ويزينها له، فإذا أراد الانطلاق والتخلص من هذه الأوزار الثقيلة فعليه بالتوبة قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ

يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾

هذه الآيات تصف التوابين الذين وقعوا في المعاصي ثم عادوا إلى الله سبحانه وتعالى، ويوضح ابن عطية معنى الآيات بقوله: ( فعلوا فاحشة: لفظ عام يعم جميع المعاصي وقد كثر اختصاصه بالزنا، وقال قوم: الفاحشة هنا إشارة إلى الكبائر، وظلم النفس إشارة على الصغائر، و"ذكروا الله" معناه: بالخوف من عقابه والحياء منه، إذ هو المنعم المتطول، و"استغفروا" معناه طلبوا الغفران، واللام معناها: لأجل ذنوبهم، ثم اعترض أثناء الكلام قوله تعالى: "ومن يغفر الذنوب إلا الله" اعتراضاً موقفاً للنفس، داعياً إلى الله، مُرجياً في عفوهِ، إذا رجع إليه، وقوله تعالى: "ولم يصروا" الإصرار معناه: اعتزام الدوام على الأمر وترك الإقلاع عنه، والمعنى: اعتزام البقاء على الذنب. "وهم يعلمون" قال السدي: معناه وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا، وقال ابن إسحاق: وهم يعلمون بما حرمت عليهم. وقيل: وهم يعلمون أي أعاقب على الإصرار. "أولئك جزاؤهم" وهذه تؤذن بأن الله تعالى أوجب على نفسه بهذا الخبر الصادق قبول توبة التائب) ٣

فإذا قبلت التوبة وغفر سبحانه الذنوب، كان ذلك فرصة للعبد أن يبقى نقياً من الذنوب التي تعيق مسيره إلى الله وتدنيه من الفتن والوقوع في المهالك، وكان دخول الجنات المثوبة العظمى وهذا أسمى ما يرنو إليه المسلم من وراء سعيه لطاعة الله سبحانه وتعالى فالبدار.. البدار إلى التوبة قبل فوات الآوان، ساعتها لا يتقبل الله التوبة، كما حصل مع فرعون الذي عرف الله وآمن به عند الغرق، فما نفعه ذلك الإيمان..

١ سورة التحريم آية ٨ .

٢ سورة آل عمران آية ١٣٥

٣ ابن عطية، القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، الخمر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ، ١/٥١٠ - ٥١١ بتصرف.

## ٢ - المراقبة:

والمراقبة أن يجعل المسلم ربه نصب عينيه، ويلزم نفسه بذلك حتى يصبح عنده يقين بأن الله تعالى مطلع عليه، عالم بأسراره، رقيب على كل حركاته وسكناته، فيقبل عليه بالطاعة، ويعرض عن المعصية والشهوات. قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ ١، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٢، قال عبد الله بن المبارك:

من راقب الله رجع

عن سوء ما كان صنع ٣

فمراقبة الله في السر والعلن تجعل المرء حذراً، وحساساً للذنوب، والشهوات، فلا يقع فيها. وسئل ذو النون: ((بم ينال العبد الجنة؟ قال بخمس: استقامة ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب)) ٤.

ومع هذا يجب على المرء الحذر من الغفلة، وهذا من ضرورات المراقبة فالغفلة هي التي تحجب القلب فيقع فريسة سهلة للفتن وفي هذا يقول الأستاذ حسن أيوب: ((والعجب كل العجب من إنسان أخبره الله تعالى بأنه يسلك طريقاً شائكاً وعرّاً مليئاً بالمخاطر والمهالك، وأن عليه أن يستشعر هذه المخاطر والمهالك، ويتصور آثارها على مستقبله الا بدني ومع ذلك تراه غافلاً منصرفاً عن جميع المحاذير، ومنشغلاً بالتفاهات والدنيا في دنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ما هو خير ارتضاه الله وزكاه.

وما أصيب الإنسان بمرض أشد عليه وبالألم من مرض الغفلة الذي قد يتحول إلى جهود وقسوة، ثم إلى لجاج وعناد ثم إلى كفران وجحود — أعاذنا الله منه — نجد كل امرئ عنده اندفاع ذاتي نحو تأمين مستقبله الدنيوي، مع أنه سمع من الكتاب الكريم وقرأ فيه أن مستقبله بيد الله وحده، وأن

١ سورة البقرة آية ٢٣٥.

٢ سورة يونس آية ٦١.

٣ مرجع سابق، د. محمد بن لطفى الصباغ، أقوال مأثورة وكلمات جميلة ١/٥١٥.

٤ مرجع سابق، سعيد حوى، المستخلص في تزكية الأنفس، ص ١٢٤ — ١٢٥.

الله لن يعطيه إلا ما كتب له، وأن عليه أن يسلم قياده لله وحده ويقوم بدينه وشرعه وله بعد ذلك سعادة الدنيا والآخرة.

إن الذين غمر الإيمان قلوبهم واستحوذت معرفتهم بالله على مشاعرهم ووجدانهم وأيقنوا بقاء الله تعالى وسماع الحكم منه في مصائرهم هؤلاء هم الذين: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ١، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ٢، ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ٣ ويقولون ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ٤، هؤلاء هم الذين احترمو آدميتهم وكرامتهم وبنوا لأنفسهم صروح المجد الخالد، والعز الباقي، والسعادة الابدية. هؤلاء منهم القائل:

إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا فُطِنَّا  
طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَةَ  
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا  
أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحِيٍّ وَطَنًا  
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَأَتَّخَذُوا  
صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفْنًا ٥

قال عبد الله بن دينار<sup>٦</sup>: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة فعرسنا<sup>٧</sup> في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل، فقال له: يا راعي بعني شاة من هذه الغنم فقال: إني مملوك، فقال: قل لسيدك: أكلها الذئب، قال: فأين الذئب؟ قال: فبكي عمر رضي الله عنه ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك في الآخرة) ٨

فدوام المتابعة والمراقبة للنفس، يجعلها متيقظة لأي معصية، أو شهوة، فلا تقع فيها، وإن وقعت فيها أسرعمت بالتوبة والإقلاع.

١ سورة السجدة آية ١٦.

٢ سورة المائدة ٨٣.

٣ سورة الأنفال آية ٢.

٤ سورة الفرقان آية ٦٦.

٥ أيوب، حسن، رحلة الخلود، ط ٥، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص ٩٦ - ٩٩ بتصرف.

٦ عبد الله بن دينار: هو الإمام المحدث الحجة أبو عبد الرحمن العمري العدوي العمري مولاهم المدني، سمع ابن عمر وأنس بن مالك وسليمان بن يسار وأبا صالح السمان وجماعة، تفرد بحديث عن ابن عمر، توفي سنة سبع وعشرين ومئة. انظر: مرجع سابق، سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٥٣/٥ - ٢٥٥ بتصرف.

٧ فعرسنا: عرس المسافر: نزل في وجه السحر، وقيل التعريس: الزول في المعهد أي حين من ليل أو نهار. انظر: مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب ١٣٧/٦.

٨ مرجع سابق، مجموعة من العلماء، موسوعة نظرية النعيم ٣٣٧٠ / ٨.

## ٣ - المحاسبة:

لا بد لكل مسلم أن يقف مع نفسه ويحاسبها، ويعرف ما قدم من خير ليستمر ويستزيد منه، وما قدم من شر فيتركه ويتوب منه، قال الحسن يرحمه الله: ((إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همه)) ١ .

وتكون المحاسبة يومية، تماماً كالتاجر الذي يجرد حساباته يوماً بيوم، فلا يقع في خسارة بإذن الله أبداً، وأعظم التجارة ما كانت مع الله، فكان لا بد من وقفة لمحاسبة النفس. قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾  
٢ .

قال الإمام ابن القيم: ((هذه الآية تدل على وجوب محاسبة النفس)) ٣ .

وقال سيد قطب يرحمه الله فيها: ((والتقوى حالة تجعل القلب يقظاً حساساً شاعراً بالله في كل حالة، خائفاً متحرجاً مستحيياً أن يطلع عليه الله في حالة يكرهها، وعين الله على كل قلب في كل لحظة، فمتى يأمن أن لا يراه؟! ((ولتنظر نفس ما قدمت لغد)) وهو تعبير كذلك ذو ظلال وإبحاءات أوسع من ألفاظه، ومجرد خطوره على القلب يفتح أمامه صفحة أعماله بل صفحة حياته، ويمد بصره في سطورها كلها يتأملها وينظر رصيده بحسابه بمفرداته وتفصيلاته، لينظر ماذا قدم لغده في هذه الصفحة، وهذا التأمل كفيلاً بأن يوقظه إلى مواضع ضعفه ومواضع نقصه ومواضع تقصيره، مهما يكن قد أسلف من خير وبذل من جهد، فكيف إذا كان رصيده من الخير قليلاً، ونصيبه من البر ضئيلاً؟ إنما لمسة لا ينام بعدها القلب أبداً، ولا يكف عن النظر والتقليب!

ولا تنتهي الآية التي تنير كل هذه المشاعر حتى تلح على القلوب المؤمنة بمزيد من الإيقاع: ((واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)) فتزيد هذه القلوب حساسية ورهبة واستحياء، والله خبير بما

يعملون)) ٤ وقال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِبَوِّ الْقِيَمَةِ﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ٥ ، قال ابن كثير في تفسيرها: ((وأما النفس اللوامة فقال قره بن خالد عن الحسن البصري في هذه الآية إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي،

١ مرجع سابق، مجموعة من العلماء، موسوعة نضرة النعيم ٣٣٢٢/٨ - ٣٣٢٣ .

٢ سورة الحشر آية ١٨ .

٣ مرجع سابق، ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ٨٤/١ .

٤ مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٥٣١/٦ .

٥ سورة القيامة آية ١ - ٢ .

وإن الفاجر يمضي قدماً قدماً ما يعاتب نفسه. وعن مجاهد: تندم على ما فات وتلوم عليه))<sup>١</sup> وهذا يبين أهمية المحاسبة.

والمحاسبة تكون بعد العمل، فقد ورد عن ميمون بن مهران <sup>٢</sup> أنه كان يقول: لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه، والشريكان يتحاسبان بعد العمل))<sup>٣</sup> ويروى عن عمر بن الخطاب قال: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية))<sup>٤</sup>.

فالمؤمن دائم المحاسبة لنفسه، في أكله وشربه وكلامه، وكل أحواله، ولا يشغل بعيوب الناس عن نفسه، فهو دائم التعهد لها يصلحها أولاً بأول، يعينه في ذلك محاسبته الشديدة لها.

**وهناك أمور تعين على المحاسبة ( من أبرزها:**

**١ - استشعار رقابة الله على العبد وإطلاعه على خفاياه ° :**

الله سبحانه لا تخفى عليه خافية، يعلم السر وأخفى، واستشعار هذه الرقابة الربانية كفيلاً أن يوقظ المسلم من غفلته فتقوى إرادته لمحاسبة نفسه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْسُوسًا بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿٦٦﴾ إِذْ يَنْتَقِي الْمَتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿٦٧﴾ مَا يَلْفِطُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿٦٨﴾﴾<sup>٥</sup>

**٢ - تذكر الحساب الأكبر يوم القيامة:**

الحقيقة التي ينبغي للمسلم أن لا يغفل عنها أن الله سبحانه سيحاسب العباد يوم القيامة ويسألهم عما قدموا من خير أو شر، ويومها يجد الإنسان أعماله وقد أحصيت عليه لا يغيب منها ولا مثقال ذرة، فلكي ينجو العبد من مواقف الخزي يوم القيامة ويحظى برحمة الله فيكون من الفائزين، لا بد أن يحاسب نفسه في الدنيا. قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبًا ﴿٤٧﴾﴾<sup>٦</sup>

١ مرجع سابق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٤٨٨ - ٤٤٩ بتصرف.

٢ ميمون بن مهران، الإمام الحجّة، عالم الجزيرة ومفتيها، أعتقت امرأة من بني نصر بن معاوية بالكوفة، فنشأ بها، ثم الرقة، توفي سنة سبع عشرة ومئة. انظر: مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥ / ٧١ - ٧٨ بتصرف..

٣ مرجع سابق، سعيد حوى، المستخلص في تركية الأنفس، ص ١٢٦.

٤ مرجع سابق، ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصادد الشيطان ١ / ٩٤.

٥ انظر: ص ٢٠٢ - ٢٠٣ من هذا الفصل.

٦ سورة ق آية ١٦ - ١٨.



١ ، فإذا اراد العبد أن يحاسب نفسه فليتذكر مشاهد القيامة وليتخذ منها العبرة حتى تقوى في نفسه المهمة على المحاسبة .

### ٣ - مطالعة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح:

لا شك أن من أعظم الوسائل العملية في تزكية النفس أن يطالع العبد سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام والسلف الصالح، ويرى اجتهادهم في العبادة ومسارعتهم إلى نيل رضاء الله، وبذلك يرى نفسه مقصراً مهما بذل من الطاعات فيسارع إلى محاسبة نفسه على كل عمل يعمل، وكل وقت يضيعه، ليلحق بالسابقين، لكنه إذا غفل عن هذا الجانب ونظر إلى غيره من العصاة فإنه سيصاب بالغرور والرضى عن النفس، وتلك آفة مهلكة ومدخل من مداخل الشيطان لا خلاص منها إلا بالإكثار من مطالعة سير الصالحين من الأنبياء والصدّيقين والعلماء العاملين، وأن يقيس نفسه بما ورد في القرآن الكريم من أوصافهم كما في أوائل سورة المؤمنون وآيات عباد الرحمن في سورة الفرقان ونحو ذلك (٢) .

قال منصور بن عمار ٣: سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابداً يناجي ربه وهو يقول: ((يا رب وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك، ولا عصيتك إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولا لنظرك مستخف، ولكن سولت لي نفسي، وأعاني على ذلك شقوتي، وغربي سترك المرخي علي، فعصيتك بجهلي، وخالفتك بفعلي، فمن عذابك الآن من يستنقذي؟ أو بجبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني؟ وإسوأته من الوقوف بين يديك غداً إذا قيل للمخفين جوزوا وقيل للمتقلبن حطوا، أمع المخفين أجوز أم مع المتقلبن أحط؟ ويلى كلما كبرت سني كثرت ذنوبي، ويلى كلما طال عمري كثرت معاصي، فألى متى أتوب وإلى متى أعود؟ أما آن لي أن أستحي من ربّي)) ٤

فالنفس تتمنى الفوز والسعادة والطمأنينة، ولكن لا بد من العمل لتحقيق ذلك. والمسلم لا يستغني عن المحاسبة بأي حال من الأحوال.

### ٤ - المجاهدة:

إن أعدى أعداء الإنسان نفسه التي بين جنبيه، وهي بطبعها تميل إلى الدعة، وتنجر مع الهوى، تستهويها الشهوات العاجلة، فعلى المسلم أن يجاهدها، فإذا أحببت الشهوة حرمها، وإذا

١ سورة الأنبياء آية ٤٧.

٢ مرجع سابق، د. أنس كرزون، منهاج الإسلام في تزكية النفس، ١/٣٤٠ - ٣٤٥ بتصرف.

٣ منصور بن عمار ابن كثير الواعظ، البليغ الصالح، الرباني أبو السري السلمي الخراساني، وقيل البصري، كان عديم النظر في الموعظة والتذكير، وكان زاهداً، ولوعظه وقع في النفوس، وتوفي في حدود المتين. انظر: مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩/٩٣ - ٩٨ بتصرف.

٤ مرجع سابق، سعيد حوى، المستخلص في تزكية الأنفس، ص ١٣٢.

قصرت في طاعة الله عاقبها، وألزمها بفعل ما قصرت فيه، وألزمها أيضاً بقضائه، يأخذها بهذه الطريقة حتى تطهر وتطيب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>١</sup> وهذه غاية المجاهدة، وهذا هو درب الصالحين؛ لأن النفس لا تستقيم ما لم يجاهدها على الاستقامة، فهذه ابنة الربيع بن خثيم<sup>٢</sup> تقول له: ((يا أبت مالك لا تنام والناس ينامون؟ فقال: إن النار لا تدع أباك ينام))<sup>٣</sup>، والمجاهدة شاقة على النفس، وتزداد المشقة كلما كانت النفس قد تحكمت فيها الأهواء، والشهوات.

## وهناك أمور تعين على المجاهدة هي: أ - الصبر:

فعلى العبد أن يتحلى بالصبر ليفلح في مجاهدة نفسه، وبذلك نجد أن الصبر بكل حالاته داخل في مجاهدة النفس: نعم.. إن الصبر أمام الفتن تربية للنفوس، وإعداد لها كي لا تطير مع كل نازلة، ولا تذهب حسرة مع كل فاجعة، ولا تنهار أمام الشدة. ((إنه التجمل والتماسك والثبات حتى تنقشع الغاشية، وترحل النازلة، ويجعل الله تعالى بعد عسر يسراً))<sup>٤</sup>.

ويدخل في الفتنة التي يجب أن يقف المسلم تجاهها بسلاح الصبر ما يقدر الإنسان على إزالته بنفسه، لكنه يحتاج إلى مقاومة الصراع والكيد الذي يبذله إبليس وأعوانه من شياطين الإنس والجن لإضلال البشر، وهي فتنة المعصية. إذ إن النفس البشرية ميالة إلى الشهوات، فإذا قهرها الإنسان بالصبر عنها نجح، وإلا وقع في شر عظيم، وبلاء عريض.

وإن من أهم المعاصي التي ينبغي التنبيه لها، والحذر منها، ومقاومتها بسلاح الصبر تفشي المنكرات، والمجاهرة بالفسق والفساد، حتى إنه ليصبح المستمسك بالسنة، الصابر على الدين مثل القابض على الجمر، يشعر بحارته، وإحراقه، ويهم في كل لحظة بتركه وإلقائه.

ومن المعاصي الفاتنة التي يجب مواجهتها بالصبر ما يكون ميسراً فعلة كمعاصي اللسان من الغيبة والنميمة، والكذب، والمراء ونحوها، فإن الصبر عن مثل هذه المعاصي أثقل، وقد يرى

١ سورة العنكبوت آية ٦٩.

٢ الربيع بن خثيم، ابن عائد، الإمام القدوة العابد، أبو يزيد الثوري الكوفي، أحد الأعلام، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يُعد من عقلاء الرجال، قال له ابن مسعود رضي الله عنه: يا أبا يزيد لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك، وما رأيك إلا ذكرت المُخْبِتِينَ، قيل توفي قبل سنة خمس وستين. انظر: مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/٢٥٨ - ٢٦٢ بتصرف.

٣ الصالح، الدكتور محمد أديب، الريانيون قدوة وعمل قراءة في التربية والسلوك، ط ١، دار الوطن، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٢٤٦.

٤ فائر، أحمد، طريق الدعوة في ظلال القرآن، ط (بدون)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ١/٢٠٠.

الإنسان يلبس حريراً فيستنكر ذلك، ويغتاب أكثر نهاره، فلا يستنكر ذلك، فأى فتنة أعظم من هذه الفتنة، وأي صبر أعظم من الصبر عن مثلها.

ومن الفتن التي لا بد للإنسان أن يقف أمامها بسلاح الصبر فتنة الدنيا وزينتها، تلك الفتنة التي إذا أقبلت على الإنسان أخذت بمجامع قلبه ونفسه، ولم يسلم منها إلا منتبه متيقظ. إنها الفتنة بالسراء لا بالضراء، وبالغنى لا بالفقر، وقد قال سبحانه: ﴿وَيَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۗ﴾ ١. نعم إن المؤمن محتاج إلى الصبر على فتن الدنيا وشهواتها، فلا يطلق لنفسه العنان للجري وراء شهواتها.. (فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال، والركون إليها، والانهماك فيها أخرجته ذلك إلى البطر والطغيان، فوقع في الفتنة، ولهذا قال بعض الصالحين:

البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي ٢ لا يصبر عليها إلا صديق) ٣. قال أبو عبد الله المقرئ: ((كان معنا شاب مجتهد إذا فرغ من تهجده يقول شيئاً لم أك أفهمه، فقممت إليه في ليلة ظلماء من حيث لا يراني فسمعتة يقول بصوت حزين وبكاؤه يغلبه: مثلت في نفسي الجنة آكل ثمارها وأعانق أزواجها وألبس من حليها، ومثلت في نفسي النار آكل من زقومها وأشرب من حميمها وأعالج أغلالها فقلت: يا نفس أي شيء تريدان الآن؟ فقالت: أن أرد إلى الدنيا فأعمل، قلت: الآن أنت في الأمنية فاعلمي ثم ينشد:

وَكَيفَ تُحِبُّ أَنْ تُدْعَى حَكِيمًا      وَأَنْتَ لِكُلِّ مَا تَهْوَى رَكُوبٌ  
وَتَضْحَكُ دَائِمًا ظَهْرًا لِبَطْنٍ      وَتَذْكُرُ مَا عَمِلْتَ فَلَا تُتُوبُ )) ٤

ومن الصبر عن فتن الدنيا الصبر عن التطلع إلى دنيا الآخرين، والاعتزاز بما ينعمون به من مال وبنين، وبخاصة الطغاة المغرورين منهم، فإن ما في أيديهم إنما ظاهره نعمة وباطنه نقمة قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۗ﴾ ٥.

نعم إنه لا بد من الصبر على ما يفعله بعض الحكام — وخاصة في هذا الزمان — من محاولة لإغراء العلماء والدعاة بالمال والمنصب والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية لصرفهم عما هم عليه، لا بد هنا من الصبر ومقاومة الإغراء، ولا بد كذلك إذا استعلى العالم أو الداعية على الإغراء المادي أن

١ سورة الأنبياء آية ٣٥.

٢ العوافي: جمع عافية وهي: الصحة ضد المرض، انظر: مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب، ٧٣/١٥ بتصرف.

٣ القرطبي، د. يوسف، الصبر في القرآن، ط (بدون)، ص ٤٢ بتصرف يسير.

٤ البيهقي، الإمام الحافظ أبو بكر، أحمد بن الحسين، كتاب الزهد الكبير، حققه وخرج أحاديثه وفهرسه الشيخ عامر أحمد حيدر، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت — لبنان، ١٤١٧هـ — ١٩٩٦م، ص ١٧٠ — ١٧١.

٥ سورة طه آية ١٣١.

يصبر على التهديد والتخويف والتضييق، ولربما أخرج من بلده، أو قُتل، أو أُودي في نفسه وأهله وماله، ولا بد من احتمال هذا الأذى أيضاً في سبيل الله تعالى.

وهنا أمر مهم جداً يتعلق بعلماء الإسلام، ودعاته، الذين يتعرضون للفتنة والحنة، بسبب دعوتهم إلى الله تعالى إذ لا بد لهم عند مواجهة الفتنة من الصبر والاحتمال، وإلا وقعوا في فتنة أعظم، وبليّة أكبر. وهاهو القرآن العظيم يحث نبي الله محمداً صلى الله عليه وسلم وهي موعظة لكل مؤمن يسير على نهج الله عليه الصلاة والسلام يحثه على مواجهة فتنة قومه بالصبر والمصابرة في أكثر من موضع من القرآن الكريم:

﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ١.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْرِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ ٢.

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ ٣.

نعم إن هذه الآيات الكريمة درس بليغ، وموعظة عظيمة لكل داع إلى الله تعالى يواجه من قومه الاضطهاد والتعذيب.

وإن من صبر على هذا الطريق فقد استحق الإمامة في الدين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا

مَنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ٤ (٥).

ثم إن من يجاهد نفسه يمتلك ناصية الخير ويصبح حسن الأخلاق، نقل ابن رجب في مجاهدة النفس عن أبي بكر قوله: ((وهذا الجهاد يحتاج أيضاً إلى صبر، فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه غلبهم، وحصل له النصر، والظفر، وملك نفسه فصار ملكاً عزيزاً، ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك غلب وقهر وأسر، وصار عبداً ذليلاً أسيراً في يد شيطانه وهواه كما قيل:

إذا المرء لم يغلب هواه أقامه  
بمثلة فيها العزيز ذليل)) ٦

وقال يحيى بن معاذ الرازي ٧: ((جاهد نفسك بأسيايف الرياضة، والرياضة على أربعة

أوجه: القوت من الطعام، والغمض من المنام، والحاجة من الكلام، وحمل الأذى من جميع الأنام، فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات، ومن قلة المنام صفو الإرادات، ومن قلة الكلام السلامة من

١ سورة النحل آية ١٢٧.

٢ سورة الأحقاف آية ٣٥.

٣ سورة المزمل آية ١٠.

٤ سورة السجدة آية ٢٤.

٥ مرجع سابق، عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني، الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن، ص ٤٥٣ — ص ٤٦١ بتصرف.

٦ مرجع سابق، الغزالي، إحياء علوم الدين ٦٦/٣.

٧ سبقت ترجمته ص ١١٦.

الآفات، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات، وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء، والصبر على الأذى، وإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام، وهاجت منها حلوة فضول الكلام جرّدت سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وسيوف قلة المنام وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام، حتى تنقطع عن الظلم والانتقام، فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام، وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتهما، فتصير عند ذلك نظيفة ونورية، خفيفة روحانية، فتجول في ميدان الخيرات، وتسير في مسالك الطاعات، كالفرس الفارة في الميدان، وكالمالك المتتره في البستان))<sup>١</sup> فالصبر زاد المجاهدة، والدافع لاستمرارها، ومن عدم الصبر لم يفلح في مجاهدة نفسه.

ومما يحكى عن الإمام بشر الحافي<sup>٢</sup> يرحمه الله : ((أنه سار ومعه رجل في طريق فعطش صاحبه، فقال له: تشرب من هذه البئر؟ فقال بشر: اصبر إلى البئر الأخرى، فلما وصلا إليها قال له: البئر الأخرى. فما زال يعلله . ثم التفت إليه فقال له: هكذا تنقطع الدنيا .

ويقول ابن الجوزي معلقاً على هذه الحادثة: ومن فهم هذا الأصل علل النفس وتلطف بها، ووعدا الجميل لتصبر على ما قد حملت، كما كان بعض السلف يقول لنفسه: والله ما أريد بمنعك

من هذا الذي تحبين إلا الإشفاق عليك))<sup>٣</sup>

## ب - التخلص من حب الدنيا:

حب الدنيا من الأسباب الخطيرة للوقوع في الفتن، وارتكاب المنكرات، قال صلى الله عليه وسلم: ((يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير؛ ولكنكم غثاء كغثاء السيل وليترعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت))<sup>٤</sup> .

فالعاقلة من أخرج حب الدنيا من قلبه، ((وأنتفع ما عالج به المؤمن أمر دينه: قطع حب الدنيا من قلبه، فإذا فعل ذلك هان عليه ترك الدنيا، وسهل عليه طلب الآخرة، ولا يقدر على قطعه إلا بأداته، أما إني لا أقول: أداته الفقر، وقلة الشيء، وكثرة الصيام، والصلاة، والحج، والجهاد، ولكن

١ مرجع سابق، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح، ٣٣١٦/٨.

٢ بشر الحافي : هو بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي، أبو نصر، المعروف بالحافي، من كبار الصالحين، له في الزهد والورع أخبار، وهو من تقات رجال الحديث، سكن بغداد وتوفي بها. انظر : مرجع سابق، الأعلام للزركلي ٥٤/٢ .

٣ البلاي، عبد الحميد، منهج التابعين في تربية النفوس، ط١، دار الدعوة للنشر، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ٥١ - ٥٢ .

٤ سنن أبي داود ١١١/٤، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، برقم ٤٢٩٧، حديث صحيح، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٦٤٧/٢، برقم ٩٥٨.

أصل أداته: الفكر، وقصر الأمل، ومراجعة التوبة والطهارة، وإخراج الكبر من القلب، ولزوم التواضع، وعمارة القلب بالتقوى، وإدامة الحزن، وكثرة الهم بما هو وراود عليه.

وما أكثر من يعمل هذه الأعمال التي وصفنا، وحب الدنيا في قلبه زائد، وكثير من الناس لا يكثر من هذه الأعمال، وحبه للدنيا في نقص، لأنه أخذ من وجهه، ووجهه: أن يلزم نفسه الفكر، ويقصر عليه الأمل، ولكن يأخذ الأشياء من حيث أباحها الله، فيضعها حيث أمره الله، ويلزم قلبه ذكر قرب مفارقتها، ومفارقة ما فيه، وما يصير إليه من الشدائد، من القبر، والوقوف بين يدي الله عز وجل، وطول الحساب، ولا يدري في أي الصنفين عدده، ولا في أي الزمرتين اسمه، أي الذين يحشرون إلى الجنة زمراً، أم في الذين يحشرون إلى جهنم ورداً؟

وتفكر في ذنوبه التي لو أخذ أهل الدنيا بذنب منها هلكوا، وطول خلود أهل النار في النار، وأشد من ذلك غضب الله على أهل النار، ولما يخاف أن يفوته من رضى الله عن أهل الجنة. ويُقلُّ الفكر في الدنيا ونعيمها، فإن القلب مع الفكر يحيا إن كانت الفكرة في الآخرة، ويموت إن كانت الفكرة في الدنيا)) ١.

ولا نقصد بالتخلص من حب الدنيا، أن يكرهها، ولكن أن لا يجعلها همه الأكبر، ويفتن بمباهجها. بل يجعل لنفسه همة عالية ويجعل طموحاته أكبر من الدنيا، فصاحب الهمة العالية لا تقف طموحاته عند حد الحياة الدنيا، بل يتجاوزها إلى ما هو أفضل وأدوم منها، فهو دائم التطلع للوصول إلى العلياء.

حينما يعلم الإنسان حقيقة الدنيا، فسيجد أن حطامها ليس بالذي يشبع طموحاته ويحقق تطلعاته. فالإنسان يريد السعادة الدائمة، ويريد الخلود في الدنيا، وهذا ما لا يمكن أبداً. فلا بد أن يبحث له عن هدف سام يجده أهلاً للسعي له، وهذا لا يمكن حتى يضيف إلى علمه بحقيقة الدنيا علماً بحقيقة الآخرة، ولذا نجاهه سبحانه وتعالى يعطف على قوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ آجَبٍ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يهْبِجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ ٢ فكل إنسان يحس بفطرته أن طموحاته أكبر من الدنيا وما فيها، ولكنه إذا غفل عن الآخرة فسيبقى متشبهاً بالدنيا، طمعاً في تحقيق ما يقدر عليه منها مهما كان متواضعاً.

١ مرجع سابق، الخاسبي، بدء من أناب إلى الله، ص ١٣٣ - ص ١٣٤.

٢ سورة الحديد آية ٢٠

والقرآن الكريم يعمق قاعدة الإيمان بالآخرة في النفس لكي لا ينساق الإنسان وراء التكاثر في جمع حطامها، ظناً منه أنه يحقق تطلعاته بذلك .

كلا ؛ أنت مخلوق لما هو أكبر من ذلك وأبقى، فما الذي يعطيك هذا التفاخر والتكاثر ؟ حتى ولو أعطيت ملك سليمان عليه السلام فنهايته معلومة ؟ وإلا فأين سليمان الآن وأين ملكه ؟ أفلا نعتبر بمصير الملوك الذين حققوا عند الناس طموحاتهم، فإذا بهم ينقلون من قصورهم إلى قبورهم ؟ أما المؤمن بالآخرة فإن نفسه قانعة بما لديها راضية بما آتاه الله، وتائقة إلى ما عنده .

وها هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما يصفهم علي رضي الله عنه فيقول: ((لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أرى أحداً يشبههم والله إن كانوا ليصبحون شعناً غبراً صفرأً بين أعينهم مثل ركب المعزى قد باتوا يتلون كتاب الله يراوون بين أقدامهم وجباههم إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح فاهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم والله لكأن القوم باتوا غافلين))<sup>١</sup> ، أما عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فكان: ((إذا فاتته صلاة في جماعة أحيأ تلك الليلة بكاملها، وأخر يوماً صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فأعتق رقتين))<sup>٢</sup>

من يملك مثل هذه الأهداف العظيمة التي قامت على أساس الإيمان بأن الآخرة هي دار الجزاء والخلود — فإما عذاب شديد، أو مغفرة ورضوان من الله، حسب ما يقدم الإنسان في الدنيا ليوم الحساب — فإنه لا ريب سيعرف أهمية الحياة الدنيا، وأثرها في مستقبله الأبدي. وحينها لن يدع الهزل والمزاح واللعب يأخذ من وقته شيئاً، لأن الغاية عظيمة، والخطر كبير، والفرصة قصيرة، بل سوف يخشع قلبه لذكر الله خوفاً من عذابه، وطمعاً في مغفرته ورضوانه.

وأعظم هدف يسعى إليه هو الخلاص من النار، والوصول إلى الجنة. ومع هذا نجد أن الجنة حفت بالمكروه، والنار حفت بالشهوات التي ينبغي للإنسان أن يجتنبها، فإن لم يصبر فسوف يقع فيها ويعذب بقدر فشله، وهذه الغاية من أعظم طموحات المتقين وأعظم بما من غاية. ولتحقيق هذه الغاية فلا بد من ترك اللعب واللهو إلى الجد والاجتهاد، وترك الزينة إلى ما ينفع، وترك التفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد إلى التسابق في الخيرات والصلحات استجابة لقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ

يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣﴾

١ مرجع سابق، أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء ٧٦/١.

٢ المرجع السابق.

٣ سورة الحديد آية ٢١

وفي أثناء السباق لا بد أن يستوعبوا طبيعة الحياة الدنيا المتغيرة لكي لا تترك آثارها السلبية عليهم؛ ففيها الغنى والفقر، والشقاء والمرض، والقوة والضعف، والنصر والهزيمة، .. ولا بد أن يستقيموا على كل حال . فالذي يتغير مع الظروف والمتغيرات لا يصل إلى أهدافه وطموحاته، لأنه تضله النعمة بطراً، والمصيبة يأساً، فلا ينبغي أن نتقلب مع الدنيا بل نثبت على صلاحها وخيرها. قال الفضيل بن عياض: ((تفكروا واعملوا من قبل أن تندموا، ولا تغتروا بالدنيا فإن صحيحها يسقم، وجديدها يبلى، ونعيمها يفنى، وشبابها يهرم))<sup>١</sup>

فمن أراد النجاة من الفتن، فعليه بمجاهدة نفسه، ومنعها من بعض الملذات ففي ذلك الفوز في الدارين والنجاة من الفتن، وبالتالي من النار.

### ٥ - صحبة الصالحين:

من طبيعة الإنسان، أنه مدني بطبعه، يجب أن يكون له أصدقاء، وأصحاب يحدثهم ويأنس معهم وبهم، لذا وجب على الإنسان إذا أراد الفلاح أن يختار من يصاحبهم، وقد حثنا ديننا الحنيف على مجالسة الصالحين والاستماع إليهم وانتقاء أطيب كلامهم، لأن ذلك يُعد سياجاً واقياً للنفس من آفاتهما، ومن مكايد الشيطان. ولذا أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾<sup>٢</sup>.

فالصاحب صاحب ولو بعد حين، ((وأثر الصحبة السيئة يبدأ في القلب الذي يدخله الميل على المعصية والرغبة فيها وعدم إنكارها، ويزداد ذلك التأثير حتى ينعكس على السلوك والأفعال، وبمقدار ما يدخل ذلك القلب من ظلمة المعصية يخرج منه من نور الإيمان .

قال الإمام ابن الجوزي يرحمه الله: ما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح، فإن

الطبع يسرق، فإن لم يتشبه بهم ولم يسرق منهم فتر عن عمله))<sup>٣</sup>.

وصحبة الصالحين والعلماء تعين على الحصول على العلم النافع، والتأسي بأحوالهم وأفعالهم، فقد أوصى لقمان الحكيم ابنه فقال: ((يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل القطر))<sup>٤</sup>.

لا بد أن الإنسان لا يخلو من العيوب، وقد لا يلاحظها بنفسه، هنا يظهر أثر الجلساء والأصحاب الصالحين فإنهم مرآته التي يبصر بها عيوبه حتى يتركها، وفي ذلك يقول ابن تيمية يرحمه

١ مرجع سابق، البيهقي، كتاب الزهد الكبير، ص ١٩٧.

٢ سورة الكهف آية ٢٨.

٣ مرجع سابق، د. أنس كرزون، منهاج الإسلام في تركية النفس، ١/٤٠٧ - ٤٠٨.

٤ مرجع سابق، ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ٣/٢٦٢.



الله: ((المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوعٍ من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما نحمد معه ذلك التحشين))<sup>١</sup>  
فمصاحبة الصالحين ومجالستهم لها دور كبير في الاقتداء بهم وبأفعالهم، والتشبه بهم، فالإخاء، والصحبة الصالحة تعين المرء على نفسه، وتبخر له الطريق حتى يسير في طريق الفلاح.

## ٦ - تحصين النفس عن طريق: أ - الزواج:

إن الله عز وجل لم يحرم علينا شيئاً إلا وأباح لنا ما يعوضنا عنه مما يعود علينا بالصلاح، لذا شرع الزواج ليكون علاجاً حاسماً للحد من خطر انحراف الشهوة.

( لذا لا بد من تحصين النفس بالزواج لتتجه الغريزة إلى طريق مأمون وتثمر الثمرات الصالحة، وهذا ما حض عليه الرسول صلى الله عليه وسلم الشباب في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء))<sup>٢</sup>  
وقد جعل الإسلام من الزواج علاجاً سريعاً لكل نزوة طارئة قد يتعرض لها المسلم وبخاصة في المجتمعات الجاهلية التي يكثر فيها العري والاختلاط)<sup>٣</sup>.

وحتى يتحقق التحصين المطلوب لا بد من اختيار الزوجة الصالحة، التي تعين زوجها على الصلاح، ولا يكون الاختيار قائماً على مقاييس الجمال أو المال أو الحسب فقط، أو غيره، وكذلك اختيار الزوج ينبغي أن يقوم على أساس التقى والصلاح فالزوج إذا لم يكن صالحاً فإنه قد يجر زوجته إلى المعاصي أو قد يمنعها من الطاعات.

## ب - الصيام:

إن العلاج الذي وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم لمن عجز عن الزواج، هو الصوم. والصوم المقصود هنا هو الذي يمنع صاحبه من فعل المنكرات، وليس ذلك الذي لا حظ لصاحبه منه سوى الجوع والعطش، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من لم يستطع الزواج فعليه بالصوم فإنه يحميه من الوقوع في الفاحشة.  
وقد سبق الحديث عن الصيام في صفات المؤمنين.

١ ابن تيمية الحراني، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس، مجموع الفتاوى ١٦٣/٢٨.

٢ صحيح البخاري ١٩٥٠/٥، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، رقم ٤٧٧٩، صحيح مسلم ١٠١٨/٢، باب استحباب النكاح لمن طاقت نفسه إليه، رقم ١٤٠٠.

٣ مرجع سابق، د. أنس كرزون، منهاج الإسلام في تزكية النفس، ١/ ٤٤٠ - ٤٤١ بتصرف يسير.

## ج - غض البصر:

والبصر هو باب القلب الأول، وأقرب الحواس إليه؛ ولذا كثر السقوط من جهته، وكان لزاماً على من خاف على قلبه أن يتحرك نحو شيء ما أن يعض بصره ويحفظه.. ولذا أمر الله الإنسان المسلم أن يُحكم رقابته على هذا المر، ويفحص ما يدخل منه لأنه سرعان ما يدخل إلى القلب، وفي توجيه

الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ

إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ

فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُرُوجِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا

يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ

أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ

أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَابَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ

الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ

مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

إشارة لطيفة لنا عن كيفية اتصال الفرج بهذه النظرة التي يستهين بها بعض الناس، إن التعبير بالفعل "يحفظوا" يشير إلى أن هذا الفرج أمانة... والأمانة قد تترع منك في أي وقت.. وفي المقابل فإن هذه العين التي صبرت عن الحرام، يُكتب لها السعادة والفرح في الدارين بإذن الله.

كم يستغرق هذا القرار من وقت.. قرار يسير وسهل ولا يستغرق وقتاً، ولا يحتاج إلا إلى لحظة تتراح فيها الغشاوة عن الأعين فتبصر الحقيقة... وما بعدها النعيم من حلاوة في القلب، ورضا في النفس، وسعادة بالانتصار.. ولذا فقد أعجبنى شاب كان كلما حدثته نفسه بالنظر إلى ما لا يحل فإنه يغمض عينيه ويردد: "لا إله إلا الله" ثلاث مرات وهو يتذكر بيعته مع الله وعهده لديه، وأنه بهذه النظرة يمكن أن يُخلَّ بحقيقة لا إله إلا الله، وبالتالي فإنه يجد نفسه ممتنعاً عن المعصية...

## V - اللجوء إلى الله بالدعاء:

لا يعلم بهذه النفس إلا خالقها، لذا كان لزاماً أن يكون اللجوء إليه وحده عز وجل ليحمي

هذه النفس ويقيها من الوقوع في الفتن والشهوات، وقد أمر بالدعاء وتكفل بالإجابة سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ١٨٦، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع يائماً أو قطيعة رحم، فقال رجل من القوم: إذا نكثرت قال: الله أكثر)) ٢.

لقد دأب عباد الله المؤمنون على الدعاء في كل أحوالهم، يسألون الله في السراء والضراء، وهذا نموذج من دعاء المؤمنين في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّاكَا فَاغْفِرْ لَنَا دُؤُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ١٦، ((فالدعاء من أعظم العبادات لأن الدعاء هو العبادة كما قال صلى الله عليه وسلم: ((الدعاء هو العبادة)) ٤.

ومن هذا الدعاء يستفاد ما يلي:

➤ يستحب أن يدعو ربه بقوله (ربنا) لأن الأدعية الواردة في كتاب الله على لسان أنبيائه وأوليائه بدأت بهذا وقد سئل الإمام مالك عن الداعي يقول: يا سيدي قال يعجبني قول الأنبياء: (ربنا) (ربنا) ٥.

➤ يستحب أن يسأل الله بالعمل الصالح وهنا سألوه بالإيمان الذي هو أعظم الطاعات وقد ورد في حديث الثلاثة الذين أغلق عليهم الغار أنهم سألوا الله بصالح أعمالهم أن يفرج عنهم ما هم فيه ففرج الله عنهم بلاءهم وصرف عنهم كربهم) ٦ ((٧.

➤ أن سؤال أمور الآخرة مقدم على أمور الدنيا فهنا سألوا الله أمرين عظيمين:

— غفران الذنوب .

— والنجاة من النار.

١ سورة البقرة آية ١٨٦.

٢ سنن الترمذي ٥٦٦/٥، كتاب الدعوات، باب في انتظار الفرج وغير ذلك، رقم ٣٥٧٣، مسند الإمام أحمد ١٨/٣، برقم ١١١٤٩، حديث حسن صحيح، انظر صحيح الترغيب للألباني، ص ١٦٣١.

٣ سورة آل عمران آية ١٦.

٤ سنن أبي داود ٧٦/٢، كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم ١٤٧٩، سنن الترمذي ٣٧٤/٥، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة المؤمن، برقم ٣٢٤٧، سنن ابن ماجه ١٢٥٨/٢، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، برقم ٣٨٢٨، سنن الإمام أحمد بن حنبل ٢٦٧/٤، برقم ١٨٣٧٨، حديث صحيح، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني ٢٧٧/١، برقم ١٣١٢.

٥ مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩٧/٨.

٦ صحيح البخاري ١٢٧٨/٣، كتاب الأنبياء، باب حديث الغار، برقم ٣٢٧٨.

٧ النووي، الإمام أبو زكريا، يحيى بن شرف النووي الدمشقي، رياض الصالحين، حققه عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، راجعه الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط ٤، دار المأمون للتراث، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٤٥.

وهذان الأمران متلازمان حيث أنّ النجاة من النار تحقق بغفران الذنوب التي إذا ما اجتمعت على المرء أهلكنه والنجاة من النار من أعظم الفوز لقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ ١ .

وهذا لا يعني أن لا يسأل شيئاً من أمور الدنيا؛ بل ينبغي على الإنسان أن يسأل الله خير الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ٢ .

وإن سؤال العبد ربه حوائج الدنيا من الرزق والصحة والعافية وغيرها دليل الافتقار إلى الله ومن جميل التوكل عليه.

وينبغي عند الدعاء أن يتحرى العبد ( الأمور التالية :

- ينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات فإن كان جالساً استقبل القبلة، وجلس متذلاً متخشعاً بسكينة ووقار مطرفاً رأسه، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز ولكنه يكون تاركاً للأفضل.

- ينبغي أن يكون الموضع الذي يذكر فيه خالياً نظيفاً.

- ينبغي أن يكون فمه نظيفاً.

- والذكر مستحب في جميع الأحوال ولكن يكره الذكر في حالات ورد الشرع باستثنائها وهي : حالة الجلوس على قضاء الحاجة، وفي حالة الجماع، وحالة الخطبة لمن يسمع صوت الخطيب، وفي القيام في الصلاة، وفي حالة النعاس) ٣ . وعليه أيضاً تحري الأمور التالية عند الدعاء :

أ - الأكل الحلال المبارك أدعى للإجابة : لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم (( ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فإني يستجاب له )) ٤ .

ب - الإكثار من الدعاء في الأوقات التي هي مظنة الاستجابة : وقت السحر، ووقت الصيام وحين الفطر وأدبار الصلوات ونزول الغيث والتقاء الجيوش في الحرب وحال السفر وعند الأذان والإقامة وبينهما والثالث الأخير من الليل وساعة الجمعة وليلة القدر.

١ سورة آل عمران ١٨٥ .

٢ سورة البقرة آية ٢٠١ .

٣ مرجع سابق، النووي، الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم، ص ١٢ بتصرف يسير.

٤ صحيح مسلم ٧٠٣/٢، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، برقم ١٠١٥ .

ج — عدم استعجال الإجابة : قال صلى الله عليه وسلم : (( يستجاب لأحدكم ما لم يجعل يقول

قد دعوت ربي فلم يُستجب لي ))<sup>١</sup>

د — وعلى الداعي أيضاً بدء الدعاء بالحمد لله رب العالمين والثناء عليه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : (( سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته لم يمجّد الله تعالى ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عَجَلٌ هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره : إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه سبحانه والثناء عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بعد بما شاء ))<sup>٢</sup>

وهنا نموذج من دعاء المؤمنين في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِمُنْقِبِينَ إِمَامًا ﴾<sup>٣</sup> ، فهم يطلبون من الله عز وجل أن يجعل زوجاتهم وذرياتهم قرة عين لهم ، أي أنهم يطلبون صلاح الزوجات والذرية ، إذ ليست العبرة بالكثرة بل بالصلاح ، فكم من الناس آتاه الله الأولاد ولكنهم أتعبوه في حياته لأنهم عاقون ، وغير بارين به ، ثم إنهم يطلبون أمراً آخر في غاية الأهمية ، وهو التقوى ، بل يطلبون الإمامة فيها ، أي أعلى منزلة منها .

وأود أن أذكر هنا بأن الدعاء هو أخطر سلاح على الأرض ، ويوضح ذلك هذه القصة عن الربيع بن يونس<sup>٤</sup> : (( دعاني المنصور فقال : إن جعفر بن محمد يلحد في سلطاني قتلي الله إن لم أقتله . فأتيته فقلت : أجب أمير المؤمنين فتطهر ولبس ثياباً ، أحسبه قال جديداً فأقبلت به فاستأذنت له ، فقال : أدخله ، قتلي الله إن لم أقتله ، فلما نظر إليه مقبلاً قام من مجلسه فتلقاه وقال : مرحباً بالنقي الساحة ، البريء من الدغل<sup>٥</sup> والخيانة ، أخي وابن عمي ، فأقعدته معه على سريريه ، وأقبل عليه بوجهه وسأله عن حاله ، ثم قال : سلني عن حاجتك فقال : أهل مكة والمدينة قد تأخر عطاؤهم فتأمر لهم به قال : أفعّل . ثم قال : يا جارية اتني بالتحفة<sup>٦</sup> فأتته بمُدْهُن<sup>١</sup> زجاج فيه غالية<sup>٢</sup> فغلغه<sup>٣</sup> بيده وانصرف . فاتبعته

١ صحيح البخاري ٢٣٣٥/٥ ، كتاب الدعوات ، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل ، برقم ٥٩٨١ ، صحيح مسلم ٢٠٩٥/٤ ، كتاب الذكر والدعاء

والتوبة والاستغفار ، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي ، برقم ٢٧٣٥ .

٢ سنن أبي داود ٧٧/٢ ، باب الدعاء ، حديث رقم ١٤٨١ ، سنن النسائي ٤٤/٣ ، باب التمجيد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ، حديث رقم ١٢٨٤ ، حديث صحيح ، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني ٢٧٨/١ ، برقم ١٣١٤ .

٣ سورة الفرقان آية ٧٤ .

٤ الربيع بن يونس ، الوزير ، الحاجب الكبير ، أبو الفضل الأموي ، من موالى عثمان رضي الله عنه ، حجب للمنصور ، ثم صار وزيراً له ، وكان من نبلاء الرجال وفضلانهم ، توفي سنة ١٦٩ . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٣٥/٧ .

٥ الدَّغَلُ : بالتحريك : الفساد ، مثل الدَّخْل . والدَّغَلُ : دَخَلَ في الأمر مفسداً . وأدغل في الأمر أدخل فيه ما يفسده . انظر : مرجع سابق ، ابن منظور ، لسان العرب ٢٤٤/١١ .

٦ التَّحْفَةُ : الطرفة من الفاكهة وغيرها من الرياحين . انظر : مرجع سابق ، ابن منظور ، لسان العرب ١٧/٩ .

فاتبعته فقلت : يا ابن رسول الله أتيت بك ولا أشك أنه قاتلك، فكان منه ما رأيت . وقد رأيتك تحرك شفتيك بشيء عند الدخول فما هو ؟ قال : قلت : اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفي بركنك الذي لا يرام واحفظني بقدرتك علي ولا تهلكني وأنت رجائي . ربّ كم من نعمة أنعمت بها علي قل لك عندها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قل لها عندك صبري ؟ فيا من قل عند نعمته شكري فلم يجرمني، ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني ويا من رأني على المعاصي فلم يفضحني ويا ذا النعم التي لا تحصى أبداً ، ويا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ، أعني على ديني بدنيا، وعلى آخري بتقوى، واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني إلى نفسي فيما خطرت. يا من لا تضره الذنوب، ولا تنقصه المغفرة اغفر لي ما لا يضرك، وأعطني ما لا ينقصك، يا وهاب أسألك فرجاً قريباً وصبراً جميلاً، والعافية من جميع البلايا وشكر العافية. ))<sup>٤</sup> .

نعم إنه الدعاء من أخطر الأسلحة على وجه الأرض، وتستطيع استعماله في أي وقت، وبدون مقابل، ويؤيد هذا الكلام حديث ابن عباس رضي الله عنهما : (( أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن فقال : اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب ))<sup>٥</sup>

و أذكر بعض الأمثلة للأدعية النافعة لمن خشي الوقوع في بعض الفتن:

فهذا نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام عندما خشي الفتنة بالنساء: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ

أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصَّبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْخٰٓئِلِينَ ﴾<sup>٦</sup>

وكان نبي الهدى صلى الله عليه وسلم يستعيذ من شر فتنة الغنى، فيقول عليه الصلاة والسلام كما ورد في الحديث الصحيح، في أثناء استعاذته من فتن الدنيا المتعددة : ((ومن شر فتنة الغنى))<sup>٧</sup>.

ونجد في القرآن الكريم أن من صفات عباد الرحمن جل وعلا أنهم يدعون ربهم تعالى ويلجؤون إليه أن يجعل الأزواج والأولاد قرّة أعين لهم، وما هذا إلا لأنهم يعلمون عظم الفتنة بهم،

<sup>١</sup> مُدْهُنٌ : كل موضع حفره سيل أو ماء واكفّ في حجر فهو مُدْهُنٌ. وهو : ما يُجعل فيه الدهن فيكون قد شبهه بصفاء الدهن. انظر : مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب ١٣/١٦٢.

<sup>٢</sup> غالية : ضرب مركب من الطيب. انظر : مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب ٩/٢٧١.

<sup>٣</sup> غلغه : لطحه، ويقال : غلف حيته بالطيب والحناء والغالية : لطحها. انظر : مرجع سابق، ابن منظور، لسان العرب ٩/٢٧١.

<sup>٤</sup> مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧/ ٣٣٥ — ٣٣٦ .

<sup>٥</sup> صحيح البخاري ٢/٨٦٤، كتاب المظالم، باب الاتقاء والخذر من دعوة المظلوم، برقم ٢٣١٦، صحيح مسلم ١/٥٠، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم ١٩..

<sup>٦</sup> سورة يوسف آية ٣٣.

<sup>٧</sup> جزء من حديث صحيح أخرجه البخاري ٥/٢٣٤١، في كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر، برقم ٦٠٧، من حديث عائشة رضي الله عنها.

يقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ١ .

وقد حثنا الله تعالى في القرآن العظيم على الاستعاذة من همزات الشياطين، فقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ٢ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١٨﴾ ٢ .

وبين صلى الله عليه وسلم أن ذكر الله عز وجل وهو دعاء أقوى الأمور التي يجابه بها المسلم الشيطان الرجيم، ولهذا ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من عبد يقول صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات إلا لم يضره شيء)) ٣ .

ورحم الله تلك المرأة الصالحة في عهد التابعين، التي كانت تدعو، وتقول: ( اللهم إن إبليس عبد من عبيدك، ناصيته بيدك، يراني من حيث لا أراه، وأنت تراه من حيث لا يراك. اللهم إنك تقدر على أمره كله، وهو لا يقدر من أمرك على شيء. اللهم إن أراذلي بشر فأرذله، وإن كادني فكده، أدرأ بك في نحري، وأعوذ بك من شره)) ٤ .

ولنا قدوة حسنة بنبي الهدى صلى الله عليه وسلم الذي كان يقول في دعائه: ((اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل)) ٥ . وهو دعاء لمن خشي فتنة الغرور والإعجاب بعمله، ولذا نجد عمر بن الخطاب رضي الله الذي ذل له شيطانه، فما يستطيع أن يسلك طريقاً يسلكه عمر، لم يتطرق إليه الغرور ولم يقترب من نفسه مرة واحدة، حتى إنه لما طعن قال لابنه عبد الله وكان رأسه على فخذه: ((ضع رأسي على الأرض، قال عبد الله فقلت: وما عليك، كان على فخذي أم على الأرض؟ قال: ضعه على الأرض . قال: فوضعت على الأرض، فقال عمر: ويلي وويل أُمِّي إن لم يرحمني ربي)) ٦ .

اللهم احفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

١ سورة الفرقان آية ٧٤ .

٢ سورة المؤمنون آية ٩٧ - ٩٨ .

٣ سنن أبي داود ٣٢٣/٤، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح برقم ٥٠٨٨، سنن الترمذي ٤٦٥/٥، كتاب الدعوات، باب ما جاء إذا أصبح وإذا أمسى، برقم ٣٣٨٨، وابن ماجه ١٢٧٣/٢، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح، وإذا أمسى، برقم ٣٨٦٩، وأحمد في المسند ١/٦٣، ٦٢، وإسناده حسن، انظر صحيح سنن الترمذي للألباني ١٤١/٣ برقم ٣٦٢٨ .

٤ يوسف، محمد خير، نساء زاهدات، ط ١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ، ص ٣١ .

٥ صحيح مسلم ٢٠٨٥/٤، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، برقم ٢٧١٦ .

٦ مرجع سابق، أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ٥٢/١ .

ومن الأمور التي يقي المؤمن بها نفسه من الفتن الإكثار من ذكر الله تعالى، لينال الفضل ويكون ممن امتدحهم سبحانه و تعالى بقوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>١</sup>، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم))<sup>٢</sup>.

ومن الأدعية المهمة ما ورد عن أبي مليكة قال: قالت أسماء عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((أنا على حوضي أنظر من يرد علي فيؤخذ بناس من دوبي فأقول أمتي فيقول لا تدري مشوا على القهقري . قال بن أبي مليكة اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن))<sup>٣</sup>، وعن عبد الملك بن عمير سمعت عمرو بن ميمون الأودي قال كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ منهن دبر الصلاة: اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر . فحدثت به مصعباً فصدقه))<sup>٤</sup> . ولا يلهم مثل هذه الأدعية إلا من وفقه الله فاجتهد في تزكية نفسه، فجعلها تقبل على الله، وتطلب رضاه سبحانه.

## ٨- الهجرة إلى الله عز وجل :

هي دليل كمال إيمان العبد وحسن إسلامه، لأن فيها إعلان العبودية الكاملة لله عز وجل والانقياد له، كيف لا والعبد يترك شهواته ويهجرها طالباً رضا مولاه عز وجل. والهجرة كما يعرفها ابن العربي : ( هي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وكانت فرضاً في أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة، والتي انقطعت بالفتح هي القصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان )<sup>٥</sup>. وقد انقطعت هذه الهجرة بعد فتح مكة عام ٨ للهجرة بقوله صلى الله عليه وسلم : (( لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا))<sup>٦</sup>.

١ سورة الأحزاب آية ٣٥

٢ صحيح البخاري ٢٣٥٢/٥، كتاب الدعوات، باب فضل التسييح، حديث رقم ٦٠٤٢.

٣ صحيح البخاري ٢٥٨٧/٦، كتاب الفتن، باب قول الله تعالى : ((واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة))، برقم ٦٦٤١.

٤ صحيح البخاري ١٠٣٨/٣، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجن، برقم ٢٦٦٧.

٥ ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط(بدون)، ٤٨٤/١ بتصرف يسير.

٦ البخاري ١١٢٠/٣، كتاب الجهاد والسير، باب لا هجرة بعد الفتح، برقم ٢٩١٢.



قال ابن حجر : ( قال الخطابي وغيره : " كانت الهجرة فرضاً في أول الإسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع، فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجا فسقط فرض الهجرة إلى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو " . انتهى .  
وكانت الحكمة أيضاً في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من أذى ذويه من الكفار فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه، وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها )  
وتبقى هناك هجرتان :

أ - هجرة المسلم من دار الكفر إلى دار الإسلام إذا خاف الفتنة في الدين قال صلى الله عليه وسلم : (( لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها )) ٢ .

ب - هجرة الذنوب والآثام قال صلى الله عليه وسلم : (( والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه )) ٣

قال ابن القيم - يرحمه الله - في الهجرة قولاً جميلاً : (( الهجرة هجرتان : هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللجا والافتقار في كل نفس إليه . وهجرة إلى رسوله صلى الله عليه وسلم في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة، بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محاب الله ومرضاته، ولا يقبل الله من أحد ديناً سواه، وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها لا زاد المعاد )) ٤ .  
وها نحن نعيش وحوالنا المغريات، والشهوات، تحيط بنا في كل مكان، فمن تمكن حب الله عز وجل ورسوله من قلبه، استعلى على هذا كله وهاجر إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

<sup>١</sup> مرجع سابق، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٤٦/٦ بتصرف.

٢ سنن أبو داود ٣/٣، كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت، برقم ٢٤٧٩، مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/٩٩، برقم ١٦٩٥٢، حديث صحيح، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني ٢/٤٧٠، برقم ٢١٦٦ .

٣ البخاري ١٣/١، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، برقم ١٠ .

٤ ابن قيم الجوزية، طريق المجرتين وباب السعادتين، ط ٢، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م. ص ٢٠ .

## **الختاتمة**

**وتشتمل على الآتي:**

**أولاً: أهم نتائج البحث.**

**ثانياً: التوصيات والمقترحات.**

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، على ما يسره لي من إتمام لهذه الرسالة بهذه الصورة، فله الحمد في الأولى والآخرة، ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ١ .

وبعد: فهذا ما امتن الله عز وجل به عليّ بعد أن طفت وتجولت بين صفحات الكتب المختلفة لمعرفة المنهج القرآني في الوقاية من فتنة الدنيا، وهذا ما وسعه جهد المقل، وسمح به الوقت، وتوصل إليه الفهم المتواضع.

فما كان فيه من صواب فمن الله وحده وله الحمد والشكر حتى يرضى وبعد الرضى، وما كان فيه من خطأ أو نقص فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله منه، ولا أدعي الكمال فإنه من صفات الكبير المتعال سبحانه وتعالى، وحسبي أني بذلت جهدي واستنفذت طاقتي، ووضعت لبنة في طريق من يريد إتمام البناء، وما توفيقي إلا بالله، وأسأله سبحانه أن ينفعني بذلك ويجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، وينفع به جميع المسلمين، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

### وها أنا ذي أبدأ بعرض النتائج أولاً:

- ١ — توصلت من خلال التعريف اللغوي لكلمة الفتنة إلى أن الكلمة تدور حول عدة معانٍ، اخترت منها أكثرها ارتباطاً بموضوعنا وهي أن المراد بالفتنة الشهوات والمغريات التي تشغل عن الفرائض أو ما تكون سبباً في الوقوع في المحرمات، فالإسلام لم يحرم الشهوات وإنما طالب بالترفع عن جعلها كلَّ هم.
- ٢ — أن وصف الحياة الدنيا بأنها متاع وغرور، وأنها زائلة لا يُقصد به نفض اليد منها، والتخلي عنها، وإنما عدم التعلق بها واتخاذها دار بقاء، بل هي دار ممر وليست دار مقر. وقد أوضحت أن الآيات الكريمة التي نددت بالذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة إنما جاءت في:

أ - الحض على الجهاد بالمال والنفس.

ب - أو لتقريع الكفار.

ج - أو للحض على ابتغاء الخير والحق وتحمل التضحيات في سبيلهما.

٣ — أن هناك صفات تؤدي للوقوع في الفتنة يجب الحذر منها، ومنها:

أ - الجهل وهو (الجهل بدين الله، والجهل بحقيقة الدنيا).

ب - التكذيب بآيات الله والاستهزاء بها.

ج - حب الدنيا والفرح بها فرح بطر.

د - الحرص على المصالح الشخصية.

ه - الغرق في المعاصي.

٤ - أن هناك عوامل تساعد في الوقوع في الفتن منها:

انعدام الحياء، سوء الظن، فضول الكلام، فضول النظر، فضول الطعام، فضول المخالطة، الضغوط الاجتماعية.

٥ - أن هناك صفات هي بمثابة السياج الواقى من الفتن لمن تمسك بها ومنها:

توحيد الله وعدم الإشراف به، الإيمان بالغيب، إقامة الصلاة، قيام الليل، الحياة بالقرآن الكريم، الدعاء، الاستغفار بالأسحار، القنوت لله، البذل والإنفاق، الوفاء بالعهد، مراعاة الأمانة، الإحسان، مقابلة السيئة بالحسنة، الإعراض عن اللغو، التواضع، الحلم، اجتناب الكبائر، حفظ حدود الله، التوبة.. إلى غير ذلك من الصفات التي سبق توضيحها.

٦ - أن التحذير من فتنة المال، لا يقصد منه ترك العمل، ونبذ المال، ولا ترك الأسباب المباحة للحصول عليه؛ بل المطلوب أن يكون المسلم قوياً، غنياً، كما كان كثير من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم ينكر عليهم، بل دعا لهم. وإنما النهي عن جعل المال غاية، وبذل كل وسيلة ولو محرمة للحصول عليه. وكذلك الشأن بالنسبة للأولاد.

٧ - أن المحافظة على الهوية من أهم الأسباب التي تمنع من الوقوع في فتنة الانبهار بالغرب؛ لأن التقليد والتبعية من أهم أسباب الهزيمة النفسية التي تجعل المسلم يتبع الآخرين في أخطائهم ومعاصيهم، في حين أن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يكون المسلم كالشامة بين الأمم كما ورد في الحديث الشريف: ((.. فقال أعملوا وأبشروا فو الذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقعة في ذراع الدابة)) ١.

٨ - أن المنهج الوحيد القادر على حماية المسلم من الوقوع في الفتن هو المنهج القرآني.

٩ - توصلت إلى معرفة التدابير الوقائية لإصلاح حياة البشر وتعميرها ومنها:

أ - تقوية الإيمان بالله عز وجل عن طريق:

١ - الارتباط الدائم بكتاب الله تلاوة وتدبراً.

١ سنن الترمذي ٢٣٢/٥، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحج، برقم ٣١٦٩، المعجم الكبير ١٤٤/١٨، برقم ٣٠٦، حديث صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي للألباني برقم ٣١٦٩.

٢ - النظر في ملكوت السموات والأرض.

٣ - التعرف على أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

ب - تقوية الصلة بالله عن طريق: العبادات، والإكثار من الطاعات.

ج - الإحسان إلى الخلق.

د - التوبة.

هـ - المراقبة.

و - المحاسبة.

ز - المجاهدة

ح - صحبة الصالحين.

ط - تحصين النفس عن طريق: الزواج، والصوم، وغض البصر.

ي - اللجوء إلى الله بالدعاء.

١٠ - توصلت إلى معرفة المنهج المساعد على ضبط الشهوات مثل:

الترغيب والترهيب، القصة، ضرب الأمثال، الشعر، مراعاة احتياجات الجسم والروح.

١١ - إن المنهج القرآني واقعي وقابل للتطبيق وكان ذلك واضحاً من سير الصالحين، سواء

من جيل الصحابة رضوان الله عليهم أو التابعين يرحمهم الله أو من بعدهم إلى زمننا هذا، وبيّنتُ

كيف كان واقياً لهم من الفتن بإذن الله.

## ثانياً: التوصيات والمقترحات:

- ١ - إن كان هناك من توصيات فإن أول ما أوصي به نفسي والمسلمين تقوى الله عز وجل فهي وصية الله لجميع الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾<sup>١</sup> وهذا من أهم الأسباب الواقية من الفتن.
- ٢ - الالتزام بجماعة المسلمين، ومنهجهم منهج أهل السنة والجماعة.
- ٣ - رعاية الشباب رعاية خاصة، وإيجاد البيئة السليمة حتى ينشأوا على هدى الله تعالى وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم.

## واقترح الآتي:

- إنشاء نواد للشباب مهياً للإناث، وللذكور على انفراد بما يناسبهم ويلبي احتياجاتهم، وينمي مواهبهم ويكون بأسلوب مشوق في ظل ما يرضي الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم.
  - إيجاد قنوات فضائية شبابية هادفة، وبرامج خاصة تكون بديلاً لهذه البرامج التافهة. بحيث تعرض بأسلوب يجذب الشباب ويستحوذ على اهتمامهم.
  - دعم البرامج الشبابية الهادفة، الناجحة الموجودة في الساحة.
  - إيجاد نواد خاصة وبرامج تأهيلية تناسب أولياء الأمور من الجنسين.
  - استثمار وسائل الإعلام الحديثة لنشر الفكر الصحيح والتحذير من الفتن.
- وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## **الفهارس**

**وتشتمل على الآتي:**

- ١ - فهرس الآيات القرآنية
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣ - فهرس الأعلام المترجم لهم.
- ٤ - فهرس المصادر والمراجع.
- ٥ - فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

٤٢	﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ سورة البقرة آية ١٠.
١٩٥	﴿ أَفْتَوَمُوتُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ سورة البقرة آية ٨٥.
٢٠٢	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُنْزِلُ عَنْ أَحْسَبِ الْمَجِيزِ ﴾ سورة البقرة آية ١١٩.
١٤، ١٣	﴿ وَإِذْ أَنْتَ إِذْهَبَ رُؤْيُكَ يَكْتُمُونَ فَأَنْتَهُنَّ ﴾ سورة البقرة آية ١٢٤.
١٣٢	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ سورة البقرة آية ١٤٣.
١٦٧	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ سورة البقرة آية ١٦٥.
١٦٨، ١٣٨	﴿ لَيْسَ آيَرُ أَنْ تُولُوا وَجْهَكُمْ قِبَلَ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ سورة البقرة آية ١٧٧.
١٧٠	﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ النَّاسِ ﴾ سورة البقرة آية ١٧٧.
١٨٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الضِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَنْكُمُ تَتَّقُونَ ﴾ سورة البقرة آية ١٨٣.
١٣٤	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ سورة البقرة آية ١٨٥.
٢١٨	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ سورة البقرة آية ١٨٦.
٦١	﴿ مَنْ يَأْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ يَأْسَ لَهُنَّ ﴾ سورة البقرة آية ١٨٧.
٧٠	﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة: ١٩٥.
٢١٩	﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ سورة البقرة آية ٢٠١.
٦٨	﴿ يَسْأَلُكُمْ خِزْيَانُكُمْ فَأَنفِقُوا حَتَّى تَرْضَوْا أَنِّي سَتِمْتُمْ ﴾ سورة البقرة آية ٢٢٣.
٢٠٤	﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ سورة البقرة آية ٢٣٥.
٧٤	﴿ أَلَسَيِّطُونَ يُبَدِّلُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ سورة البقرة آية ٢٦٨.
١٥٥	﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتْيَابِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ سورة البقرة آية ٢٧٤.
١٢٨	﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ سورة البقرة آية ٢٧٥.
١٢٨	﴿ يَسْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ سورة البقرة آية ٢٧٦.
١٣٤	﴿ لَا يَكْتُفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَتَعَهَا ﴾ سورة البقرة آية ٢٨٦.
٦٩	﴿ وَأَوْلَيْتَكَ هُمْ وَقُوْدُ النَّارِ ﴾ سورة آل عمران آية ١٠.
٦١، ٢٤	﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾ سورة آل عمران آية ١٤.
٣٣	﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾ سورة آل عمران آية ١٤، ١٧.
٢١٨	﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا مَا نَكْفُرُ لَنَا دُونِكَ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ سورة آل عمران آية ١٦.
١٥١	﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُسْتَجِيبِينَ وَالْمُسْتَسْجِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ سورة آل عمران آية ١٧.
١٥٠	﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخْتَصَرًا ﴾ سورة آل عمران آية ٣٠.
١٦٤	﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ سورة آل عمران آية ١٠٣.
١٦٢	﴿ وَلَسَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ سورة آل عمران آية ١٠٤.
١٣٢، ٩٠، ١٦٣	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ سورة آل عمران ١١٠.
١٢٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ أَنْتُمْ بَعْضُكُمْ مَصْعَفَةٌ ﴾ سورة آل عمران آية ١٣٠.
١٩١	﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾ سورة آل عمران آية ١٣٣.



- ﴿ الَّذِينَ يُفِقُونَ فِي النَّرِّ وَالصَّرَّاءِ وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَالْمَغْطِ ﴾ سورة آل عمران آية ١٣٤. ١٧٢
- ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا ﴾ سورة آل عمران آية ١٣٥. ٢٠٣، ٤٢
- ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ سورة آل عمران آية ١٣٩. ٩٠
- ﴿ ثُمَّ صَرَفْنَا عَنْهُمْ غِيظَهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ سورة آل عمران آية ١٥٢. ١٤
- ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نَاعَسًا يَغْتُمِ طَآئِفَةً مِنْكُمْ ﴾ سورة آل عمران آية ١٥٤، ٤٦
- ﴿ فِيمَا رَحَمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا ﴾ سورة آل عمران آية ١٥٩. ١٦٢
- ﴿ وَسَاوَاهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ سورة آل عمران آية ١٥٩. ١٤٣
- ﴿ فَمَنْ حُزِنَ عَنِ النَّكَارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ سورة آل عمران آية ١٨٥. ٢١٩، ٢٢
- ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآزِفِينَ ﴾ سورة آل عمران آية ١٩٨. ٧٣
- ﴿ وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعِيفًا ﴾ سورة النساء آية ٩. ١٠٥
- ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ ﴾ سورة النساء آية ١٣. ١٥٢
- ﴿ فَالضَّالِّحَاتِ قَتَيْتُكَ حَفِظْتُكَ لِلْغَيْبِ يَمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ سورة النساء آية ٣٤. ١٥١
- ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ سورة النساء آية ٤٨، ١٤٧
- ﴿ إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمْنَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ سورة النساء آية ٥٨. ١٦٩
- ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ سورة النساء آية ٥٨، ١٤٣
- ﴿ مَنْ يُطِغِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ سورة النساء آية ٨٠. ١٥٢
- ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ عِزِّ اللَّهِ لَوْجِدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ سورة النساء آية ٨٢. ١٤١
- ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَقْبَلُوا الْإِيمَانَ كَفَرُوا ﴾ سورة النساء آية ١٠١. ١٤
- ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ نَهَىٰ عَنْهَا ﴾ سورة النساء آية ١١٤. ٤٩
- ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ سورة النساء آية ١٣١. ٢٢٩
- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ سورة النساء آية ١٣٥. ١٩٣
- ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ سورة النساء آية ١٤٠، ١٧٤
- ﴿ لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَىٰ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ سورة النساء آية ١٤٨. ١٧٦
- ﴿ رُسُلًا مُبْتَلِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ سورة النساء آية ١٦٥. ٢٠١
- ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ سورة المائدة آية ٤٨، ٩
- ﴿ وَأَحْذَرْتُمْ أَنْ يَقْتُولَكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ سورة المائدة آية ٤٩. ١١
- ﴿ وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ سورة المائدة آية ٤٩. ١٤٣
- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ رِبْدَةٍ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ ﴾ سورة المائدة آية ٥٤. ١٦٦، ١٥٠
- ﴿ وَإِذَا سَأَلُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ رَدَّ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ سورة المائدة ٨٣. ٢٠٥
- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحْزِنُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ ﴾ سورة المائدة آية ٨٧ — ٨٨. ٥٣
- ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلِلَّذَارِ الْآخِرَةُ خَيْرٌ ﴾ سورة الأنعام آية ٣٢. ٢٤، ٢٠، ١٩

- ﴿ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ ﴾ سورة الأنعام آية ٤٨ — ٤٩ . ٢٠١
- ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ سورة الأنعام آية ٦٨ . ١٧٤
- ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفُذَّنَّ لَهْمَ صِرْطِكَ الْمَسْتَقِيمِ ﴾ سورة الأعراف آية ١٦ — ١٧ . ٧٤
- ﴿ فَذَلَّلْنَاهَا بِعُرْفِهِ فَلَمَّا ذَاكَ الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهَا سَوءُ مَوَظِعِهَا وَطَيفًا بِيَحْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ سورة الأعراف آية ٢٢ . ٤٤
- ﴿ يَبْنَونَ مَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوءَ بَدَنِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ الْقَوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ سورة الأعراف آية ٢٦ . ١١٤
- ﴿ يَبْنَونَ مَادَمَ لَا يَفِينَنَكُمُ السَّبِيلُنَ كَمَا أَخْرَجَ آبَاؤَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يُزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾ سورة الأعراف آية ٢٧ . ٧٣
- ﴿ يَبْنَونَ مَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ سورة الأعراف آية ٣١ . ٥٢
- ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ سورة الأعراف آية ٣٢ . ١٣٨
- ﴿ فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ سورة الأعراف آية ٣٥ . ١٠
- ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ سورة الأعراف آية ٥٩ . ١٤٦
- ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِنَّا يَمَانِئَةٌ ﴾ سورة الأعراف آية ٧٠ . ٩١
- ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا سُورَةَ الْاِنْفَالِ آيَةَ ١٤٦ . ٨٧
- ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ سورة الأنفال آية ١ . ١٩١
- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ ﴾ سورة الأنفال آية ٢ . ٢٠٥، ١٨٦
- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ ﴾ سورة الأنفال آية ٢ — ٤ . ١٢٦
- ﴿ وَيَسْتَلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا ﴾ سورة الأنفال آية ١٧ . ١٤
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ سورة الأنفال آية ٢٤ . ٣
- ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَسَنَةً وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ سورة الأنفال آية ٢٨ . ١٠٣
- ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ سورة الأنفال آية ٢٨ . ١٢٦
- ﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانِ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ سورة الأنفال آية ٣٣ . ١٥٧
- ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسْرِعُوا بِالنَّفْسِ أَنْ تَقُولُوا نَحْنُ مُؤْمِنُونَ ﴾ سورة الأنفال آية ٤٦ . ٧٧
- ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِمُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ ﴾ سورة الأنفال آية ٦٠ . ٧٢
- ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ سورة التوبة آية ٢٤ . ١٦٧، ٧٨
- ﴿ وَيَوْمَ حُشِنَ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ سورة التوبة آية ٢٥ . ٨٦
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا كَثِيرٌ بِرِيبٍ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ ﴾ سورة التوبة آية ٣٤ . ٦٩
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ سورة التوبة آية ٣٨ . ٣٢
- ﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ سورة التوبة آية ٦٧ . ١٦٢
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ سورة التوبة آية ١١٩ . ١٧٢
- ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَأَزَادْتُمُوهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ سورة التوبة آية ١٢٤ . ١٨٦
- ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ سَّمَاءٍ فَاتَّخِظَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾ سورة يونس آية ٢٤ . ٢٧
- ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴾ سورة يونس آية ٦١ . ٢٠٤
- ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّتَهُ مِنْ قَوْمِهِ عَلَنَ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ ﴾ سورة يونس آية ٨٣ . ٧٥
- ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ سورة يونس آية ٨٥ . ١٢

- ﴿ مَن كَانَ يُرِيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا لُذُنَّهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلْنَاهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُحْشَوْنَ ﴾ ﴿١٥﴾ سورة هود آية ١٥ — ١٦ . ٣٦
- ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ مِنْ يَدَيْكَ وَإِذْ ظَلِمْتَ إِنَّهُ أَخَذَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ ﴿١٠٢﴾ سورة هود آية ١٠٢ . ٨٤
- ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرِينَ ﴾ ﴿١١٤﴾ سورة هود آية ١١٤ . ١٧٣
- ﴿ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ سورة يوسف آية ٦ . ١٩٧
- ﴿ قَالَ رَبِّ أَسْتَجِبْ أَحِبُّ إِلَيَّ وَمَا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ سورة يوسف آية ٣٣ . ٢٢١
- ﴿ قَالَ رَبِّ أَسْتَجِبْ أَحِبُّ إِلَيَّ وَمَا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ سورة يوسف آية ٣٣ — ٣٤ . ٢٠١
- ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَفْهِمُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُوفُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿١٧٨﴾ سورة يوسف آية ٩٨ . ١٥٧
- ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا ﴾ سورة يوسف آية ١١١ . ١٩٧
- ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّنَالُ رِيحًا رَابِيًا ﴾ ﴿١٧﴾ سورة الرعد آية ١٧ ، ١٩٦
- ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا ﴾ ﴿٢٢﴾ سورة الرعد آية ٢٢ . ١٧٣
- ﴿ وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ الْيَسِينَةَ ﴾ سورة الرعد آية ٢٢ . ١٧٦
- ﴿ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ ﴿٢٦﴾ سورة الرعد آية ٢٦ ، ٢٢ ، ٣٦
- ﴿ وَإِذْ قَالَتْ رَبِّكُمْ لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ ﴿٦﴾ سورة إبراهيم آية ٧ . ١
- ﴿ تُوَفَّقُ أَكْثَرَهَا كُلِّ حِينٍ يَا ذُنَّ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ ﴿٢٥﴾ سورة إبراهيم آية ٢٥ . ١٩٦
- ﴿ يُعَيْتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ ﴿٢٧﴾ سورة إبراهيم آية ٢٧ . ٩١ ، ١٥
- ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ﴿٩﴾ سورة الحجر آية ٩ . ١٣٣
- ﴿ فَسَمَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ سورة النحل آية ٤٣ . ٣٨
- ﴿ وَمَا يَكْفُرُ بِكُمْ مِنْ تَعْمَرٍ فَمَنْ اللَّهُ شَرَّ إِذَا مَنَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَدِ يَحْتَرُونَ ﴾ ﴿٥٣﴾ سورة النحل آية ٥٣ . ٩٠
- ﴿ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ يَدًّا ﴾ ﴿٩٢﴾ سورة النحل آية ٩٢ . ١٤
- ﴿ إِنَّ إِلَهَهُمْ كَانَتْ أُمَّةً قَانِنًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٢٠﴾ سورة النحل آية ١٢٠ . ١٥١
- ﴿ وَأَصْدِرْ وَمَا صَدْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُفُ فِي صَبِيحٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ﴿١٢٧﴾ سورة النحل آية ١٢٧ . ٢١١
- ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ ﴿١٨﴾ سورة الإسراء آية ١٨ . ١٦
- ﴿ وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْدُرْ تُبْدِيرًا ﴾ ﴿٢٦﴾ سورة الإسراء آية ٢٦ — ٢٧ . ١٥٦
- ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً ﴾ ﴿٧٣﴾ سورة الإسراء آية ٧٣ — ٧٥ . ٩٨
- ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ ﴿٧٩﴾ سورة الإسراء آية ٧٩ . ١٨٥
- ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكَّةَ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴾ ﴿١٠٦﴾ سورة الإسراء آية ١٠٦ . ١٩٤
- ﴿ وَلَا تَطْعَمُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّجَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ﴿٢٨﴾ سورة الكهف آية ٢٨ . ٢١٥ ، ٥٠
- ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ ﴿٣٢﴾ سورة الكهف آية ٣٢ — ٤٣ . ١٢٤
- ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ﴿٤٥﴾ سورة الكهف آية ٤٥ . ٢٧
- ﴿ أَعْمَالٌ وَالسُّنُونَ رِبَاةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّيْقِنَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ ﴾ ﴿٤٦﴾ سورة الكهف آية ٤٦ . ٦٨
- ﴿ وَفَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ ﴿٤٠﴾ سورة طه آية ٤٠ . ١٣
- ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ ﴿١٣١﴾ سورة طه آية ١٣١ . ٢١٠ ، ١٢٥
- ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا ﴾ ﴿١٣٢﴾ سورة طه آية ١٣٢ . ١٢٢

- ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكم بِالنَّسْرِ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِنَّا نُرِثُكُمْ ﴾ ﴿ سورة الأنبياء آية ٣٥ . ٢١٠، ٨٢
- ﴿ وَصُنعَ النَّوْزِينَ أَقْسَطُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظلمُ نَفْسٌ شَيْئاً ﴾ ﴿ سورة الأنبياء آية ٤٧ . ٢٠٨
- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ سورة الأنبياء آية ١٠٧ . ١٨٢، ١٣١
- ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُم لِرَبِّكُم لَكَاذِبُونَ ﴾ ﴿ سورة الحج آية ١ - ٢ . ١٨٠
- ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أَلْقَبَتْ عَلَى ﴾ ﴿ سورة الحج آية ١١ . ٨٢
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ ﴿ سورة الحج آية ٣٨ . ١٩٩
- ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكَ فِي الَّذِينَ مِنْ حَرَجٍ ﴾ ﴿ سورة الحج آية ٧٨ . ١٣٤
- ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ سورة المؤمنون آية ١ - ٤ . ١٧٤
- ﴿ مَا سَعِينَا بِهَذَا فِي آيَاتِنَا الْأُولَى ﴾ ﴿ سورة المؤمنون آية ٢٤ . ٩١
- ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّنَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّاءٍ مَّيِّينٍ ﴾ ﴿ سورة المؤمنون آية ٥٥ - ٥٦ . ٨٣
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَشِيَّةٍ رَّبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ ﴿ سورة المؤمنون آية ٥٧ - ٦٠ . ١٥٩
- ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ ﴿ سورة المؤمنون آية ٩٧ - ٩٨ . ٢٢٢
- ﴿ الَّذِينَ لَا يَبْكَعُوا إِلَّا رَايَةً أَوْ مَنِيكَةً وَالرَّايَةَ لَا يَبْكَعُهَا إِلَّا رَايٌ ﴾ ﴿ سورة النور آية ٣ . ٦٦
- ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَنْصَحِهِمْ وَحَفِظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ ﴿ سورة النور آية ٣٠ . ٥٠
- ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُنَ مِنْ أَنْصَحِيهِنَّ وَحَفِظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْرِكْنَ رِيثَهُنَّ ﴾ ﴿ سورة النور آية ٣١ . ٦٤
- ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَنْصَحِهِمْ وَحَفِظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ ﴾ ﴿ سورة النور آية ٣٠ - ٣١ . ٢١٧
- ﴿ يَجَالُ لَا تُهَيِّمُهُمْ بَحْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾ ﴿ سورة النور آية ٣٧ . ١٣٨
- ﴿ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ ﴿ سورة النور آية ٥٢ . ١٩١
- ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿ سورة النور آية ٥٦ . ١٥٥
- ﴿ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الزَّكْرَ ﴾ ﴿ سورة الفرقان آية ١٨ . ٦٠
- ﴿ وَحَمَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتُمْ لَهَا أَخْصِرُونَ ﴾ ﴿ سورة الفرقان آية ٢٠ . ٧٦
- ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ ﴿ سورة الفرقان آية ٥٨ . ١٦١
- ﴿ وَعَسَاءَ الرَّحْمَنُ الَّذِي يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونًا ﴾ ﴿ سورة الفرقان آية ٦٣ . ١٧٤، ٨٨
- ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ ﴿ سورة الفرقان آية ٦٦ . ٢٠٤
- ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ ﴿ سورة الفرقان آية ٦٨ . ١٤٧
- ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ ﴿ سورة الفرقان آية ٧٢ . ١٧٤
- ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قِسْرَةَ آعْتِبِ ﴾ ﴿ سورة الفرقان آية ٧٤ . ٢٢٢، ٢٢٠
- ﴿ يَوْمَ لَا يَفْعَلُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ ﴿ سورة الشعراء آية ٨٨ - ٨٩ . ١٧٩
- ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ﴿ سورة الشعراء آية ٢١٤ . ١٩٤
- ﴿ هَذَا مِنْ قَوْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ ﴿ سورة النمل آية ٤٠ . ١٥٨
- ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعْ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَرَبِّتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَلْقَى أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ سورة القصص آية ٦٠ . ١٩
- ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ﴾ ﴿ سورة القصص آية ٧٠ . ٢٢٦
- ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ ﴿ سورة القصص آية ٧٧ . ١٣٨، ١٢٦، ٥٤

- ﴿ إِنَّ قَدْرُنَ كَمَاتٍ مِنْ قُوَّةٍ مَوْجِيٍّ عَلَيْهِمْ وَأَنْبَتُهُ مِنَ الْكُوفْرِ ﴾ سورة القصص آية ٧٦ - ٨٣ . ١٢٣
- ﴿ فَسَنَفَسًا بِهِمْ وَيَبْرِوهُمُ الْأَرْضُ فَأَمَّا كَانَ لَهُمْ مِنْ فَتْرَةٍ يَتَضَرَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ سورة القصص آية ٨١ . ١٧٥
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ ﴾ سورة العنكبوت آية ١٢ . ١٧٥
- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ ﴾ سورة العنكبوت آية ١٢ . ٧٥
- ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴾ سورة العنكبوت آية ٢٠ . ١٨٧ ، ١٦٥
- ﴿ وَأَنْزِلِ الصَّلَاةَ إِنَّكَ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ ﴾ سورة العنكبوت آية ٤٥ . ١٨٩ ، ١٨١ ، ١٥٣
- ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ سورة العنكبوت آية ٦٤ . ٢٤ ، ١٥
- ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ سورة العنكبوت آية ٦٩ . ٢٠٩
- ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ سورة الروم آية ٧ . ٣٨ ، ٣٠
- ﴿ ثُمَّ كَانَ عِزَّةَ الَّذِينَ آسَؤُوا الشُّرَاقِبَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ سورة الروم آية ١٠ . ١٠١ ، ٣٩
- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً ﴾ سورة الروم آية ٢١ . ٦١
- ﴿ فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَهَى قَطَرَ النَّاسِ عَلَبِيًّا ﴾ سورة الروم آية ٣٠ . ١٤١
- ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ ﴾ سورة الروم آية ٥٤ . ٢٦
- ﴿ وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ آتَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ ﴾ سورة لقمان آية ١٥ . ٨١
- ﴿ نَسَجَاتٍ جُودِيَّتُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ سورة السجدة آية ١٦ . ٢٠٥
- ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ سورة السجدة آية ٢٤ . ٢١١ ، ١٧١
- ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهِمْ أَجْرًا مَرَّتَيْنِ ﴾ سورة الأحزاب آية ٣١ . ١٥١
- ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ ﴾ سورة الأحزاب آية ٣٥ . ٢٢٣ ، ١٥٦
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ سورة الأحزاب آية ٧٠ . ٣
- ﴿ وَمَنْ طِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ ﴾ سورة الأحزاب آية ٧١ . ١٥٢
- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِنَّاسٍ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سورة سبا آية ٢٨ . ٢٠١ ، ١٣١
- ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُفَرِّقُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ ﴾ سورة سبا آية ٣٧ . ١١٥
- ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ سورة فاطر آية ٢٨ . ١٦١
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ سورة فاطر آية ٢٩ - ٣٠ . ١٨٤
- ﴿ أَلَمْ نَعْهِدْ لَكُمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ سورة يس آية ٦٠ - ٦١ . ١٦٨
- ﴿ فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ سورة الصافات آية ٥٠ - ٥٧ . ٨٠
- ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴾ سورة الصافات آية ٦٣ . ١١
- ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ سورة ص آية ٢٦ . ٥٩ ، ٥٨
- ﴿ ذَلِكَ طُلُوعُ النَّارِ كَقَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ سورة ص آية ٢٧ . ٤٦
- ﴿ وَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نَعِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ سورة ص آية ٣٠ - ٣٣ . ٧١
- ﴿ أَمَنْ هُوَ قَنِيتُ عَائَةَ ابْنَةَ أَبِي سَاحِدٍ وَقَائِمًا بِحَدِّ الْآخِرَةِ وَرِجَالًا رَحِمَهُ رَبِّي ﴾ سورة الزمر آية ٩ . ١٥٢
- ﴿ قُلْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَقَوْلًا رِزْقًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ سورة الزمر آية ١٠ . ١٥
- ﴿ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْغَافِلِينَ الَّذِينَ خَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ سورة الزمر آية ١٥ - ٢٠ . ٢٠٢

- ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَتَشِعَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ سورة الزمر آية ٢٣ . ١٨٦
- ﴿ أَقْمَنَ يَلْقَىٰ بَوَّحِيهِمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ سورة الزمر آية ٢٤ ، ١٠
- ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ سورة الزمر آية ٣٣ ١٧١
- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَتَقَوَّمُوا عَنَّا يَجْعَلُونَ ءَاهِدَكُمْ سَبِيلَ الرِّشَادِ ﴾ سورة غافر آية ٣٨ — ٣٩ . ٢٣
- ﴿ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ سورة فصلت آية ١٦ . ٨٧
- ﴿ وَفَصَّلْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرَسْنَاهُ لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ سورة فصلت آية ٢٥ . ٨٠
- ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَتْرِكُ مِنْ حَكِيمٍ حَسِيدٍ ﴾ سورة فصلت آية ٤٢ ١٨٧
- ﴿ سَأُيهِمُ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ سورة فصلت آية ٥٣ . ١٨٧
- ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ سورة الشورى آية ٣٨ . ١٧٦ ، ١٤٣
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَرَعْنَاهُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾ سورة الزخرف آية ٥١ . ٨٣
- ﴿ أَوْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يُكَادُ بَيْنُ ﴾ سورة الزخرف آية ٥٢ . ٨٣
- ﴿ فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ ءَأْسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُتَرَاتِبِينَ ﴾ سورة الزخرف آية ٥٣ . ٨٣
- ﴿ الْآخِلَاءَ يُؤْمِنُهُمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ سورة الزخرف آية ٦٧ . ١٦٤
- ﴿ وَءَايَاتُهُمْ مِنْ ءَايَاتِنَا مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴾ سورة الدخان آية ٣٣ . ١٣
- ﴿ أَقْرَبَتْ مِنِّي أَخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَسْلَمَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ سورة الجاثية آية ٢٣ . ٥٨
- ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَّهُمْ ﴾ سورة الأحقاف آية ٣٥ . ٢١١
- ﴿ إِنَّمَا الْعَمَلُ الَّذِي لَدُنَا رِجْوَىٰ وَلَهُمْ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ ﴾ محمد آية ٣٦ ٢٤
- ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَالظَّالِمَاتِ بِأَنَّ اللَّهَ طَرَفَ السَّوَةِ ﴾ سورة الفتح آية ٦ . ٤٦
- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْقَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ سورة الحجرات آية ١ . ٣٧
- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَأَقْبُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ سورة الحجرات آية ١٠ . ١٦٤
- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبْنَا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّك بِبَعْضِ الظَّنِّ إِنَّتُمْ ﴾ سورة الحجرات آية ١٢ . ٤٨
- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَعَلَّمَهُ مَا نُوَسِّسُ بِهِ نَفْسَهُ وَحَنَّا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ سورة ق آية ١٦ — ١٨ ٢٠٧
- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَعَلَّمَهُ مَا نُوَسِّسُ بِهِ نَفْسَهُ وَحَنَّا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ سورة ق آية ١٧ — ١٨ . ٤٩
- ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْنُونَ ﴾ سورة الذاريات آية ١٣ . ١١
- ﴿ كَانُوا قَبِيلاً مِّنَ النَّبْلِ مَا يَهْجَمُونَ ﴾ سورة الذاريات آية ١٧ ، ١٥٤
- ﴿ وَيَا أَصْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ سورة الذاريات آية ١٨ . ١٥٧
- ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ سورة الذاريات آية ٥٦ . ١٩٠
- ﴿ فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ سورة النجم آية ٣٢ . ٨٦
- ﴿ أَلَا نُزِرَ ذُرَّةً وَذَرَّةً وَنَزَّلْنَا نَجْمًا ﴾ سورة النجم آية ٣٨ ٧٦
- ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ سورة الرحمن آية ١ — ٤ . ٤٩
- ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ سورة الواقعة آية ٧٧ . ٩
- ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لَيْدِيكُ ءَامِنُوا أَنْظَرُونَا تَقْلِيصَ مِنْ قُرْآنِكُمْ ﴾ سورة الحديد آية ١٣ — ١٤ . ٥٩
- ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ سورة الحديد آية ١٦ . ٧٨

- ﴿ اتَّخَذُوا أَمْثَلَهُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيُبَدِّلَهُمْ فِي هَيْبَةٍ وَرَيْبَةٍ وَرَفَاخٍ بَيْنَكُمْ وَكَثِيرٌ ﴿ سورة الحديد آية ٢٠. ٢٥، ٢٦، ٢١٣
- ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَعْبَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿ سورة الحديد آية ٢١. ٢١٤
- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكْتُوْنَ مِنْ نَّبَإٍ ثَلَاثَةَ إِلَّا هُوَ رَاجِعُهُمْ ﴿ سورة المجادلة آية ٧. ١٣٩
- ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ سورة الحشر آية ٩. ١٠٤
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿ سورة الحشر آية ١٨. ٢٠٦
- ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَرُّعًا مُّصَدَّرًا مِّنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ ﴿ سورة الحشر آية ٢١. ١٩٦
- ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿ سورة الممتحنة آية ٥. ١٢
- ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا آيَاتِ اللَّهِ فَلَوْ هُمْ أَنَّهُ لَآ يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴿ سورة الصف آية ٥، ٤٣
- ﴿ فَإِذَا قُضِيَ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴿ سورة الجمعة آية ١٠. ١٣٨
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُوا أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴿ سورة المنافقون آية ٩. ١٠٣، ١٢١
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴿ سورة التغابن آية ١٤. ١٠٣، ١٢١
- ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴿ سورة التغابن آية ١٥. ١٤، ٦٨
- ﴿ إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴿ سورة التغابن آية ١٧ — ١٨. ١٥٦
- ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَمَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسِلْنَا فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا ﴿ سورة الطلاق آية ٨، ١٤٩
- ﴿ قَوْمًا أَنفَسُهُمْ وَاهْلِكُوا نَارًا ﴿ سورة التحريم آية ٦. ١٠
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوَيْتُوا إِلَى اللَّهِ تَوَيْتَ تَصَوُّبًا عَنِ ﴿ سورة التحريم آية ٨. ٢٠٣
- ﴿ وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ الذُّنْيَا بِمَصْنُوعٍ وَجَعَلْنَا جُجُومًا لِلشَّيْطَانِ ﴿ سورة الملك آية ٥، ١٥
- ﴿ إِنَّا لِلَّذِينَ يَخْتَفُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَعْقِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿ سورة الملك آية ١٢. ١٦٠
- ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿ سورة الملك آية ١٤، ١٨٥، ١٣٣
- ﴿ مَا أُنزِلَتْ مِن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿ سورة الملك آية ١٦ — ١٧. ٨٢
- ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْفَعُكُمُ إِن أَمْسَكَ رِزْقَهُ، بَل لَّحُورًا فِي عَمُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿ سورة الملك آية ٢١. ٨٢
- ﴿ إِنَّا بَنَيْنَاهُمْ كَمَا بَنَيْنَا آدَمَ لَبَنَةً إِذْ أَنشَأْنَا مِن مَّطَرٍ ﴿ سورة القلم آية ١٧ — ٣٣. ١٢٤
- ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿ سورة المعارج آية ١٨. ١١٨
- ﴿ فَتَمَّتْ آسْتَفْرَاؤُكُمْ رَبِّكُمْ إِنَّمَا كَانَتْ أَغْفَاكَ ﴿ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿ سورة نوح آية ١٠ — ١٢. ١٥٦
- ﴿ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿ لَنَفِيَنَّهُمْ فِيهِ ﴿ سورة الجن آية ١٦ — ١٧. ١٤
- ﴿ وَأَصْرًا عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرَجَهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿ سورة المزمل آية ١٠. ١٩٤
- ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿ سورة القيامة آية ١ — ٢. ٢٠٦
- ﴿ إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَرُؤَانَهُ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿ سورة القيامة آية ١٧ — ١٨. ٩
- ﴿ فَوَدَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ النَّوْرِ وَلَفَتْهُمْ نَصْرَهُ وَسُورًا ﴿ سورة الإنسان آية ١١. ١٠
- ﴿ وَإِنَّا عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿ كِرَامًا كَثِيرِينَ ﴿ سورة الانفطار آية ١٠ — ١١. ٤٩
- ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿ سورة المطففين آية ١٤. ١٩٢
- ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْدَهُ بِسِيَرِهِ ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا سَعِيرًا ﴿ سورة الانشقاق آية ٧ — ٨، ١٤٩
- ﴿ بَلْ نُؤْمِنُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿ سورة الأعلى آية ١٦ — ١٧. ١٩

١١٥،٨٣	﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ سورة الفجر آية ١٥ - ١٦
٦٩	﴿ وَخِشْيَتِ الْمَالِ حُبًّا جَمًّا ﴾ سورة الفجر آية ٢٠ .
١٦	﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ سورة الضحى آية ٤ .
٦٩	﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ سورة العاديات آية ٨ .
١١٩	﴿ أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ حَتَّىٰ رُزِمَ الْمَقَابِرَ ﴿١﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ سورة التكاثر آية ١ - ٨ .
١٤٠	﴿ وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُورٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ سورة العصر آية ١ - ٣ .
١٦٣	﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ سورة العصر آية ٣ .
١١٨	﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴾ سورة الهمزة آية ٢ .



فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة

طرف الحديث

(( أ ))

١٤٩	(( أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا .. ))
١٠	(( اتقوا النار ولو ..... ))
١١٩	(( أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ .. ))
١٢٧	(( اثنتان يكرههما ابن آدم : يكره الموت .. ))
١٧٠	(( إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهو أمانة ))
١٥٨	(( إذا مات ولد العبد قال الله تعالى ملائكته .. ))
٤٥	(( استحيوا من الله حق الحياء، قلنا : إنا نستحي .. ))
١٣٢	(( أسلم تسلم يؤتك الله أجره مرتين .. ))
١٣٢	(( أعطيت خمسا لم يعطهن أحد .. ))
١١٨	(( أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء .. ))
١٤٣	(( أقبلوا .. ))
١٩٠	(( ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ .. ))
٤٥	(( الحياء من الإيمان .. ))
٧٢	(( الخيل في نواصيها الخير .. ))
٧١	(( الخيل لثلاثة .. ))
٢١٨	(( الدعاء هو العبادة ))
٣١	(( الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ))
٦٣ ، ٢٣	(( الدنيا متاع وخير متاع الدنيا .. ))
٧٩	(( الرجل على دين .. ))
١١٧	(( ألك مال ... ))
٢٢٣	(( اللهم إني أعوذ بك من الجبن .... ))
٢٢٢	(( اللهم إني أعوذ بك من شر ... ))
٥٢	(( المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير .. ))
١٦٣	(( المؤمن للمؤمن كالنبيان يشد بعضه بعضاً ))
٥٢	(( المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر .. ))
٨١	(( المرء مع من أحب .... ))
١٧٧	(( المستشار مؤتمن ))
١٣٨	(( أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له .. ))
٢٢٢	(( أنا على حوضي أنظر من يرد علي .. ))
١٧٠	(( أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ))
٣٠	(( إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله .. ))
٣١	(( إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله .. ))
٧٥	(( إن الشيطان ... ))
٧٤	(( إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم .. ))
١٧٢	(( إن الصدق يهدي إلى البر .. ))
١٩٢	(( إن العبد إذا أخطأ ... ))
٢٩	(( إن الله تعالى جعل الدنيا كلها قليلاً .. ))

٢٩	(( إن الله عز وجل ضرب ما يخرج .. ))
١٥٨	(( إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها .. ))
٨٤	(( إن الله ليملي للظالم — أي يمهل — فإذا أخذه .. ))
١١٥	(( إن الله يعطي الدنيا من يحب .. ))
٦٥	(( إن المرأة تقبل في صورة شيطان .. ))
٢٢١	(( أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً .. ))
١٠٤	(( إن الولد ميخله مجنبة ))
١٧٢	(( أن تعبد الله كأنك تراه .. ))
٢١	(( أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق، داخلاً .. ))
١٢٦	(( إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال ))
٧٤	(( إن للشيطان لمة بابن آدم .. ))
١٨٨	(( إن لله تسعة وتسعين اسماً .. ))
١٩٥	(( إنما أنزل أول ما نزل منه سور من المفصل .. ))
١٤٣	(( إنما أهلك من كان قبلكم أنهم إذا سرق فيهم .. ))
٨١	(( إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء .. ))
٣٠	(( إن مطعم ابن آدم قد ضرب مثلاً للدنيا .. ))
٤٤	(( إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى .. ))
٩٣	(( إن من ورائكم أيام الصبر .. ))
١٢٧	(( إن هذا الدينار ... ))
٦٤، ٥١	(( إياكم والجلوس في الطرقات .. ))
٦٥	(( إياكم والدخول على النساء .. ))
٤٨	(( إياكم والظن فإن الظن .. ))
١٢٦	(( أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب .. ))
١٩٣	(( أيها الناس أفشوا السلام .. ))
	(( ب ))
٦٩	(( بادروا بالأعمال سبعاً هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو .. ))
١٨٣	(( بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ))
١٧٥	(( بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته .. ))
	(( ت ))
١٢٨، ١١٥	(( تعس عبد الدينار والدرهم والقטיפه .. ))
	(( ث ))
٢١٧، ١٠٣	(( ثلاث من كن فيه وجد بمن حلاوة الإيمان .. ))
٥٨	(( ثلاث مهلكات : شح مطاع .. ))
	(( ج ))
٦٨	(( جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ... ))
	(( ح ))
٦٣	(( حيب إلي النساء والطيب وجعلت .. ))
٣١	(( حُلوة الدنيا مرة الآخرة، .. ))
٧٩	(( حينئذ يسجد لها الكفار ))

- (( خ ))
- ٧٩ (( خالفوا المشركين احفوا الشوارب .. ))
- ١٢٢ (( خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ))
- (( د ))
- ١٧١ (( دع ما يريك إلى ما لا يريك .. ))
- (( ذ ))
- ٢١٩ (( ذكر الرجل .. ))
- (( س ))
- ١٩٣ (( سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الناس أكرم ؟ .. ))
- ٧٣ (( سبق بالخيال وراهن .. ))
- ٢٢٠ (( سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو .... ))
- ١٦٥ (( سياحة أمي الجهاد ))
- (( ع ))
- ١٤٨ (( عرضت علي الأمم .. ))
- غ
- ٧٠ (( غزونا من المدينة .. ))
- (( ف ))
- ١٦٧ (( فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره .. ))
- ١٩٧ (( فإذا أنا بيوسف ... ))
- ٧٩ (( فصل ما بين صيامنا وصيام .. ))
- ٢٢٧ (( فقال اعملوا .. ))
- ١٥٩ (( فلما وقعت بين رجلها .. ))
- (( ك ))
- ٦٧ (( كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي .. ))
- ٧٨ (( كان المسلمون .. ))
- ٧٦ (( كسروا فيها قسيكم وقطعوا فيها أوتاركم .. ))
- ٤١ (( كل أمي معافي إلا الجاهرين .. ))
- ٨٧ (( كل بيمينك . فقال : لا أستطيع .. ))
- ١٩١ (( كل سلامي من الناس عليه صدقة .. ))
- ٢٢٣ (( كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان .. ))
- ٥٢ (( كل معروف صدقة ))
- ٥٤ (( كن في الدنيا كأنك غريب .. ))
- (( ل ))
- ١٢٠ (( لا بأس طهور إن شاء الله فقال : قلت طهور .. ))
- ١١٧، ١٠٥ (( لا تزول قدما عبد يوم القيامة .. ))
- ٧٩ (( لا تسلموا تسليم اليهود فإن تسليمهم بالرؤوس .. ))
- ٧٩ (( لا تصاحب إلا مؤمناً .. ))
- ١٣٨ (( لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله .. ))
- ٢٢٤ (( لا تنقطع الحجرة حتى تنقطع التوبة .. ))
- ٢٢٣ (( لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية .. ))

- ١٦٠ (( لا يا بنت الصديق ولكنهم .. ))
- ١٠٣ (( لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه .. ))
- ٦٤ (( لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم .. ))
- ١ (( لا يشكر الله من لا يشكر الناس .. ))
- ٥٣ (( لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين .. ))
- ٧٨ (( لتبعن سنن من كان قبلكم شيراً بشيراً .. ))
- ١٦٩ (( لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان ))
- ٦٣ (( لم يكن شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ))
- ١٠٤ (( لو أن لابن آدم وادياً من ذهب .. ))
- ١٦١ (( لو تعلمون ما أعلم .. ))
- ٦٩ (( لو كان لابن آدم واديان من مال لا يتغى .. ))
- ٢١ (( لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة .. ))
- ٤٤ (( لولا الحياء من أن يأتوا أصحابي عني الكذب لكذبتهم .. ))
- ٢٠٢ (( لو يعلم المؤمن ما عند الله .. ))
- ١٢٧ (( ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء .. ))
- (( م ))
- ١١٦ (( ما الفقر أخشى عليكم .. ))
- ٦٢ (( ما تركت بعدي فتنة أضمر .. ))
- ١١٦ (( ما ذئبان ضاريان أرسلتا في زريبة غنم .. ))
- ١٥٩ (( ما زلت على الحال .. ))
- ١٥٨، ١٢٦ (( ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم ))
- ٢١٨ (( ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها .. ))
- ١٧١ (( ما كان خلق أبيض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب .. ))
- ٥١ (( ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه .. ))
- ٧٢ (( ما من امرئ مسلم ينقي لفرسه شعيراً .. ))
- ٢٢٢ (( ما من عبد يقول صباح كل يوم ومساء كل ليلة .. ))
- ١٠٥ (( ما نقصت صدقة من مال ))
- ١٩٦ (( مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً .. ))
- ٨٤ (( مزق الله ملكه .. ))
- ١ (( من أتى إليكم معروفاً فكافئوه .. ))
- ٧٧ (( من أرضى الناس بسخط الله .. ))
- ٣٨ (( من أسخط الله في رضى الناس سخط الله عليه .. ))
- ٩٢ (( من التمس رضا الله بسخط الناس .. ))
- ٧٩ (( من تشبه بقوم فهو منهم ))
- ١٦٣ (( من رأى منكم منكراً فليغيره بيده .. ))
- ١٨٥ (( من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة .. ))
- ١٤٦ (( من كان آخر كلامه لا إله إلا الله .. ))
- ١١٧ (( من لبس ثوب شهرة .. ))
- ١٨٩ (( من لم يدع قول الزور والعمل به .. ))

ن

- ٧٠ (( نزلت في النفقة ..... ))
- (( ه ))
- ٨٨ (( هون عليك، فإنما أنا ابن امرأة .. ))
- (( و ))
- ٦٢ (( واتقوا النساء .. ))
- ١٥٤ (( وأفضل الصلاة بعد الفريضة ... ))
- ١٦٣ (( والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ))
- ١٩ (( والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما .. ))
- ٢٢٤ (( والمهاجر من هجر ما هجره الله عنه ))
- ٥٨ (( وثلاث مهلكات ..... ))
- ٧٩ (( ولا تشتملوا كاشتمال اليهود ))
- ٢٢١ (( ومن شر فتنة ... ))
- ١١٨ (( ويل للنساء من الأحرين .. ))
- (( ي ))
- ١٥٤ (( يا بلال أرحنا بالصلاة ))
- ٦٤، ٥٠ (( يا علي لا تتبع النظرة .. ))
- ٢١٦ (( يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة .. ))
- ١٢٠ (( يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد .. ))
- ٧٦ (( يتقارب الزمان — أي تنقص بركته فيمر سريعاً .. ))
- ١٤٩ (( يُدني المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل .. ))
- ٢٢٠ (( يستجاب لأحدكم ما لم يعجل .. ))
- ١١٦ (( يقول ابن آدم : مالي مالي .. ))
- ٢١٢ (( يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى .. ))

فهرس الأعلام

الصفحة	العالم
	(( أ ))
٤٩	إبراهيم التيمي
١٦	أبو حيان الأندلسي
٤٠	أبو عبد الله المقدسي.
١٤	أبو هلال العسكري
١٦٠	الجنيد
٢٤	الحرالي
٢٠٩	الربيع بن خيثم.
٢٢٠	الربيع بن يونس
٢٩	الضحاك بن سفيان
١١٦	العلاء بن زياد.
١٩٢	الخاصبي.
٢٤	المناعي
	(( ب ))
٢١٢	بشر الخافي
١٥٢	بقي بن مخلد.
	(( ج ))
١٥٧	جعفر الباقر
	(( س ))
٣٧	سلمة بن دينار
١٩٠	سليمان بن موسى
	(( ع ))
٢٠٥	عبد الله بن دينار
١٧٣	عبد الله بن عون
٤٩	عطاء بن أسلم
	ط
١٠٥	طرفة بن العبد
	(( م ))
١١٩	مطرف بن عبد الله الشخير.
٢٠٨	منصور بن عمار.
٢٠٧	ميمون بن مهران.
	(( ي ))
١١٦	يحي بن معاذ الرازي.

## فهرس المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - ابن الأثير، الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، اعتنى به رائد بن صبري بن أبي علفة، ط(بدون)، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٥م.
- ٣ - ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبدالله، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط(بدون)
- ٤ - ابن القيم، الإمام، التفسير القيم، جمعه: محمد أويس الندوي، حققه: محمد حامد الفقهي، ط (بدون)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
- ٥ - ابن المبارك، الإمام شيخ الإسلام عبد الله، بن المبارك المروزي، كتاب الزهد ويلييه كتاب الرقائق، حققه وعلق عليه الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، ط(بدون)، دار الكتب العلمية.
- ٦ - ابن المبارك المروزي، الإمام شيخ الإسلام عبد الله، كتاب الزهد ويلييه كتاب الرقائق، حققه وعلق عليه: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، ط(بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٧ - ابن تيمية الحراني، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس، مجموع الفتاوى
- ٨ - ابن حجر، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط١، دار البيان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٩ - ابن حجر، شهاب الدين الفقيه أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكنايني العسقلاني الشافعي، الإصابة في تمييز الصحابة، ط(بدون)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٠ - ابن عاشور، سماحة الاستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ط١، مؤسسة التاريخ، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١١ - ابن قيم الجوزية، شمس الدين، أبي عبد الله، محمد، بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط٢، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ١٢ - ابن قيم الجوزية، الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ط٤، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
- ١٣ - ابن قيم الجوزية، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر، الفوائد، ط١، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٤ - ابن قيم الجوزية، الإمام شمس الدين، محمد، بن أبي بكر، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ط٣، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- ١٥ - ابن قيم الجوزية، طريق المهجرتين وباب السعادتين، ط٢، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ١٦ - ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط، ط١٤، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية، بيروت - الكويت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م
- ١٧ - ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقهي، ط (بدون)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.
- ١٨ - ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ط(بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٤٠٩/٢ - ٤١٠ بتصرف يسير.

- ١٩ - ابن كثير، أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق : د. أحمد أبو ملح، د. علي نجيب عطوي، أ. فؤاد السيد، أ. مهدي ناصر الدين، أ. علي عبد الستار، ط(بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
- ٢٠ - ابن كثير، الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط١، دار الفكر.
- ٢١ - ابن مفلح المقدسي، الإمام الفقيه الحداث أبو عبدالله محمد، الآداب الشرعية، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م
- ٢٢ - ابن منظور، الإمام العلامة أبي الفضل، جمال الدين، محمد، بن مكرم، ابن منظور، الإفريقي، المصري، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٢٣ - ابن هشام، السيرة النبوية، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها : مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شليبي، ط(بدون)، دار الكنوز الأدبية.
- ٢٤ - أبو حيان، محمد، بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، تفسير البحر الحيط، ط٢، دار الفكر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٢٥ - أحمد، الأستاذ الدكتور مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة توثيقية تحليلية، ط٢، دار إمام الدعوة، الرياض، ١٤٢٤هـ.
- ٢٦ - الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٢٧ - الأصفهاني، العلامة الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ط٣، دار القلم، دمشق/الدار الشامية، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٢٨ - الأندلسي، القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، انحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق : عبدالسلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
- ٢٩ - البغدادي، العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه : علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م
- ٣٠ - البغدادي، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ط(بدون)، دار عمر بن الخطاب، الإسكندرية
- ٣١ - البلابي، عبد الحميد، تأملات بعد الفجر، ط٢، ١٤٢٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٣٢ - البيهقي، الإمام الحافظ أبي بكر، أحمد، بن الحسين، كتاب الزهد الكبير، حققه وخرج أحاديثه وفهرسه الشيخ عامر أحمد حيدر، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٣٣ - التبريزي، شرح الخطيب، ديوان ذي الرمة، كتب مقدمته وهوامشه وفهارسه مجيد طراد، ط(بدون)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- ٣٤ - الجزائري، أبو بكر، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ط(بدون)، دار السلام، مصر - القاهرة.
- ٣٥ - الحازمي، أبي أنس، حسين، بن محسن، أبي ذراع، موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة، ط١، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٣٦ - القدس، د. كامل، سلامه، منهج سورة النور في إصلاح النفس واجتماع، ط٢، دار الشروق، جدة.
- ٣٧ - القدس، د. كامل، سلامه، روائع من الأدب النبوي، ط٢، دار الشروق، جدة.
- ٣٨ - الذهبي، الإمام شمس الدين، محمد، بن أحمد، بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤١٠هـ.



- ٣٩ - الزحيلي، الأستاذ الدكتور وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٤٠ - الزرقاني، الأستاذ الشيخ محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط (بدون)، دار الكتب العلمين، بيروت - لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٤١ - الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط (١٥)، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢م، ٣/٢٥٠
- ٤٢ - الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التبريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط١، دار الفكر، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ٤٣ - الزنبيدي، عبد الرحمن، بن زيد، العصرانية في حياتنا الاجتماعية، ط١، دار المسلم، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٤٤ - السباعي، مصطفى، أخلاقنا الاجتماعية، ط٥، المكتب الإسلامي، بيروت/ دمشق، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٤٥ - السحيباني، عبد الحميد بن عبد الرحمن، الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن، ط١، دار القاسم، الرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٤٦ - السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخل في الدين الإسلامي، ط٢، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٤٧ - السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، ط٢، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٤٨ - السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، العقيدة الإسلامية، ط٢، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة، ١٤٢١هـ - ١٩٩٢م.
- ٤٩ - السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان، اعتنى به تحقيقاً ومقابلة عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ط١، مركز فجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٩١٧.
- ٥٠ - السهيلي، الإمام المحدث عبد الرحمن، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٥١ - الشاطبي، أبو إسحاق، إبراهيم، بن موسى، اللخمي، الغرناطي، المالكي، الموافقات في أصول الشريعة، ط (بدون)، دار المعرفة، مكة المكرمة، عني بضبطه وترقيمه ووضع تراجمه الأستاذ محمد عبد الله دراز.
- ٥٢ - الصالح، الدكتور محمد، أديب، الربانيون قدوة وعمل قراءة في التربية والسلوك، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٥٣ - الصباغ، محمد بن لطفي، أقوال ماثورة وكلمات جميلة، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت/ دمشق/ عمان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٥٤ - الصباغ، محمد، بن لطفي، قضايا في الدين والحياة والمجتمع تأملات في عدد من جوامع الكلم، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت/ دمشق/ عمان، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٥٥ - الطبري، الإمام الكبير أبي جعفر، محمد، بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية بمصر، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٥٦ - العدوي، صفاء الضوي أحمد، إهداء الديباجة بشرح سنن ابن ماجه، ط١، مكتبة دار اليقين، البحرين، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
- ٥٧ - الغزالي، الإمام أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط (بدون).

- ٥٨ - الغزالي، الإمام أبو حامد، مكاشفة القلوب المقرب إلى علام الغيوب، ط ٥، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، علق عليه عبد الحميد طعمه حلي.
- ٥٩ - الغزالي، محمد، خلق المسلم، ط ٢، دار القلم، دمشق/بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٦٠ - القحطاني، سعيد بن علي، بن وهف، شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، ط ٤، جهادى الأولى ١٤١٥هـ.
- ٦١ - القرضاوي، الدكتور يوسف، العبادة في الإسلام، ط ٢٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٦٢ - القرضاوي، د. يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ط ١٠، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٦٣ - القرضاوي، د. يوسف، الصبر في القرآن، ط (بدون).
- ٦٤ - القرطبي، أبو عبد الله محمد، بن أحمد، الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ط ٢، إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٩٦٦م.
- ٦٥ - الماوردي، أبي الحسن، علي، بن محمد، بن حبيب، البصري، أدب الدنيا والدين، ط ٤، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٦٦ - الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد، بن حبيب، البصري، البغدادي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط (بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٦٧ - المحاسبي، أبو عبد الله، الحارث، بن أسد، بدء من أناب إلى الله ويليه آداب النفوس، تحقيق مجدي فتحي السيد، ط ١، دار السلام، القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٦٨ - المناوي، العلامة المحدث محمد، المدعو بعبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط (بدون)، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٦٩ - الميداني، عبد الرحمن حسن حنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٧٠ - الناصر، محمد، حامد، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، ط ١، مكتبة الكوثر، الرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٧١ - النسفي، الإمام الجليل العلامة أبي البركات، عبد الله، بن أحمد، بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ط (بدون)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ.
- ٧٢ - النووي، الإمام أبي زكريا، يحيى، بن شرف، النووي، الدمشقي، رياض الصالحين، حققه عبد العزيز رباح و أحمد يوسف الدقاق، راجعه الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط ٤، دار المأمون للتراث، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٧٣ - النووي، الإمام الحافظ شيخ الإسلام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف، الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم، ط (بدون)، مكتبة الجمهورية العربية، مصر.
- ٧٤ - أيوب، حسن، رحلة الخلود، ط ٥، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٧٥ - بن أبي الدنيا، الحافظ أبي بكر، عبد الله، بن محمد، بن عبيد، الصمت وحفظ اللسان، تحقيق : د. محمد أحمد عاشور، ط ١، دار القافلة، المنطقة الشرقية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٧٦ - بن حجر، شيخ الإسلام شهاب الدين، أحمد بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حققه وقدم له ووضع فهرسه محمد سيد جاد الحق، ط ١، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- ٧٧ - حسن، خالد، رمضان، وصف الدنيا في الكتاب والسنة، ط (بدون)، دار الإيمان، الإسكندرية.
- ٧٨ - حوى، سعيد، المستخلص في تزكية الأنفس، ط ٧، دار السلام، القاهرة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٧٩ - خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، ط ٢، دار القلم، الكويت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- ٨٠ - دحلان ، عبد الله ، صادق ، تحليل سلوك الشراء لدى السيدات السعوديات والمقيمات بمدينة جدة، مركز البحوث بالغرفة التجارية الصناعية بجدة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٨١ - دروزة ، محمد ، عزة ، الدستور القرآني والسنة النبوية في شؤون الحياة، ط ٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- ٨٢ - سابق، السيد، إسلامنا، ط(بدون)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ٨٣ - سند بن مطلق السبيعي، الخيل معقود في نواصيها الخير، ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- ٨٤ - طراد، قدم له وشرحه مجيد، ديوان أبي العتاهية، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٨٥ - طهماز، عبد الحميد، الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف، ط ١، دار القلم، دمشق/الدار الشامية، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٨٦ - طهماز، عبد الحميد، محمود ، التوراة والإنجيل والقرآن في سورة آل عمران، ط ١، دار القلم، دمشق/الدار الشامية، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٨٧ - عابدين، عليّة، دراسات في سيكولوجية الملابس، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ٩٤ بتصرف
- ٨٨ - عتيبة، المستشار محمد، بهجت، محاضرات في الفقه الجنائي الإسلامي لطلبة معهد الدراسات الإسلامية، ط (بدون)، دار الشباب، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٨٩ - علوان، عبد الله ناصح ، محاضرة في الشريعة الإسلامية وفقهها ومصادرها، ط ١، دار السلام، القاهرة.
- ٩٠ - علوان، عبد الله، ناصح، أحكام الزكاة على ضوء المذاهب الأربعة، ط ٧، دار السلام، القاهرة - مصر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ٩١ - علوان، عبد الله، ناصح، حتى يعلم الشباب، ط ٧، دار السلام، القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٩٢ - عمير، محمد محمود، المؤمنون كما وصفهم الله في القرآن الكريم، ط (بدون)، دار الطباعة، القاهرة.
- ٩٣ - فائز، أحمد، طريق الدعوة في ظلال القرآن، ط (بدون)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٩٤ - قصاب، جمع ودراسة وتحقيق د. وليد، ديوان محمود الوراق، ط ١، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٩٥ - قطب، سيد ، في ظلال القرآن، ط ٨، دار الشروق، بيروت - القاهرة، ١٣٩٩هـ - ١٩٩٧م.
- ٩٦ - قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ط (بدون)، دار الشروق، بيروت/القاهرة.
- ٩٧ - قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ط ٤، دار الشروق، بيروت / القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٩٨ - كرزون، د.أنس، أحمد، منهاج الإسلام في تركية النفس، ط ٢، دار نور المكتبات، جدة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٩٩ - محمد بن حسن عقيل موسى، المختار المصون من أعلام القرون، ط ١، دار الأندلس الخضراء، جدة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٠٠ - موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح، ط ١، دار الوسيلة، جدة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ١٠١ - موسى، محمد بن حسن بن عقيل ، الثبات، ط ٣، دار الأندلس الخضراء، جدة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

- ١٠٢ - موسى، محمد بن حسن عقيل ، نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط١، دار الأندلس، جدة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ١٠٣ - ميمني، وجنات، عبد الرحيم ، لماذا الاختلاف ونحن أمة واحدة، ط١، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ١٠٤ - نصيف، الدكتورة فاطمة، عمر، أخلاقنا في الميزان، ط١، دار الحمدي، جدة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١٠٥ - يوسف، د. محمد، السيد ، منهج القرآن في إصلاح المجتمع، ط١، دار السلام، القاهرة - مصر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ١٠٦ - يوسف، محمد، خير، نساء زاهدات، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ -

#### الدوريات :

- ١ - مجلة الأسرة العدد ١٠٩، ربيع الثاني ١٤٢٣هـ، ص١٩٩ قام بإجراء هذا التحقيق : من الرياض : الأسرة، خزامي القوس، معمر خليل، عبد الله أبا الخليل، ومن جدة : آمال رتيب، ومن القاهرة : محمد جمال عرفة.
- ٢ - إبراهيم، فايز عبد العزيز، باحث في التفسير بجامعة الجزيرة بالسودان، مقالة في مجلة الإعجاز العلمي، مجلة فصلية تصدر عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد الرابع عشر، ذو القعدة ١٤٢٣هـ.
- ٣ - الخليل، عبد العزيز، مقالة في مجلة البيان العدد ١٤٧، ذو القعدة ١٤٢٠هـ - مارس ٢٠٠٠م.
- ٤ - المصري، العلامة محمد أمين ، في سبيل الدعوة الإسلامية ، ص٣٩ - ٤٣ باختصار نقلاً عن مجلة البيان العدد ١٤٧، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٥ - الدويسان، الدكتورة سارة، أنماط الاستهلاك غير المرشد لدى الأسرة وما قد يرتبط بها من مشكلات خاصة بسداد الديون الاستهلاكية، ورقة عمل ألقيت في مؤتمر التحديات المعاصرة للإدارة المالية للأسرة الكويتية الآثار والحلول، ١ - ٣ مايو ٢٠٠٠، الكويت. مسرح الأمانة العامة للأوقاف.

---

---

برامج الحاسب الآلي:

- ١ - مصحف النشر المكتبي، الإصدار الرابع، شركة العريس للكمبيوتر.
- ٢ - المكتبة الألفية للسنن النبوية، الإصدار الثالث، مركز التراث للبرمجيات.
- ٣ - الموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف وعلومه، الإصدار الثالث، مركز التراث للبرمجيات.

مواقع إنترنت :

- ١ - موقع الإمام المحدث محمد ناصر الدين الألباني [www.alabany.net](http://www.alabany.net)
- ٢ - موقع الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف ( الدرر السنية ) [www.dorar.net](http://www.dorar.net)
- ٣ - الخطيب، معتز، صناعة الجسد .. الدخول إلى أسواق الرقيق، موقع إسلام أون لاين
- ٤ - مشهور، صابر، دراسة الهوية العربية كما تعكسها أغاني الفيديو كليب، موقع إسلام أون لاين

## فهرس الموضوعات

٠	إهداء
١	شكر وتقدير
٣	المقدمة
٤	أسباب اختيار الموضوع
٤	تحديد المشكلة
٥	خطة الرسالة
٦	منهج الرسالة
٨	التمهيد
٩	مصطلحات البحث
٩	أولاً : المنهج
٩	ثانياً: القرآن الكريم
١٠	ثالثاً: الوقاية
١٠	رابعاً: الفتنة
١٣	خامساً : الفرق بين الفتنة والابتلاء
١٥	سادساً : الحياة الدنيا
	الباب الأول : الحياة الدنيا في القرآن الكريم
	الفصل الأول : قيمة الحياة الدنيا وصفتها كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية
١٩	المبحث الأول : قيمة حياة الدنيا
٢٢	المبحث الثاني : صفة الحياة الدنيا في القرآن الكريم
٢٢	١- أنها متاع الغرور
٢٤	٢- أنها لعب ولهو وزينة وتفاخر
٢٦	٣- أنها حياة قصيرة كدورة حياة النبات
٢٩	المبحث الثالث : وصف الحياة الدنيا في السنة النبوية
٢٩	١- أن الله تعالى جعلها قليلاً
٢٩	٢- أن ما يأكله الناس يجعل مثلاً لها
٣٠	٣- أنها حلوة خضرة
٣١	٤- أنها سجن المؤمن وجنة الكافر
٣١	٥- أنها ملعونة
	الباب الأول : الحياة الدنيا في القرآن الكريم
٣٦	الفصل الثاني : الصفات والأعمال الموقعة في فتنة الحياة الدنيا كما وردت في القرآن الكريم
٣٧	أولاً : الجهل
٣٩	ثانياً : التكذيب بآيات الله والاستهزاء بما
٤٠	ثالثاً : الحرص على المصالح الشخصية
٤١	رابعاً : الإغراق في المعاصي
٤٤	وهناك عوامل مساعدة على الوقوع في الفتن، منها :
٤٤	١- انعدام الحياء .

٤٥	٢- سوء الظن .
٤٨	٣- فضول الكلام
٤٩	٤- فضول النظر
٥١	٥- فضول الطعام
٥٢	٦- فضول المخالطة
٥٣	٧- طول الأمل
	الباب الثاني : فتنة الحياة الدنيا
٥٨	الفصل الأول : أنواع الفتن
٥٨	النوع الأول: فتنة الشبهات
٦٠	والنوع الثاني : فتنة الشهوات
٦١	١ - الفتنه بالنساء
٦٨	٢ - الفتنه بالبين
٦٩	٣- الفتنه بالأموال
٧٠	٤ - الفتنه بالخيل
٧٣	٥ - الفتنه بالأنعام والحرف
٧٤	٦- الفتنه بالشيطان
٧٥	٧ - الفتنه بالناس
٨١	٨- الفتنه بالخير والشر
٨٣	٩- الفتنه بالملك والجاه والمظاهر
٨٥	١٠- الفتنه بالعجب والكبر
٩١	١١- الفتنه بمسايرة الواقع
٩١	بعض الصور لفتنة مسايرة الواقع
١٠٠	الآثار الخطيرة لفتنة مسايرة الواقع
	الباب الثاني : فتنة الحياة الدنيا
١٠٣	الفصل الثاني : فتنة المال والبنين أدلة من الواقع
١٢١	صور من القرآن الكريم تحكي عن فتنه الولد والمال
١٢١	أولاً : فتنه الولد
١٢٣	ثانياً : فتنه المال
١٢٥	الخلاصة
١٢٧	مآلات الفتنه بالمال
	الباب الثالث : الوقاية من فتنه الحياة الدنيا
	الفصل الأول : المنهج الوقائي في القرآن الكريم
١٣١	المبحث الأول : سمات المنهج القرآني وخصائصه
١٣١	١ - العالمية
١٣٣	٢- الأصالة والخلود في نصوص الشريعة
١٣٤	٣- التيسير ورفع الحرج
١٣٥	٤ - رعاية مصالح البشر

١٣٧	٥- التوازن بين المادة والروح
١٣٩	٦- التلازم بين العقيدة والحياة
١٤٠	٧- الواقعية
١٤١	٨- الثبات والمرونة
١٤٥	المبحث الثاني : الصفات والأعمال الواقية من فتنة الحياة الدنيا كما وردت في القرآن الكريم
١٤٥	أولاً : الصفات الإيمانية : وتشتمل الآتي :
١٤٥	١- توحيد الله وعدم الإشراك به عز وجل.
١٤٦	٢- الإيمان بالغيب.
١٤٩	٣- عدم الخوف من لوم الناس
١٤٩	٤- القنوت لله
١٥١	ثانياً : الصفات التعبدية
١٥٢	١- إقامة الصلاة
١٥٤	٢- إيتاء الزكاة
١٥٥	٣- الذكر
١٥٨	٤- الخشية من الله عز وجل
١٦٠	٥- التوكل على الله عز وجل
١٦١	٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٦٤	٧- السياحة
١٦٤	ثالثاً : الصفات الخلقية
١٦٤	١- اكتساب محبة الله
١٦٧	٢- الوفاء بالعهد
١٦٨	٣- الأمانة
١٦٩	٤- الصبر
١٦٩	٥- الصدق
١٧١	٦- الإحسان
١٧٢	٧- الإعراض عن اللغو
١٧٣	٨- التواضع
١٧٤	٩- الحلم
١٧٥	١٠- تحقيق الشورى

الباب الثالث : الوقاية من فتنة الحياة الدنيا

الفصل الثاني : منهج القرآن في الوقاية من الفتن

١٧٨	أولاً : التدابير الوقائية الخلقية والاجتماعية لإصلاح حياة البشر وتعميرها
١٧٨	١- الإيمان بالله واليوم الآخر
١٧٩	٢- العبادات
١٨٠	٣- الأخلاق
١٨٠	٤- المعاملات
١٨١	٥- العقوبات



١٨٣	ثانياً : الخطوات العملية للنجاة من الفتن
١٨٣	١ - تقوية الإيمان بالله عز وجل : عن طريق :
١٨٣	أ - الارتباط الدائم بكتاب الله تلاوة وتدبراً
١٨٥	ب - النظر في ملكوت السموات والأرض
١٨٧	ج - التعرف على أسماء الله الحسنى وصفاته
١٨٨	٢ - تجديد الصلة بالله عن طريق العبادات و التدريب العملي عليها ومنها :
١٨٨	أ - الشعائر التعبدية
١٨٩	ب - الإكثار من الطاعات
١٩٢	ج - الإحسان مع الخلق
١٩٣	٣- التدرج
١٩٤	٤ - ضرب الأمثال
١٩٦	٥ - القصة
٢٠٠	٦ - الترغيب والترهيب
٢٠١	خطوات لتزكية النفس :
٢٠١	١ - التوبة
٢٠٣	٢ - المراقبة
٢٠٥	٣ - الخاسية
٢٠٦	أمور تعين على الخاسية من أبرزها :
٢٠٦	١ - استشعار رقابة الله على العبد وإطلاعه على خفاياه
٢٠٦	٢ - تذكور الحساب الأكبر يوم القيامة
٢٠٧	٣ - مطالعة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح
٢٠٧	٤ - المجاهدة
٢٠٨	أمور تعين على المجاهدة هي :
٢٠٨	أ - الصبر
٢١١	ب - التخلص من حب الدنيا
٢١٤	٥ - صحبة الصالحين
٢١٥	٦ - تحصين النفس عن طريق :
٢١٥	أ - الزواج
٢١٥	ب - الصيام
٢١٦	ج - غض البصر
٢١٦	٧ - اللجوء إلى الله بالدعاء
٢٢٢	٨- الهجرة إلى الله
٢٢٥	الخصائيم
٢٢٥	أولاً : النتائج
٢٢٨	ثانياً : التوصيات والمقترحات
٢٢٩	الفهارس